المثل

فى نهج البلاغة

(دراسة تحليلية فنيّة)

عبد الهادي عبد الرحمن علي الشاوي

جامعة الكوفة
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

المثل في نهج البلاغة
دراسة تحليلية فنية

رسالة قدمها
الى مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

عبد الهادي عبد الرحمن علي الشاوي

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف
أ.م.د. خليل عبد السادة إبراهيم

ذي الحجة ١٤٢٨هـ كانون أول ٢٠٠٧م

University of Kufa.
College of Arts.
Department of Arabic Language.

The Proverb in "Nahj Al – Balagha": An Artistical and Analytical Study

A Thesis Submitted to
the Council of the College of Arts
University of Kufa

By
Abdul – Hadi Abdul – Rahman Ali Al – Shawi
in a Partial Fulfilment to the Requirement for the Master Degree in the Arabic Language and it's Literature

Supervised by :
Asst. Prof. Dr. Khalil Abdul – Sada Ibraheem

Thi Al- Hija, 1428 A.H December, 2007A.D

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥

صَدَقَ اللّٰهُ العلي العَظِيمُ

سورة إبراهيم (٢٤- ٢٥)

أشهدُ أنّ إعداد هذه الرسالة قد جرى بأشرافي بمراحلها كافة وأرشحها للمناقشة

الأمضاء :
الأسم : أ.م.د. خليل عبد السادة إبراهيم.
التاريخ : ٢ / ٣ / ٢٠٠٨ .

بناءً على ترشيح المشرف العلمي وتقرير الخبير العلمي أرشح الرسالة للمناقشة

الأمضاء :
الأسم : أ.م.د.خليل عبد السادة ابراهيم
التاريخ : ٢ / ٤ / ٢٠٠٨ .
رئيس قسم اللغة العربية .

إستناداً إلى محضر مجلس الكلية في جلسته الحادية عشر المنعقدة بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٧ بشأن تشكيل لجنة لمناقشة الرسالة الموسومة بـ(المثل في نهج البلاغة – دراسة تحليلية فنية) للطالب (عبد الهادي عبد الرحمن علي الشاوي) نقرُّ نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها بأننا إطلعنا على الرسالة ، وناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ ٢٠٠٨/٥/١٩ فوجدناها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها وبتقدير(جيد جدا عالي) .

الإمضاء :
الإسم : أ.م.د.كامل عبد ربه الكريطي
عضوا
التاريخ : / / .

الإمضاء :
الإسم : أ.م.د.حاكم حبيب
عضوا
التاريخ : / / .

الإمضاء :
الإسم : أ.م.د.خليل عبد السادة ابراهيم
عضوا ومشرفا
التاريخ : / / .

الإمضاء :
الإسم : الأستاذ المتمرس الاول الدكتور محمد حسين علي الصغير
رئيس لجنة المناقشة
التاريخ : / / .

صادق مجلس كلية الآداب – جامعة الكوفة بإقرار لجنة المناقشة .

الإمضاء :
الأستاذ الدكتور : عبد علي حسن الخفاف
عميد كلية الآداب
التاريخ : / / .

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الإمام العادل سيد البلغاء وإمام المتقين ...

أبي الحسن والحسين (□) ...

وإلى من سكن بجوارهِ أخي الدكتور محمد حسن (رحمك أله يا أبا مثنى) ...

أهدي هذا الجهد عرفاناً وتقديراً ...

المحتويات

المقدمة ١

التمهيد ٤

الفصل الأول : طرائق المثل في نهج البلاغة ومصادرهُ ١٤

المبحث الأول : طريقة الإقتباس والتضمين ١٥

مصادر الإقتباس والتضمين :-..... ١٦

أولاً : القرآن الكريم :..... ١٦

أ- الإحالة الى مثل قرآني ١٦

ب- آيات تجري مجرى المثل ١٩

ثانياً : الحديث النبوي الشريف ٢٥

ثالثاً : الشعر العربي ٢٩

رابعاً : الأمثال العربية القديمة ٣٣

المبحث الثاني : طريقة التناص ٣٦

التناص لغة ٣٦

التناص إصطلاحاً ٣٦

مصادر التناص ٣٩

أولاً : القرآن الكريم ٣٩

ثانياً : الحديث النبوي الشريف ٤٦

ثالثاً : كلام العرب :..... ٤٩

١. الشعر العربي ٥٠

٢. النثر العربي :..... ٥٥
أ ـ الخطب ٥٥
ب ـ الأمثال ٥٦
المبحث الثالث : طريقة الإبتكار ٥٩
مصادر الأبتكار ٥٩
١. القدرة والموهبة ٥٩
٢. البيئة المناسبة :..... ٥٩
مميزاتها : ١. دقة الصياغة :..... ٦٠
أ – إختيار المفردة ٦٠
ب- ملاءمة الألفاظ بعضها لبعض ٦٥
٢. وضوح أثر السياق في صياغة المثل ٦٨
الفصل الثاني : أساليب المثل في نهج البلاغة ٧٥
الإسلوب لغة ٧٦
الإسلوب إصطلاحاً ٧٦
مفهوم الإسلوب في الدراسات العربية القديمة ٧٧
مفهوم الإسلوب في الدراسات العربية الحديثة ٧٨
المبحث الأول : الأساليب الخبرية للمثل ٧٩
الإسلوب الخبري ٨١
أولاً : أمثال جاءت بصيغة جملة أسمية :..... ٨٢
أساليب التوكيد :..... ٧٤
١. إسلوب التوكيد بأحرف التوكيد ٨٥

٢. إسلوب القصر ٨٦
ثانياً : أمثال جاءت بصيغة جملة فعلية ٨٨
ثالثاً : أمثال جاءت بصيغة جملة شرطية ٩٣
المبحث الثاني : الأساليب الأنشائية : أولاً : الإنشاء الطلبي ٩٧
١. إسلوب الأمر :..... ٩٧
أ- صيغة (أفعل) ٩٨
ب- صيغة الفعل المضارع المقترن ب(لام لأمر) ٩٩
جـ - بإضمار الفعل ٩٩
٢. إسلوب النهي ١٠١
٣. إسلوب الإستفهام ١٠٢
٤. إسلوب التمني ١٠٥
ثانياً : أساليب الإنشاء غير الطلبي :..... ١٠٦
١. إسلوب القسم ١٠٧
٢ . إسلوب التعجب ١٠٩
المبحث الثالث : أحوال الجملة في أمثال نهج البلاغة :..... ١١١
١. التقديم والتأخير ١١٢
٢. الإيجاز :..... ١١٦
أ – إيجاز الحذف ١١٦
ب - إيجاز القصر ١١٩
٣. التعريف والتنكير ١٢٢
٤. الفصل والوصل ١٢٥

الفصل الثالث : القيم التصويرية والموسيقية في أمثال نهج البلاغة ١٢٨
المبحث الأول : القيم التصويرية ١٢٩
الصورة لغة ١٢٩
الصورة إصطلاحاً
..... ١٣٠
أهمية الصورة
..... ١٣١
أساليب بناء الصورة في أمثال نهج البلاغة
:..... ١٣٢
أولاً : إسلوب التشبيه والوصف المباشر
..... ١٣٢
ثانياً : إسلوب تبادل المدركات
:..... ١٣٧
١. التجسيد
..... ١٣٧
٢. التشخيص
..... ١٤٢
ثالثاً : إسلوب التقابل
..... ١٤٥
المبحث الثاني : القيم الموسيقية في أمثال نهج
البلاغة..... ١٥٠

١. الجناس ١٥١
٢. السجع ١٥٧
٣. الإزدواج ١٦١
٤. التكرار ١٦٥
أ- تكرار الحروف ١٦٦
ب- تكرار المقاطع..... ١٦٨
جـ- تكرار الكلمات ١٧١
الخاتمة ١٧٤
المصادر والمراجع ١٧٧

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين٠

الحمد لله الذي وفقني لتحقيق حلمٍ ظلّ يراودني حين أطربني الحرف العربي واستعذبت بيانه، لكن الخروج من الحلم إلى الواقع ، لابدّ من أن يشعرني بالرهبة ، وهذا ما كنت أخشاهُ وأعانيه، كيف لي والرهبة تأخذني ، وأي رهبة تلك التي تضع الحالم أمام الواقع فينبهر ويتردد أو يقدم وهو خجلٌ متعثر ، لذلك لابدّ من يدٍ تأخذ بهذا الحالم وتشدُ من عزمه ، فكانت يد أستاذي القدير هي العون الذي عضد همتي وشد عقدة مأزري ، فأدخلني الحقيقة الباهرة .

كان أستاذي المشرف الدكتور خليل عبد السادة هو الذي شجعني على هذا الموضوع بعد أن قدمت له ذلك ، فأسعفني بإرشاداتهِ ومدني بعزيمة ساعدني على الكتابة في هذا الموضوع الذي مثل جزءٍ من سفر خالدٍ هو نهج البلاغة .

فعندما وجدت أن هذا الموضوع (المثل في نهج البلاغة) موضوعاً قد ذكرهُ الأولون وأشاروا إلى كثير من أمثال الإمام علي (□) ونبهوا على أهميتها لكنهم لم يدرسوها ، فقد أشار بروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي) إلى أن الجاحظ (ت٢٥٥هـ) قد ذكر أمثالاً للإمام علي (□) ، وكذلك ذكرها الثعالبي (٤٢٩هـ) في التمثيل والمحاضرة ، فيما ألف عبد الواحد الآمدي (ت٥٥٠ هـ) كتاباً أسماهُ (غرر الحكم ودرر الكلم) وهو كتاب مفهرس ذكر فيه كثيرا من أمثال الإمام (□) وحكمهِ ، كل هذه المؤلفات كانت قد ذكرت هذه الأمثال وعددتها دون أن تحللها أو تشرحها .

أما في العصر الحديث فقد وجدتُ أن أمثال الإمام علي (□) قد ذكرها بعض المؤلفين لكنها لم تدرس دراسة أكاديمية ، فقد ذكرها الشيخ محمد عبده مع شرحه لنهج البلاغة ، وفيما ذكر الدكتور صبحي الصالح بعضاً منها في فهارسهِ لنهج البلاغة ، وتناولها الشيخ محمد الغروي فشرحها في كتابهِ (الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة) ، غير إني عزمت على هذه الأمثال دراسة أكاديمية تعتمد المنهج العلمي في التحليل لتستخرج قيمها وتوضح اهميتها فابتدأت بحثي بمقدمة أسميتها(المثل ظاهرة أدبية إجتماعية)اوجزت فيها إهتمام العرب بالأمثال وكيف أستطاعت أن تنقل لنا عادات العرب وتقاليدها وأن تحفظ لنا جزءاً من تراثهم ، وبعدها قسمت البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة.

إختص الفصل الأول بطرق المثل في نهج البلاغة ومصادره فوجدتُ أن المثل في نهج البلاغة قد جاء على وفق ثلاثة طرق هي طريقة الإقتباس والتضمين التي أستعمل الإمام علي (□) فيها أمثالاً قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تضمنها كلامهِ لحاجة النص إليها وللقدرة البلاغية العالية التي تمتلكها .

كما ضمن كلامه أمثالاً شعرية ونثرية ، يعرفها العربي ولها في نفسهِ قوة تأثير ، وقابلية على الإبلاغ ، وجمالية في النص .

وكانت الطريقة الثانية التي أسميتها التناص قد تناولت فيها الأمثال التي حملت معاني قرآنية وأفكاراً من الحديث النبوي الشريف ومن كلام العرب ، وتميزت بصياغةٍ دقيقةٍ صاغها الإمام علي (□) مستثمراً قدرتهُ الباهرة في الإفادة من خصائص التراكيب النحوية ، وما تنتجه من معاني وتوحي به من دلالات أعمق وصورٍ أجمل .

أما الطريقة الثالثة فهي طريقة الإبتكار ، إذ أوجد لنا الإمام علي (□) أمثالاً لم يسبق إليها فهي صياغتهُ شكلاً ومضموناً ، تميزت بسماتٍ أوجزناها وخصائص أوضحها البحث .

أما الفصل الثاني فقد درستُ فيه أساليب المثل في نهج البلاغة فوجدتُ أن الأمثال كانت تجيء على أساليب خبرية وأساليب إنشائية ولكل من هذه الأساليب خصائصها وقدرتها الفنية ودلالاتها المعنوية فهي القادرة على التلاؤم مع سياق النص الذي أتت ضمنهِ وساعد الموقفُ على أختيارها دون غيرها ، وحدد صياغتها .

وفي هذا الفصل تناولتُ أثر تغير التراكيب النحوية في المعنى كما هو الحال في التقديم والتأخير والإيجاز حذفا وقصرا والتعريف والتنكير والوصل والفصل ، وكيف أستطاع الإمام علي (□)إستثمار هذه الخصائص ليتحقق لنا أمثالاً خالدة .

أما الفصل الثالث ، فكان وقفة على القيم التصويرية والموسيقية للمثل إذ إن كل مثل كان يحمل صورة أو مجموعة من الصور ، تفاوتت في قدرتها الإبلاغية والجمالية ، وفقاً للأسلوب الذي بنيت عليه ، فللتشبيه صورة ، وللإستعارة صورة أخرى وللتشخيص والتجسيد صوراً أكثر دلالة وأعمق تأثيراً ، أوضحها البحث ودلّ عليها .

أما القيم الموسيقية فهي ظاهرة بارزة في أمثال نهج الإمام علي (□) لمسنا فيها إهتمامه بهذه الجوانب اذ كان لهذه الأمثال إيقاع متميز، يأخذ باهتمام المتلقي ويثير فيه أحساساً جميلاً ، ودرس هذا المبحث روافد هذه القيم التي وجدها تتكون من الجناس والسجع والتكرار والإزدواج ، كلها خلقت انغاماً ميزت الأمثال بصوت جميل وأوحت بمعانٍ أدق .

أما خاتمة هذا البحث هي النتائج التي وقف عليها البحث وتوصل إليها من خلال هذا التحليل .

وكان للبحث مجموعة من المصادر والمراجع تنوعت بين القديم والحديث وبين الكتب والبحوث المنشورة في المجلات وعلى شبكة المعلومات العالمية .

وبعد فهذه هي مفردات ومنهج دراستي لأمثال نهج البلاغة ، فأنْ وفقت فالحمدُ لله وان قصرت فحسبي أن أعملت جهدي وقدمت ما أستطعت لخدمة سيدي أمير المؤمنين علي (□).

وأخيراً إذا كان لابدّ لي من أن أشكر أحداً ، فأول من أقدم له شكري وتقديري هو أستاذي المشرف ، فقد كان عوناً ومسدداً لخطاي جزاهُ الله خير الجزاء ولكل أساتذة القسم شكري وتقديري، كما أشكر كل زملائي ومن أمدني بنصيحة أو مشورة ، وأقدم شكري إلى عزيزتي ندى محمد حسن الشاوي فقد تجشمت عناء طبع رسالتي وأشكر كل من وقف معي وآزرني والحمدُ لله رب العالمين .

الباحث

عبد الهادي عبد الرحمن

الشاوي

كانون أول / ٢٠٠٧م

التمهيد

المثل ظاهرة أدبية إجتماعية

إمتاز الأدب العربي من غيرهِ من آداب الشعوب الأخرى بظاهرة أدبيةٍ لها مزاياها وخصائصها ، ولها أسباب نشوئها وتطورها واستمراريتها ، فهي من أقدم فنون الأدب ، وهذه الظاهرة هي المثل العربي ((إذ يمكن عد الأمثال من بقايا أقدم النثر العربي ، لما يبدو من أن بعضها كان سائراً مشهوراً في الجاهلية وكثيراً ما تشير هذه الأمثال إلى أحداث ووقائع معينة حصلت قديماً))[1].

وظل هذا النوع الأدبي ذو السمات الخاصة ، موطن أهتمام العرب ، فهو في حديثهم حاضرٌ وفي خطبهم حجة ودلالة ، وفي رسائلهم توضيحٌ وإبانة ، فهو كثيرٌ في أدبهم متميز في نوعيتهِ وقد أكسبوه من فطنتهم دلالات عقلية ، وتوجوه بحكمةٍ ورأي سديد ، لذلك ظل المثل ركناً هاماً من أركان ثقافتهم ، ولوناً أدبياً جميلاً ، أستثمروهُ من أجل إبراز المعاني ، وكشف الحقائق ، وتوضيح الغامض من القول ، إذ إن العرب ((حقاً أجادوا في هذا النوع من الأدب وخلفوا ما يدلُ على عقليتهم أكثر مما يدلنا الشعر والقصص))[2] .

وهذه الإجادة في هذا الفن لم تأتِ إلا بعد أن توفرت أسباب نشوئها ، وتعاضدت معها سمات وخصائصٌ ميزت اللغة العربية من غيرها ، منها ميلها إلى الإيجاز والأختصار ، وهذا ما ميز الأمثال مما سهل حفظها وتداولها ((لأن الإيجاز الشديد والسبك المحكم والبناء القوي وبُعد الإشارة وغيرها من الصفات الملازمة لأسلوب الأمثال مما يعين على حفظها

---

(1) تأريخ الأدب العربي - برو كلمان ، أشرف على الترجمة د. محمود فهمي حجازي – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م : ١ / ١٨٧ .

(2) فجر الإسلام- أحمد أمين - دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ – ٢٠٠٦م : ٧٠ .

وتداولها))[٣] أيام كانت الأمية السمة الغالبة على أهل الجزيرة العربية فلما جاء الإسلام وأنتشرت في ظلاله الكتابةِ، سارع العرب إلى جمع أمثالهم وشرحها فقد ذكر أبن النديم في الفهرست أن عبيد بن شربة من أهل اليمن ألف كتاباً في الأمثالِ في خمسين ورقة بأواخر القرن الأول الهجري وهو أول من فعل ذلك[٤] ثم كثُر من كتب في هذا النوع الأدبي فظهرت كتبٌ عديدة تناولت الأمثال بالشرح والتفصيل ، ولقد تمايزت فيما بينها من حيث المنهج والأسلوب ، ومن هذه الكتب :

(١) أمثال العرب – للمفضل الضبي (ت ١٦٨هـ) .

(٢) كتاب الأمثال – لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) .

(٣) الدرة الفاخرة – حمزة الأصبهاني (ت٣٥١هـ) .

(٤) جمهرة الأمثال – لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) .

(٥) التمثيل والمحاضرة – للثعالبي (ت٤٢٩هـ).

(٦) مجمع الأمثال – للميداني (ت٥١٨هـ) .

(٧) المستقصى في أمثال العرب – للزمخشري (ت٥٣٨هـ) .

(٨) تمثال الأمثال – للعبدري (ت٨٣٧هـ) .

إذ تعدُ هذه الكتب من أهم كتب الأمثال وأكثرها إحاطة بهذا الفن فهي شارحة ومفصلة لكل مثل ، ساردة الحدث الذي جاء به ودالةً على قائلهِ ومبتدعهِ .

ولم يقتصر إهتمام العرب بالمثل عند حدود الجمع والشرح ، بل نجد أن كتب الأدب قد درسته واعتنت في شرح مفهومهِ فأختلفت بأختلاف الكتّاب وتنوعت بتنوع مشاربهم واهتماماتهم، غير أن العلماء الذين درسوا المثل قد أنقسموا على إتجاهين بارزين[5] : إتجاه

---

[3] النثر الفني وأثر الجاحظ فيه - د. عبد الحكيم بلبع - لجنة البيان العربي – القاهرة ، ١٩٦٥م : ٤٨ .

[4] ينظر - الفهرست - أبن النديم محمد بن أسحق أبو الفرج البغدادي (ت٣٨٥هـ) ، الطبعة العمانية بمصر ، ١٣٤٨هـ : ٩٥ .

[5] ينظر : الصورة الفنية في المثل القرآني - د. محمد حسين الصغير – دار الرشيد ١٩٨١م : ٥١ .

بياني واتجاه تفسيري ، فحاول كل أتجاه أن يضع تعريفاً للمثل يبرز فيه جوانب وخصائص هي من إهتمامهِ تاركاً خصائص أخرى .

فالبلاغيون اهتموا بالجوانب البيانية ناظرين في أساليب البيان التي جاء عليها المثل ، وما وفرتهُ من جماليةٍ في الأداءِ وقوةٍ في الإبلاغ وحسنٍ في الصياغة ، فقد ركز البلاغيون على أساليب التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز التي ورد عليها المثل ولقد لخص المستشرق الألماني رودلف زلهايم رأي البلاغيين بقوله ((والمثل عندهم حالةٌ خاصة من حالات التمثيل ، وهو تشبيه أو استعارة أخذ وجه الشبه فيها من أشياء مختلفة ، أي بعبارة أخرى جملة إستعارية ، فإذا شاع مثل هذا التمثيل على الألسنة سُمي مثلاً))[٦] ، فهذا التركيب اللغوي الذي أعتمد الأساليب البلاغية ليصور حالة أو ينقل دلالة يظل محتفظاً بصياغتهِ من دون أي تغيير إذ إن المثل ((جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها ، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول ، فتنقل عما وردت فيه إلى كلما يصح قصدهُ بها من غير تغيير يلحقها في لفظها ، وعما يوجبهُ الظاهر إلى أشباهه من المعاني ، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها))[٧] .

أما الإتجاه التفسيري فقد ركز أصحابهُ في تعريف المثل على ((المورد والمضرب والغرابة والسيرورة)) فقد ذكر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) أن ((الأمثال هي الأشباه والنظائر نضربها للناس ؛ يقول نشببها ونحتج بها))[٨] ، فيما عدّ الزمخشري (ت٥٣٨هـ) وجود الغرابة ((شرطاً من شروط المثل كي يكون أهلاً للتفسير))[٩] .

---

(6) الأمثال العربية القديمة ـ المستشرق الألماني رودلف زلهايم ، ترجمة د. رمضان عبد التواب – دار الإمامة – بيروت ط- ١٩٧١م : ٢٦ .

(7) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ جلال الدين السيوطي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم – دار أحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه : ٤٨٦/١ .

(8) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠) ـ قدم له خليل الميس ، وخرج أحاديثه صدقي العطار – دار الفكر – بيروت ١٤١٥هـ : ١ / ١٣٩ .

(9) الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- جارالله محمود الزمخشري(ت٥٣٨)،رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين– دار الكتب العلمية– بيروت،ط٣: ١/ ٧٢.

أما السيرورة التي عدّوها ركناً هاماً من أركان المثل ، فنجد الفارابي (ت٣٥٠هـ) يقول عنها واصفاً المثل بأنه ((ما ترضاهُ الخاصة والعامة في لفظهِ ومعناهُ حتى أبتذلوه فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء ، وأستدروا به الممتنع من الدر ووصلوا به المطالب المقصية ، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة ، وهو من أبلغ الحكمة ، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودةِ أو غير مبالغ في بلوغ المدى من النفاسة))[١٠] .

وعلى وفق هذين الإتجاهين في النظر إلى المثل ، يمكن الإستدلال على أن المثل قد صار ظاهرة أدبية وأجتماعية ، فما وفرتهُ الصياغة الفنية المعتمدة أساليب البيان ، حتى اجتمعت فيه ، مما حدى بإبراهيم النظام (ت٢٣١هـ) أن قال ((تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيرهِ من الكلامِ ، إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة))[١١] فهذه الخصال الفنية تظهر بأشكال وألوان متعددة في أغلب الأمثال ، وليس أجمعها ، لأن الأمثال تتفاوت في قدرتها البلاغية تبعاً للبيئة التي أنتجت المثل ، فالأمثال التي صدرت عن الخاصة قد توفرت فيها هذه الخصال أكثر من غيرها فهي متسمة بهذه السمات.

فالإيجاز الذي جاء عليه المثل عند العرب ، ربما مثل سمة من سمات الحياة التي يعيشونها في الصحراء حيث التنقل والترحال والميل إلى كل ما خف وقل ، كما أن شيوع الأمية كانت مسوغاً آخر أوجب الإيجاز ، لأن الحفظ يكون له أسرع .

---

[10] ديوان الأدب ـ اسحق ابراهيم الفارابي(ت٣٥٠) – تحقيق ـ د. أحمد مختار عمر – القاهرة ، ١٩٧٤م : ١ / ٧٤ .

[11] مجمع الأمثال ـ أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت٥١٨هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مكتبة السنة المحمدية ١٩٥٥م : ١ / ٦ .

وسمة الإيجاز هذه أوجبت الإعتناء بالألفاظ والتراكيب ، فعمدوا إلى الألفاظ الواضحة الدلالة وذات الجرس اللفظي الجميل ، ومالوا صوب التركيب الرشيق ، فجاءت أمثالهم ((مبنية على الإيجاز والإختصار والحذف والإقتصاد))[١٢] .

والى ذلك أشار أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) حين رأى أهمية الإيجاز في المثل ، وكيف اعتنت العربُ به ، يقول ((ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول ، أخرجوها من أجل الكلام وأنبلهِ وأشرفهِ وأفضلهِ ، لقلة ألفاظها وكثرة معانيها ويسر مؤنتها على المتكلم مع كبير غايتها ، وجسيم عائدتها ، ومن عجائبها إنها مع إيجازها تعمل عمل الأطناب ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب والحفظ موكلٌ بما راع من اللفظ وندر من المعنى))[١٣] ففي قولهم ((صحيفة المتلمس))[١٤] وهو مثل يعرفهُ العربي ويعي دلالاتهِ تظهرُ فيه صفة الإيجاز ، فهو متكون من كلمتين أستطاعتا أن تنقلا معنىً واسعاً فقد عبر المثل ((بكلمتين أثنتين عن قصةٍ طويلةٍ تشتملُ على أشخاص متعددين وأحداث وأماكن متعددة))[١٥] وعلى صفة الإيجاز نفسها نجد المثل ((جزاء سننمار))[١٦] وقولهم ((شرابٌ بأنقع))[17] الذي يُضرب للرجل الكيس الحذر الذي لا يقتحم الأمور ولقد عدّ أبن فارس (ت٣٩٥هـ) هذا المثل من براعة الكلام عند العرب قائلاً ((وما أشبه هذا من بارع كلامهم ومن الإيحاء اللطيف والإشارة الدالة))[١٨] .

---

[12] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - أبو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ) حققه د. عبد المجيد عابدين وإحسان عباس – دار الأمانة – بيروت – ١٩٧١م : ٤٧ .

[13] مقدمة جمهرة الأمثال - أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ، المؤسسة العربية الجديدة – القاهرة : ١٠.

[14] جمهرة الأمثال : ١ / ٤٧٦. مجمع الأمثال : ١ / ٣٩٩ .

[15] الأمثال العربية – دراسة تأريخية تحليلية : د. عبد المجيد قطامش – دار الفكر – سوريا : ٢٦ .

[16] جمهرة الأمثال : ١/ ٣٥٠ .

[17] م . ن : ١ / ٥٤٠ . فصل المقال : ١٥٢.

[18] الصاحبي في فقه اللغة - أحمد بن فارس(ت٣٩٥ هـ)، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر – بيروت ، ١٩٦٣م : ٤٥ .

وفي كتب الأمثال جمهرة كثيرة من الأمثال الموجزة ، التي جاءت صياغتها بكلمات قليلة ومعانٍ كثيرة .

أما الصفة الثانية التي ميزت الأمثال فهي دقة أصابتها للمعنى ، فهي وليدة حالة طبيعية أو هي حادثةٍ تاريخية أوهي قول مجرد دل دلالة واضحة على المعنى ((فالأمثال صائبة المعنى في ذاتها وصائبة المعنى حين يتمثل بها الإنسان ، حتى أصبحت كالقضايا المسلمة ، وأصبح لها من القداسة والسلطان عند الشعوب ما لنصوص الأحكام))[١٩] ، ومن ذلك قولهم ((إذا عز أخوك فهن))[٢٠] وقولهم ((آخر الدواء الكي))[٢١] ، ((وبعد اللتيا واللتي))[٢٢] ، فهذه الأمثال إكتسبت من خلال الأنتشار الواضح لها ، قدرة على الصمد والإيفاء الدقيق بالمعنى ، ساعد في ذلك الأسلوب الخبري الذي جاء به وبالصياغة التي أتخذت الجملة الإسمية وسيلة لنقل المعنى ، ((لأن المعاني الكلية تعرض للذهن مجملة ، فيصعب عليه أن يحيط بها وينفذ فيها فيستخرج سرها والمثل هو الذي يفصل أجمالها ويوضح أبهامها ، فهو ميزان البلاغة وقسطاسها ومشكاة الهداية ونبراسها))[٢٣] وعلى هذا يكون المثل أداةً فاعلة في نقل المعنى وإيصالهِ .

ونحن هنا نشير إلى هذه السمة ، كما سنشير إلى غيرها من السمات التي تحلى بها المثل ولا يكفي المثل كونه مصيباً في أدائه للمعنى ، مجيداً في دلالتهِ ، بل لابد من أن تتوافر فيه ضروب فنية تحققها أساليب بلاغية ، تكسبهُ جمالية وتمنحهُ تأثيراً في النفوس ((فمن يمعن النظر في الأمثال الجاهلية ، يجدُ طائفةٌ منها توفر لها ضروبٌ من القيم

---

(19) الأمثال العربية – دراسة تأريخية تحليلية: ٢٦١.

(20) مجمع الأمثال : ١ / ١٥ .

(21) شرح نهج البلاغة – أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني(ت٦٥٥هـ) وأينما جاء شرح نهج البلاغة في البحث فهذا الشرح هو المعني به – ضبطه وصححه محمد عبد الكريم النمري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان- ط٣ – ٢٠٠٣م: ٩ / ١٦٩ .

(22) فصل المقال : ٣٧٠ . مجمع الأمثال : ١/ ٩٢ . شرح نهج البلاغة : ١ / ١٣٣ .

(23) تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار - محمد رضا رشيد منشأ المنار – دار الفكر للطباعة والنشر : ١ / ٢٣٧ .

التصويرية والموسيقية ، ففيها أحياناً تشبيه وإستعارة وكناية وتمثيل ، وفيها أحياناً أخرى صقل وسجع وتنميق))[٢٤] .

فللتشبيه في المثل تميزٌ وصدارة ((لأن أساس المثل التشبيه ، أياً كانت الصورة التي جاء عليها ، سواءٌ أجاء في صورة تشبيه إصطلاحي أم في صورة إستعارة أم في صورة كناية ، أم جاء في صورة الحقيقة ، ففي كل هذه الصور يتضمن المثل تشبيه مضريه بمورده))[٢٥] ، فالمثل قائم على تشبيه حالةٍ بأخرى هي أوضح وأجلى عند السامع فهي قادرة على مقارنة ما تدركهُ العقول وما تدركهُ الأحاسيس ((لأن الأمثال تضربُ فيما لا تدركهُ الحواس مما تدركهُ ، والسبب في ذلك أُنسنا بالحواس ، وإلفنا لها منذ أول كونها ، ولأنها مبادئ علومنا ، ومنها نرتقي إلى غيرها ، فإذا أخبر الإنسان بما لا يدركهُ ، أو حدث بما لم يشاهدهُ ، وكان غريباً عنه ، طلب له أمثالاً من الحس، فإذا أُعطي ذلك أنس به ، وسكن إليه لألفهِ له))[٢٦] ويعلل الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) هذا الأُنس بقوله ((إنّ أُنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكني ، وأن تردها في الشيء وتعلمها إياهُ إلى شيء آخر هي بشأنهِ أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس))[٢٧] .

وهذا الإيضاح والكشف والإبانة التي يحملها المثل المصاغ وفق هذه الأساليب البلاغية يتضح بعضاً منه بقولهم ((كالمستغيث من الرمضاء بالنار))[٢٨] ، وقد تأتي

---

(24) الفن ومذاهبهُ في النثر العربي - د. شوقي ضيف – دار المعارف – مصر (د.ت) : ٢٥ .
(25) الأمثال العربية – دراسة تأريخية تحليلية : ٢٦٣ .
(26) الهوامل والشوامل - أبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ) ، ومسكويه (ت٤٢١هـ) ، نشرهُ أحمد أمين وأحمد صقر – لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة ، ١٩٥١م : ٢٤٠ .
(27) أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)تحقيق عبد الحميد هنداوي – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م : ٣ .
(28) جمهرة الأمثال : ٢ / ١٦٠ .

الأمثال مصاغة بإسلوب الإستعارة كقولهم ((حال صبوحهم دون غبوقهم))[٢٩] ومن الكناية قولهم ((بلغ السيل الزبى))[٣٠].

كل هذه الأساليب البلاغية جعلت المثل يحتل مكانة مرموقة عند العرب ، فهم له يحفظون وفي كلامهم يكثر ، وفي حديثهم يستمثر حتى قال قائلهم ((إذا جعل الكلامُ مثلاً ، كان أوضح للمنطق ، وآنقَ للسمع ، وأوسع لشعوب الكلام))[٣١] .

وبهذا يشيرون إلى التأثير الذي يتركهُ المثل على السمع ، وما يحدث ذلك إلا عندما تتوافر في المثل القوة على الإثارة وجذب الأنتباه من خلال أعتماد الصياغات التي توفر إيقاعاً موسيقياً جميلاً ، يشدُ السامع إلى القول ، لذلك أعتنوا بالألفاظ والتراكيب وأستعملوا كل فنون القول التي توفر هذا الإيقاع من جناس وتكرار وسجع وأزدواج وغيرها ، فمن ينظر في الأمثال العربية القديمة يجد هذه الضروب التصويرية والموسيقية وأن اختلفت وتفاوتت في درجة إتقانها ومرجع ذلك إلى البيئة والى المبدع .

وقد تكتسب الأمثال هذه السمات الفنية لكنها لا تحقق انتشارا واسعاً بين الناس ، فقد تحيل الظروف الإجتماعية والبيئية دون الأنتشار والسيرورة ، ولربما أرجع سبب عدم الأنتشار إلى ذوق العامة من الناس كما يقول الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ((والعامة ربما أستخفت أقل اللغتين وأضعفهما ، فتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة إستعمالاً وتدع ما هو أظهر وأكثر ، لذلك صرنا نجدُ البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه وكذلك المثل السائر ، وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية في الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منهُ))[٣٢] ، فلا بد للمثل من الأنتشار والسيرورة لأنها ركن هام من أركانهِ ، وما حفظت لنا كتب الأمثال إلا الأمثال التي تداولتها الناس وأستعملها الكتاب

---

[29] مجمع الأمثال : ١ / ١٣٩ .
[30] م . ن : ١ / ٦٠ .
[31] مجمع الأمثال : ١ / ٦ .
[32] البيان والتبيين – عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٤ : ١ / ٢٠ .

والخطباء في كتبهم وخطبهم ورسائلهم ، وفي كل حادثة جاءت مشابهة لمثل أو هي قريبة الشبه منه ، فأختارها الناس وجرى المثل على ألسنتهم ، حتى أعتقد أبن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) بأنها أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ((ولم يسر شيء مسيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قيل أسير من مثل))[٣٣] فهذه السيرورة عدت شرطاً لازماً من شروط المثل ، غير أن الأمثال تتفاوت في إنتشارها تبعاً لظروف نشأتها وللدلالة التي تؤديها ، فقد تصوّر حادثة نادرة أو أنها توضح موقفاً إجتماعياً كثيراً ما يتكرر ، وإن الحياة تعيده ، وبذلك تضمن للمثل الأنتشار والذيوع وبهذه السمات يكون المثل قد كون ظاهرة أدبية في الأدب العربي.

أما كونه ظاهرة إجتماعية ، فأن المثل الذي نشأ في بيئة معينة ، لابد له من أن يحمل صفات تلك البيئة وأن يصور حياة الناس ، فهو لصيق بأمورهم الخاصة والعامة يصور وينقل أخبارهم ومعتقداتهم ((لأن الأمثال تنبعُ من جميع طبقات المجتمع ، وتصور مختلف أحوال تلك الطبقات ، وعاداتها ، وتقاليدها ، ونظرتها إلى الحياة ، وما يضطرب فيها))[٣٤] فهذا النوع من الأدب لا يقتصر أنتاجه على فئةٍ واحدةٍ من الشعب ، فهي أدبٌ يشارك في أنتاجه من أمتلك مواهب فنية ومن لم يمتلكها ((فالأمثال لغة الشعب كله ، بجميع طبقاتهِ ومستوياتهِ الفكرية ، فمنها ما يصدرُ عن الخاصة كالحكماء والعلماء والشعراء ، ومنها ما يصدر عن العامة))[٣٥] ، لذلك صار المثل يمتلك أهمية خاصة في دراسة المجتمع وفي الدلالة على ضروب معيشتهِ وطرقها ((فالأمثال أستطاعت أن تنقل ثقافة الأمة ، كونها "صادقة في التعبير عن الحياة ، لا تتأثر في هذا بعاطفة ، ولا تجنح إلى خيال أو مبالغة أو تهويل وإنما تصف الواقع بما هو عليه ، وبعد تدبر فيه وتأمل له))[٣٦] خلافاً للأنواع

---

(33) العقد الفريد - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق محمد سعيد العريان مطبعة الأستثمار – مصر ، ١٩٥٣م : ٣ / ٦٣ .

(34) الأمثال في القرآن الكريم - د.محمد جابر فياض ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – الرياض ١٩٩٥م : ٩١ .

(35) الأمثال العربية – دراسة تأريخية تحليلية : ٢٥٣ .

(36) م . ن : ٢٥٠ .

الأدبية الأخرى التي تلجأ إلى إدخال الخيال ركناً هاماً في أنتاجها ، فالشعر مثلاً لا يتم لهُ الذيوع ولا تصدق عليه صفة الشاعرية والفنية إلا حين يكون قد أدخل الخيال عنصراً من عناصر إنتاجه ، فبدون الخيال ، يصير الشعر نظماً لا روح فيه ولا حياة .

فيما يحتاج النثر إلى العقل ، فهو يلتزم الحجة ، ويقدم البرهان ، ويغالي أحياناً ، فهو نسجٌ لغويٌ تعامل مع العقل أكثر من تعامله مع العاطفة كما في الشعر .

أما الأمثال فهي الصورة الحقيقية للواقع ، تنقل لغة المجتمع ، وعاداته وتقاليدهِ بأسلوب ، لا يحتمل التأويل ولا يحتاج في إدراكهِ إلى التزود بمعطيات التفكير العقلي من منطق ، وطرق محاججه ، وأنه لا يحتاج إلى خيال ولا يبحثُ عن التأويل والإستنباط .

فالمثل صورة حية واقعية أنتجتها الحياة في جريانها ، فغدت كالإشارةِ أو كالتمثال ، فهي منتصبة قائمة ((لأن المثل ماثل بخاطر الإنسان أبداً أي شاخص))[٣٧] وهذا الشخوص أو الإنتصاب أو المثول، وكل هذه الأوصاف التي يوصف بها المثل وتعبر عنهُ تدلُ دلالة لا لبس فيها على إن المثل صادق في دلالته ، فهو صورة حقيقية واقعية ، أنتجتها الظروف ، ونطق بها بعض الناس ، فالعرب قد أستكثروا منها في نثرهم وشعرهم ، يقول الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ((وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ، ولم يكن الناس جميعاً ليتمثلوا بها إلا لما فيها من الرفق والإنتفاع ومدار العلم على الشاهد والمثل))[٣٨] ، لذلك كانت دراسة المجتمع عن طريق أمثاله ((من أجدى الدراسات وأكثرها نفعاً لمعرفة مظاهر حياة الأمة وسبر أغوار هذه الأمة))[٣٩] لأنها تنقل عادات الأمة فمن ذلك قولهم ((آخر الدواء الكي))[٤٠] إذ يشعرنا هذا المثل بأن هنالك عادة يتبعها العرب في

---

(37) البرهان في علوم القرآن – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم – دار أحياء الكتب العربية – مصر ، ١٩٧٠م : ١ / ٤٨٧ .

(38) البيان والتبيين : ١ / ١٤٦ .

(39) الأمثال العامية في نجد - محمد العبودي – دار أحياء الكتب العربية – مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة ١٩٥٩م : ٢ .

(40) مجمع الأمثال : ١ / ٣٦٠ . شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٦٩ .

علاج مرضاهم ، وهي طريقة الكي ، وقد يأتي المثل وهو يدلُ على مظهر من مظاهر الحياة تمتاز به مدينة ما من مدنهم فعندما نسمع المثل ((كمستبضع تمر إلى هجر))[٤١] فأن هذا المثل يشير إلى مدينة تمتاز بكثرة نخيلها وجودة تمورها ، وغير ذلك من الأمثال التي تنقل صورة واقعية فهي مرآة تعكس حياة الناس وظروف معيشتهم وتدلُ على مواقع مسكنهم ومواطنهم .

فالأمثال تدلُ على العادات والتقاليد وتشير إلى الأماكن والأوطان ، فهي تذكر المدن أحياناً ، كمثلهم ((أيادي سبأ))[٤٢] وغيرها من الأمثال .

ومثلما دلت الأمثال على عادات الشعوب وتقاليدها ومدنها وطرق معيشتها فأنها تدلُ على لغة القوم ولهجتهم ، فقد جاء المثل ((ليت القسي كلها أرجلاً))[٤٣] إذ جاءت (أرجلا) منصوبة ((وهي لغة بني تميم فهم يعملون [ليت] إعمال [ظن]))[٤٤] وقد أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى كثير من هذه الظواهر[٤٥] .

وعلى وفق هذه الإشارات نستدلُ على أن الأمثال استطاعت أن تنقل لنا حالة المجتمع فهي تنقل لغته ، وتنقل تقاليده ، وظروف حياتهِ ، وتدلنا على كثير من معتقداته ، كما انها تشير إلى كثير من أخلاق الشعوب وعلى سلوكهم الاجتماعي ، فالأمثال مرآة تنعكس فيها عادات الشعوب وهي ((معين لا ينضب لمن يريد دراسة المجتمع أو اللغة أو العادات الشعبية عند أمة من الأمم))[٤٦] .

---

(41) شرح نهج البلاغة : ١٥ / ١٠٥ . فصل المقال : ٤١٣ . مجمع الأمثال : ٢ / ١٥٢ .

(42) م . ن : ٧ / ٤٢ . مجمع الأمثال : ١ / ٢٧٥ .

(43) مجمع الأمثال : ٢ / ١٨٧.

(44) الظواهر اللغوية في الأمثال العربية القديمة : أسيل سامي العبيدي (رسالة ماجستير) – جامعة القادسية ١٩٩٩م بأشراف الدكتور حاكم مالك الزيادي : ٣٣ .

(45) ينظر - الكتاب - سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٧٧م : ١ / ٣٣- ٣٤ .

(46) كتاب الأمثال - أبو فيد مؤرج السدوسي (ت١٩٥هـ)- تحقيق د. رمضان عبد التواب – المطبعة الثقافية – مصر ١٩٧١م – مقدمة المحقق : ٥ .

فكل هذه الصفات جعلت المثل ظاهرة أدبية وأجتماعية عرفتها الشعوب والعرب أغزر انتاجاً لهذا النوع الأدبي واهتم به الدارسون ، فقسموه على تقسيمات عديدة ، نذكر منها أنهم قسموا المثل حسب سمتهِ الإصطلاحية[٤٧] إلى :

١- مثل سائر : وهو ((جملة مقتضبة تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول ، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصدهُ بها من غير تغيير يلحقها))[٤٨].

٢- مثل قياسي : وهو نوع من أنوع التشبيه الذي يسميه البلاغيون بالتمثيل المركب ، والذي تحدث عنه عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) قائلاً ((أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضهِ ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورتهِ ، كساها أهمية وكسبها منقية ، ورفع من أقدرها ، وشب من نارها ، وضاعف من قواها في تحريك النفوس لها ، واستشار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً ، فأن كان مدحاً كان أبهى وأفهم ... وإن كان ذماً كان مسهُ أوجع ... وأن كان وعظاً كان أشفى للصدر ... وهكذا الحكم إذا أستقريت فنون القول وضروبه وتتبعت أبوابه وشعوبه)) [49] .

وعلى هذين النوعين من الأمثال وجدنا الأمثال في نهج البلاغة ، فقد جاءت أمثالاً سائرة في نصوص كلام الإمام علي (□) وجاءت أمثاله الأخرى وهي أمثال قياسية أعتمدت التمثيل المركب ، وأساليب أخرى من أساليب البيان التي سوف يتطرق إليها البحث بالتحليل والدراسة في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى .

---

[47] الأمثال العربية والعصر الجاهلي– دراسة تحليلية د.محمد توفيق ابو علي دار النقاش–ط١- ١٩٨٨ : ٤٦ .
[48] المزهر : ١ / ٤٨٦ .
[49] أسرار البلاغة : ٨٨ .

الفصل الأول

طرائق المثل في نهج البلاغة ومصادرهُ

المبحث الأول : طريقة الإقتباس والتضمين .

مصادر الإقتباس والتضمين :-

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : الحديث النبوي الشريف .

ثالثاً : الشعر العربي .

رابعاً : الأمثال العربية القديمة .

المبحث الثاني : طريقة التناص .

مصادرها :-

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : الحديث النبوي الشريف .

ثالثاً : كلام العرب :-

١. الشعر العربي .

٢. النثر العربي :-

أ - الخطب .

ب - الأمثال .

المبحث الثالث : طريقة الإبتكار .

مصادرها :-

١. القدرة والموهبة .

٢. البيئة المناسبة :-

مميزاتها :

١. دقة الصياغة :-

أ – إختيار المفردة .

ب- ملاءمة الألفاظ بعضها لبعض .

٢. وضوح أثر السياق في صياغة المثل .

طرائق المثل في نهج البلاغة ومصادره

إمتلأت خطب الإمام علي (□) ورسائله بطائفة من الأمثال جاءت فيها توضيحاً لفكرة، أو دليلاً على صحة أمر ، أو بطلانه ، وتقوية لموقف أو إضعافاً لأمر ، وقد ذكرت هذه الأمثال فيها بطرائق متعددة ، نذكرها إن شاء الله تعالى في ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : الإقتباس والتضمين

الإقتباس لغة : ((القبس شعلة من نار نقتبسها من معظم ، واقتباسها الأخذ منها ، وقوله تعالى (بشهاب قبس) وفي حديث علي رضوان الله عليه (حتى أوري قبساً لقابس) ، أي أُظهر نوراً من الحق لطالبه .... واقتبست منه علماً أي استفدتهُ))[٥٠] .

الاقتباس إصطلاحاً : ذكر التهانوي (ت ١١٥٨هـ) حداً له قائلاً : ((هو عند البلغاء أن يضمن الكلام نثراً كان أو نظماً شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث لا على انه منه أي لا وجهٍ أن يكون فيه اشعارٌ بأنه من القرآن الكريم أو الحديث .... والاقتباس ثلاثة أنواع : مقبولٌ ، وهو ما كان في الخطب والعهود ، ومباح وهو ما كان في الغزل والرسائل والقصص ، ومردود وهو على ضربين احدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه ... والثاني تضمين آية معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك))[٥١] وقد خُص الاقتباس (بالقرآن الكريم) ((تميزاً له عن سائر الكلام))[٥٢] ، وكذلك سميِّ الأخذ من

---

(50) لسان العرب للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري المتوفي سنه (٧١١هـ) - حققه وعلق عليه وضبط حواشيه عامر احمد حيدر ، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون– دار الكتب العلمية – بيروت ط١– ٢٠٠٥ : ٤ /٢٦٩ .

(51) كشاف اصطلاحات الفنون - الشيخ محمد بن علي التهانوي (ت١١٥٨هـ) ، وضع احمد حسن سيح ، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ١٩٩٨ : ٣ / ٥٢٢ .

(52) أنوار الربيع في أنواع البديع - السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)، حققه شاكر هادي شاكر ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف – ١٩٦٨ : ٢ / ٢٣٢ .

الحديث النبوي الشريف اقتباساً ، لأن كلاهما نورٌ ،وما أُخذ من النور سميٍّ قبساً ، وقد عدهُ البلاغيون ((ضرباً من البديع بوصفهم إياه واحداً من المحسنات البلاغية))[٥٣]

ولما كان الإمام علي (□) قد نشأ وترعرع في أحضان الإسلام ، ونهل علومه واخذ بلاغته من القرآن الكريم ، زخرت خطبه ورسائله بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فضلاً عن الشعر والنثر العربيين ، فعطرت هذه الاقتباسات القرآنية خطب الإمام ورسائله حتى قيل عنه : ((يقال انه اقتبس أحسن كلامه من القرآن الكريم ، وانه برع قوله من القرآن مثل قوله السائر الذي هو احكم مقال بعد كلام الأنبياء(□)))[54]

ومصادر الإقتباس هي :

أولاً : القرآن الكريم :

يعد القرآن الكريم المصدر الأول للأمثال التي ترددت أصداؤها في خطب الإمام علي(□) أو رسائله ولا غرابة في ذلك ، إذا علمنا انه يعد المصدر الأهم في تكوين شخصية الإمام الفكرية والأدبية ، مما جعله يستمد ألفاظه ومعانيه ويوظفها في خطبه ورسائله ، ولا عجباً في ذلك ، إذا عرفنا انه (□) قال واصفاً القرآن الكريم ((إن هذا القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، لا تفنى عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، ولا تكشف الظلمات إلا به))[55] ولقد جاء الاقتباس من القرآن الكريم على ضربين :

الأول : الإحالة إلى مثل قرآني.

الثاني : آيات تجري مجرى الأمثال .

١ - الإحالة إلى مثل قرآني :-

---

[53] معجم آيات الاقتباس ، صنع وترتيب حكمت فرج البدري – دار الرشيد – بغداد ١٩٨٠ : ١٠٨ .

[54] الاقتباس من القرآن الكريم - أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، تحقيق ابتسام مرهون الصفار دار الحرية – بغداد ١٩٧٥: ١١٧ .

[55] نهج البلاغة - تعليق وفهرسة الدكتور صبحي الصالح ، تحقيق الشيخ فارس تبريزيان مؤسسة دار الهجرة - ط١ - ١٤٢٥ : ٥٤ .

الإحالة ((تختلف عن الاقتباس الذي هو تضمين الشعر والنثر بعضَ القرآن لا على انه منهُ،بأن يُذكر قبل الكلام المقتبس قال الله تعالى أو نحوه))[٥٦] وعلى هذا الضرب ، ذكر الإمام علي (□) مثلاً قرآنياً وقبل ان نذكر هذا المثل الذي وظفهُ الامام علي (□) في إحدى خطبه ، لابد من التعريف بالمثل القرآني ولو بشيء من الايجاز ، لأن هناك علماء ألفوا كتباً عديدة في الامثال القرآنية منها :

١- الأمثال الكامنة في القرآن الكريم ، للحسين بن الفضل (ت ٢٨٢هـ) ، تحقيق د. علي حسين النواب .

٢- الأمثال في الكتاب والسنة لمحمد بن الحسن الحكيم الترمذي المتوفى (بعد سنة ٣١٨هـ)[٥٧].

٣- أمثال القرآن ، لإبراهيم بن محمد بن عرفة بن نفطويه المتوفي سنة (٣٢٣هـ)[٥٨] .

٤- أمثال القرآن ، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي المتوفى سنة (٤٥٠هـ).

٥- أمثال القرآن ، لأبن قيم الجوزية المتوفي سنة (٧٥١هـ).

أما من المؤلفين المحدثين فنذكر :

١- أمين الخولي ، في محاضرات في أمثال القرآن.

٢- منير القاضي في المثل في القرآن الكريم.

٣- محمد جابر فياض في (الامثال في القرآن الكريم) .

---

(56) ينظر: ضوابط الاقتباس من القرآن الكريم في الاعمال الادبية ،ا.د أحمد سعد الخطيب ، جامعة الازهر ، بحث مستل من شبكة المعلومات العالمية .

(57) ينظر : الامثال العربية القديمة - زلهايم: ٣٦١ .

(58) ينظر : تاريخ التراث العربي ، د. فؤاد سزكين ، ترجمة محمد حجازي – مطبوعات جامعة الامام – الرياض ، ١٤٠٣ : ٤/ ١٤٨ .

٤-د. محمد حسين الصغير في (الصورة الفنية في المثل القرآني) رسالة دكتوراه مطبوعة سنة ١٩٨١ / بغداد .

فهذه المصادر تحدثت جميعها عن الأمثال في القرآن الكريم واوضحت ما فيها من قيمةٍ ادبيةٍ وما لها من دلالاتٍ وما حملتهُ من معانٍ وأفكار[٥٩]. غير انه ((يبقى مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) أول متحدث عن المثل في القرآن الكريم))[٦٠] وهو الذي حد المثل القرآني بأربعة معانٍ هي : الشبه ، السير ، العبرة ، والعذاب ، ثم ظهرت بعد ذلك أراء عديدة وتعريفات للمثل حملتها المصادر التي أشرنا اليها وغيرها ، لكن الذي يهم البحث هو أن نلتقط تعريفاً واحدا يكاد يغنينا عن الخوض في هذا الخضم من التعريفات .

يقول الدكتور الصغير ، بعد أن يذكر الآراء التي قبلت في حدّ المثل القرآني ويناقشها ؛ إنه ((يرجحُ عندي إن يكون المثل في القرآن قد أستعير لكل شأنٍ ذي بال ، ولكل حدثٍ مستغرب، و لكل قصةٍ أريد بها العبرة ، ولكل وصفٍ لم يتعارف عليه العرب من ذي قبل ، ولكل معنى لم تستطع الإفهام سير أغوارهِ ، وتشخيص فحواه ، إلا بتقريبهِ تنظيراً وتمثيلاً حتى تداولهُ الناسُ وأستوعبتهُ العقولُ))[٦١] وعلى هذا يكون المثل القرآني قد جاء بخصوصيةٍ نادرةٍ تميزهُ عن سائر الامثال التي هي القولُ المشهور أو العبارة المرسلة التي تحمل معنى وعبرة وتشيرالى قصةٍ أو حادثة[٦٢] فهو ((ابتداع لصيغة منفردة في الأداء والتركيب والإشارة))[٦٣] .

كل هذه الصفات جعلت ورود المثل في النص الادبي عندما يستدعيه السياق أضاءةً لجوانب من المعنى وتأكيد لفكرةٍ او نقضٍ لأخرى ، والذي لمسناهُ في نهج البلاغة أن الامام

---

(59) ينظر : الصورة الفنية في المثل القرآني : ٤٠٦ – ٤٠٧ .
(60) م . ن : ٦٠ .
(61) م . ن : ٦٧.
(62) الأمثال الكامنة في القرآن الكريم ، الحسين بن الفضل (ت٢٨٢هـ)، تحقيق علي حسين النواب – مكتبة التوبة الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢: ٩.
(63) الصور ة الفنية في المثل القرآني : ٦٨ .

علي (□) قد وظف مثلاً قرأنياً واحداً حين أستعمله في أحدى خطبهِ بطريقة الاحالة ، فقال عليه السلام حين ذم المتعلقين بحب الدنيا[٦٤] ((أما بعد فاني أحذركم الدنيا ، فأنها حلوةٌ خضرة احُفت بالشهوات ، وتحببت بالعاجلة ... الى ان يقول ؛ ولا تعدو الى امنية اهل الرغبة فيها والرضى بها ان تكون كما قال سبحانه وتعالى □ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا □[٦٥] فجاء بهذا النص القرآني (المثل القرآني) ليقدم معنى ودلالة واضحة على الحياة في زوالها ((ودليلُ ذلك الذي مضى منها بمنزلة ما لم يكن))[٦٦] وقد قدم لنا القرطبي (ت ٦٧١هـ) تفسيراً موفقاً لهذا المثل القرآني ، يقول ((شبه الدنيا بالماء ، لأن الماء لا يستقر في موضع وكذلك الدنيا لاتبقى على واحد ، ولأن الماء لا يستقيم على حالةٍ واحدةٍ كذلك الدنيا ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى ، ولأن الماء لا يقدر ان يدخلهُ ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلمُ احد دخلها من فتنها وآفاتها))[٦٧] ، فهذا التقابل الذي جاء به المثل القرآني واوضحه القرطبي ، تقابل بين صفات الماء وصفات الدنيا، بين الزوال الذي تؤول اليه والزوال الذي نراهُ في الهشيم لدلالةٌ تأكيد لمعنى ، لابد من ان يأخذ الانسانُ منه العبرة والعظةِ ، لأن المثل في أحد أوصافهِ العبرة ، فهذا التشابه بين صفات الماء وصفات الدنيا قد أثرى المعنى

---

(64) شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد : ١٣٦/٧ .
(65) سورة الكهف / الآية : ٤٥ .
(66) الجمان في تشبيهات القرآن – عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا البغدادي (ت٤٨٥هـ)، تحقيق د.احمد مطلوب وخديجة الحديثي – بغداد – ١٩٦٨ : ١٠٥ .
(67) الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق سالم مصطفى البدري – دار الكتب العلمية - بيروت - ط٢ - ٢٠٠٤م : ١٠ / ٢٦٨ .

بالصورة التي دلت عليها الألفاظ القرآنية ، فالماء وما يحمله من دلالة الحياة اذا كان بالقدر المناسب ، كان نافعاً ، فأن جاوز ذلك صار ضاراً مهلكاً ، ولعلنا نستشف من هذا التقابل ، معنى الأعتدال في أمور الدنيا ((فلقد صور الدنيا به في محاولة تفرض التأثير في النفس وتوجه الأنتباه))[٦٨] إلى النهاية التي رسمها الهشيم حين عصفت به الريحُ وليس بعيداً عن ذلك قول المصطفى (□): ((الدنيا حلوة خضرة ، فمن اخذها بحقها بورك لهُ فيها))[٦٩] وتلك دعوة جاء بها القرآن الكريم ، ونطق بها الرسول المصطفى (□) وحث عليها الامام علي (□) ، فهو كلامٌ صادرٌ من نبعٍ نقي واحد ، يدلُ على مدى التأثير الذي تركهُ الأسلام وأفكار القرآن ومعانيه وصورهِ في أسلوب الامام علي (□) وفي طرحهِ لأرائهِ التي وعظ بها الناس ، فكان توظيف المثل في نص الخطبة قد جاء ليزيد في تهذيب النفس وأصلاحها ، والاصلاح منهج الامام (□) ((حريٌّ بهِ ان يصلح شيئاً من النفوس أو يخفف من غلوائها في الأقل من التهافت على الدنيا والأنغماس في مباهجها))[٧٠] وأن يهديها الى الطريق السوي ، طريق الأعتدال والتوازن .

٢ - آياتٌ تجري مجرى المثل :-

إن نظرةً فاحصةً إلى الكتب التي تحدثت عن أمثال القرآن الكريم ، توصلنا الى ان بعض المؤلفين يذهبون الى ان المثل ضربان : ((مثل ظاهر ، ومثل كامن))[٧١] ، ولقد ذكرنا المثل القرآني الظاهر واوضحنا حدوده[٧٢] ، أما المثل الكامن في القرآن الكريم فهو ((عبارة عن ورود اقوال وامثال مشهورة ، توافق في معناها بعض الآيات القرآنية ، فقول

---

(68) الصورة الفنية في المثل القرآني : ١٧٣ .

(69) مسند بن حنبل - رقم أحاديثه محمد عبد السلام عبد الشافي – دار الكتب العلمية – لبنان – ط١، ١٩٩٣م – رقم الحديث ٢٥٨٠٨ ، وينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير الجزري ، تحقيق محمد الطناحي ، وطاهر احمد الزاوي - ط ١ – دار أحياء الكتب العربية – القاهرة – ١٩٦٣ : ٢ / ٤١ .

(70) الإمام علي (γ) سيرتهُ وقيادتهُ في ضوء المنهج التحليلي – د. محمد حسين الصغير ، مؤسسة العارف – لبنان – الطبعة الأولى – ٢٠٠٢ : ٣٤٥ .

(71) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١ / ٤٨٦ . وينظر - الأمثال الكامنة في القرآن الكريم :١١ .

(72) ينظر : الصفحة (١٧) من هذه الرسالة.

العرب: أن الحديد بالحديد يقرع ، يقال انه قريب من قوله تعالى ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا[٧٣]﴾[٧٤] ، فالتوافق في المعنى قاد بعض المؤلفين الى عدّ هذه الآيات أمثالاً كامنة

وهذه التسمية ذكرها السيوطي (ت ٩١١هـ) ومن قبله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في كتابه البرهان في علوم القرآن ،ويرى أحد الباحثين المحدثين ((أن هذه العبارات القرآنية لاتدخل في باب الأمثال ، فأن أشتمال العبارة على معنى ورد في مثل من الأمثال لا يكفي لإطلاق لفظ المثل على تلك العبارة فالصيغة الموروثة ركن أساسي في المثل الذي نرى أن أصطلاح العلماء على تسمية هذه العبارات القرآنية (أمثال كامنة) محاولة لا تستند الى دليل نصي ولا تأريخي))[٧٥] فضلاً عن ان هذه العبارات القرآنية لا تحمل دلالة المثل وقدرته على التصوير والتشبيه والتقريب والمقارنة ، وهي بذلك لا يمكن ان تعد أمثالاً كامنة لأن مهمة المثل إيضاحية للكشف والإبانة ولا يتم هذا الإيضاح إلا بالتصريح في المثل من أجل أدراك وظيفتهِ[٧٦] مما يدفع الى وصفها بأنها ((حكم شاردة أو ألفاظ قرأنية جارية مجرى الأمثال))[٧٧].

ولو تفحصنا كتبَ التراثِ التي أهتمت بالأمثال في تأريخنا الأدبي لوجدنا ان أبا منصور الثعالبي(ت٤٢٩هـ) ذكر في كتابيه (خاص الخاص) والتمثيل والمحاضرة ، وفي فقرة تحت عنوان ، من أمثال العرب وما يتمثل من ألفاظ القرآن بأحسن منها وأبلغ . أن العرب

---

(73) سورة الشورى الآية : ٤٠ .
(74) ينظر : الامثال الكامنة في القرآن الكريم :٩ .
(75) الامثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى : د. عبد المجيد عابدين – مكتبة مصر – القاهرة –: ١ / ١٣٦ .
(76) الصورة الفنية في المثل القرآني : ١١٠ .
(77) ينظر : م . ن : ١١٠ – ١١١ .

تقول في قرب اليوم من غد ((أن غداً لناظرهِ قريب)) وقد نسبه الميداني الى قراد بن اجدع حيث قال :

فأن يكُ صدرَ هذا اليومِ ولى فإن غداً لناظرهِ قريبُ [78]

وفي القرآن قَالُواْ ۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ [٧٩] ، وفي فقرة اخرى ذكر ألفاظاً

أخرى من القرآن تجري مجرى الأمثال[٨٠]،كذلك أورد السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه الاتقان في علوم القرآن وفي ختام موضوع أمثال القرآن ، فائدة ذكر فيها أن جعفر بن شمس الخلافة (ت ٦٢٢هـ) عقد في كتاب (الآداب) باباً في ألفاظ القرآن جارية مجرى المثل ، منها : وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا [٨١] وۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ [٨٢]

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة[٨٣] .

فإذا كانت هذه الألفاظ تمتلك القدرة البلاغية ، فلا يعدُ هذا أساساً لعدّها أمثالاً صريحةً، إنما هي ألفاظ يمكن أن يتمثل بها لما لها من قوة الانتشار والشيوع ، فأنها ((تأخذ مكانتها في المجال البلاغي لا بوصفها أمثالاً ، بل هي فن أخر له مقوماته ومميزاتهُ

---

(78) ينظر: مجمع الأمثال : ١/ ٦.

(79) سورة هود / الآية: ٨١ .

(80) ينظر : التمثيل والمحاضرة - أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة ١٩٦١: ١٥- ١٨ .

(81) سورة الشورى/ الآية: ٤٠ .

(82) م . ن / الآية : ٤٨ .

(83) ينظر: الإتقان في علو م القرآن – ابو بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)– مطبعة الحلبي – تحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم ، القاهرة– ١٩٥١: ٤ / ٤٦ . وينظر - الآداب ، جعفر بن شمس الخلافة (ت٦٢٢هـ)– مطبعة السعادة – مصر ١٩٣١ : ٦٢ .

وصيغهُ))[٨٤] لذلك وجب ان تدرس تحت صيغة ما يجري مجرى الامثال وقد قدم الدكتور محمد حسين الصغير سرداً كاملاً لها في كتابه الصورة الفنية في المثل القرآني[٨٥].

وقد حفل نهج البلاغة وازدان بعددٍ كثيرٍ من الآيات القرآنية الشريفة التي تجري مجرى المثل ، وظفها الامام (□) في خدمة نصه ، خطبةٌ كان أم رسالة ، كي تزيد من القدرة البلاغية والأقناعية في المواضع التي تطلبتها وأستدعتها لذلك ، ففي خطبةٍ له (□) في ذم أهل العراق ، يقول : ((فأنا أول من صدقهُ ، كلا والله لكنها لهجة غبتم عنها ، ولم تكونوا من أهلها ، ويل أمهِ كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء□ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ □[٨٦]))[٨٧] .

ذكر الطبري في تفسيره لقوله تعالى □ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ □ : ((أن الله تعالى أعلم المشركينَ المكذبينَ بهذا القرآن ، إنهم يعلمون نبأهُ بعد حين من غير حدٍ ، فلا قول فيه اصحُ من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر على وقت دون وقت))[٨٨] هذا الإطلاق الذي حملهُ النص القرآني قد حققتهُ اللفظة النكرة (حين) فقد جاءت من دون أي تعريف أو تخصيص لذلك أفادت الأطلاق ، والذي سعى اليه النص القرآني كي يمنح النص بعداً زمنياً غير محدود .

---

(84) الصورة الفنية في المثل القرآني : ١١٨ .
(85) ينظر : م . ن : ٣٨٧ – ٤٠٢ .
(86) سورة ص / الآية : ٨٨ .
(87) شرح نهج البلاغة : ٦ / ١٩٧ .
(88) جامع البيان في تأويل آي القرآن : ١٠ / ٦٠٨ .

أما القرطبي (ت ٦٧١ هـ) فقد ذكر أن تفسير هذه الآية هو ((لتظهر لكم حقيقة ما أقول))[٨٩] فتوظيف الإمام علي (□) لهذه الآية في نص خطبتهِ قد قصد هذا المعنى ، لأنه بعد ذمهم ضرب لهم مثلاً فقال : ((كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء))[٩٠] فهم ليسوا أهلاً لحمل هذا العلم، فليس لديهم ما يتسع لما عنده من العلم ، أو أنهم لا يملكون الوعاء الصالح لهذا العلم النير ، فكانوا كالمكذب الذي لا يمتلك هذا ، وإذا ما أمتلكهُ ، فسيعلم تلك الساعة علم اليقين ؛ إن ما قيل لهُ هو الحقيقة ، وليس انصع من حقيقة يوم البعث والنشور التي لا مناص منها ، مهما طال العمر ، وتمادى بالأنسان أملهُ وغرهُ الغرور ، وأخذتهُ الدنيا بزخرفها وبهرجتها ، فأستعمل الإمام (□) هذه الآية الكريمة أستعمال المثل في النص ، حين دلهم على أن المنكر له ولفضلهِ وسابقته في الأسلام وإنما سيعلم خبره بعد حين .

ونجد توظيفاً آخر لأية قرأنية في نص خطبة له (□) يعظ الناسُ فيها ، يقول[٩١] : ((أفق أيها السامع من سكرتك وأستيقظ عجلتك ... فالحذر الحذر أيها المستمع والجدُّ الجدُّ أيها الغافلۚ□ إِن وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ □[٩٢] ، فجاء بهذه الآية الكريمة وأجراها

مجرى المثل لأنه لا خبير عليم بالأمور إلا الله وحدهُ ((فلا يخبرك بالأمر مخبر [مثل خبير] به أخبرك وهوالله سبحانهُ وتعالى فأنه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين))[٩٣] ، فكأن الإمام علي (□) أراد بهذا الأقتباس للآية القرآنية ، أن يقول لهم إنما أخباري لكم بحالتكم ، وما ستؤول اليه أموركم هو من ذلك الخبر اليقين ((الخبر الذي لا يعتريه شك ، لا يشوبهُ ظن ، خبر صادق ، عضدهُ التأكيد ، الذي جاءت به لفظتي الحذر الحذر والجدّ

---

(89) الجامع لأحكام القرآن : ١٥ /١٥٠ .
(90) شرح نهج البلاغة : ٦/ ١٩٧ .
(91) شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٠٨ .
(92) سورة فاطر / الآية : ١٤ .
(93) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت : ٢ / ٢٧٠ .

الجدّ حين كررها قصد أفهامهم ، فالعرب لا تجمع بين أسمين قد كني عنها ليس بينهما شيء الا أن ينووا التكرير وأفهام المُكلَّم))[٩٤] فكأنما هيأهم نفسياً حتى أستعدوا لهذا الخبر اليقين حين شبه قوله به ، وأخبارهِ لهم هو أخبارٌ صادق صادرٌ من نبع الإخبار الصادق قول الآية الكريمة .

ومثلما حفلت خطب الإمام علي (□) بالآيات القرآنية التي تجري مجرى الأمثال ، فأن وصاياهُ كانت تحمل في ثناياها آيات قرأنية وظفت للغرض نفسهِ فمن وصية له (□) يوصي بها بالزهد والتقوى يقول ((أوصيكم عباد الله بالتقوى))[٩٥] ثم ينتقل الى ذم الدنيا وذم من ركن اليها ويصورها فيقول : ((قد تحيرت مذاهبها وأعجزت مهاربها وأسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل ... وقد أدبرت الحيلة وأقبلت الغيلة □ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ □[٩٦]))[٩٧] .

يقول السيوطي (ت٩١١هـ) ((إن [لات] قد اختلفت فيها ، فقال قوم [لات] فعل ماضٍ بمعنى نقص ، ومثل أصلها [ليس] ، تحركت الياء فقلبت ألفاً لإنفتاح ما قبلها وأبدلت السين تاءاً وقيل هي كلمتان : لا النافية زيدت عليها التاء للتأنيث ، وحركت لألتقاء الساكنين وعليه الجمهور))[٩٨] وهذا التركيب يشعر إن به حذفاً أو التقدير (ولات الحين حين مناص) ، وقد ذكر القرطبي (ت ٦٧١هـ) ((أن القوم أذا قاتلوا وأضطروا ، قال بعضهم لبعض مناص أي عليكم بالفرار والهزيمة فلما أتاهم العذاب ، قالوا مناص ، فقال

---

(94) معاني القرآن - يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية – الطبعة الاولى ، ١٩٥٥ : ٢ / ٤٥ .
(95) شرح نهج البلاغة : ١٢ / ١١٧ .
(96) سورة ص / الآية : ٣ .
(97) شرح نهج البلاغة : ١٢ / ١١٧ .
(98) الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٢٧٣ .

الله عز وجل وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ))[٩٩] ثم يقول : ((قال الجرجاني أي فنادوا

حين لا مناص : أي ساعة لا منجى ولا فوت فلما قدم [لا] وأخر [حين] أقتضى ذلك الواو كما يقتضي الحال أذا جعل إبتداءاً خبراً ، مثل قولك جاء زيد راكباً ، فإذا جعلته مبتدأ وخبراً أقتضى الواو مثل جاءني زيد وهو راكب ، فحين ظرفٌ لقوله تعالى [فنادوا] والمناص بمعنى التأخر والفرار والخلاص))[١٠٠] .

أما الطوسي (ت ٤٦٠هـ) فهو يرى أن قوله تعالى وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ

معناهُ ((ولات فرار من العذاب المناص المناجاة))[١٠١] .

فيما يرى البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) أن [لا] ((هي المشبهة بـ[ليس] ، زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب ثم خصت بلزوم الاحيان ، وحذف أحد المعمولين ، وقيل هي [النافية للجنس] ، أي ولا حين مناص لهم ، وقيل للفعل والنصب أضمارهُ أي ولا أرى حين مناص ، وقرئ بالرفع على إنه أسم لا أو مبتدأ محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلاً لهم ، ولا حين كائن لهم))[١٠٢].

ومهما تعددت أراء اللغويين والمفسرين ، فإن الذي نراهُ إن الإمام () لجأ إلى توظيف هذه الآية الكريمة في نص وصيتهِ كما توظف الأمثال في نصوصهِ الأخرى ، فقد أراد بها التمثيل، فكأنما عرض لهم صورة ، هم يعرفونها ، صورة الفرار من الحرب أو الشدة وليس أشدُ من هول يوم القيامة ، تلك الصورة التي تأخذ بأبصارهم ، فكأنما صور

---

[99] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : ١٥ / ٩٦ .

[100] م . ن : ١٥ / ٩٦ .

[101] التبيان في تفسير القرآن - أبو جعفـرمحمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب القصير ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف ١٩٥٧ : ٨ / ٥٤٠ .

[102] انوار التنزيل واسرار التأويل - البيضاوي : ٢ / ٣٠٦ .

لهم هذه الحالة بتلك وحذرهم من الوقوع بمثلها ، حيث لا مهرب لمكذب ولا خلاص لشاكٍ ، فأستحضار هذه الصورة في نص الوصية ، جاء ليقدم تأكيداً للمعنى الذي قصدهُ وللدلالة التي وفرتها كلماتهُ وهو الذي وصفهم بالعجز حين أسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل ، وتقطعت بهم السبلُ ، وأدبرت عنهم الحيلة ، وأقبلت الغيلة ، وأيةُ غيلة انها هول المصدر والوقوف بين يدي جبار متكبر .

لم تقتصر إقتباسات الإمام علي (□) القرآنية التي وظفها في نصه على شكل محدد منهُ، فنراهُ يقتبس آية كريمة ويدخلها في عهدٍ له الى الأشتر النخعي (□) حين ولاهُ مصر وعهد اليه أدارة شؤونها . وهذا العهد الذي يعدُ وثيقةً صالحةً للحكم والسيرة الحسنة في سياسة الناس والدول، فبعد أن يسدي اليه النصائح يقول : ((إياك والمن على رعيتك بأحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك ...))[١٠٣] إلى أن يذكر له قوله تعالى□ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ □[١٠٤] ، فإذا كان المقت هو ((البغض))[١٠٥] كبر مقتاً أي عظم بغضاً ، فلا تدع لنفسك أيها الأنسان في هذا الموضع الذي لا يريدهُ لك خالقك (لأن المقت أشد البغض) ونصبهُ على التمييز للدلالة على ((ان قولهم هذا مقت خالص))[١٠٦] والآية الكريمة قد حدث فيها حذف ، اذ التقدير ((كبر قولهم مقتاً))[١٠٧]، ولقد نصب مقتاً على التمييز والمعنى ((كبر قولهم ما لا يفعلون مقتاً ،وقيل هو حال ، والمقت

---

(103) شرح نهج البلاغة : ١٧ / ١١٤ .
(104) سورة الصف / الآية :٣.
(105) تفسير غريب القرآن الكريم - فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، الناشر: إنتشارات زاهدي– قم :١/ ١٣٧ .
(106) انوار التنزيل واسرار التأويل- البيضاوي : ٢ / ٤٨٩ .
(107) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن - أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ) - دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الاولى ١٣٧٩هـ : ٢ / ٢١٩ .

والمقاته مصدران ، يقال رجل مقيت وممقوت أذا لم يحبه الناس))[١٠٨] فهذا التوظيف لهذه الاية الكريمة بما تحملهُ من دلالات ، جاء ليقول للأشتر النخعي (□) : لاتجعل نفسك كحال الذين بغضت أعمالهم فهم ممقوتون عند الله وأجعل نفسك ممن يحبهُ الناس ، ويأنسون بلقائه ، وافعل الذي تقولهُ لأن من يقول ولا يفعل يكون ممقوتاً عند الناس وعند الله جل وعلا ، ولما كانت الالفة من صفات البشر والأنسان بطبعهِ يحبُ الأجتماع ويرغبُ بالأختلاط ، فأن كره الناس وبغضهم صفه غير مرغوبه وخصلة غير محببه في شخص فكيف أذا صارت هذه صفة لحاكم ، إذ من الاجدى به أن يكون محبوباً في رعيته حتى يضمن طاعتهم وتسهل أدارتهم ، فمن كان بعيداً عن الناس وهو أولى بهم كان بعيداً عن خالقهِ ، وليس ذلك من أخلاق ولاة أمير المؤمنين (□) فهذا التوجيه ليس للأشتر إنما لكل من أمتلك أمر الرعيه .

وهذه الآيات الكريمة التي وظفها الامام (□) في نصوص خطبهِ ورسائلهِ ووصاياهُ وعهودهِ ، جاءت لتؤكد المعنى الذي قصدهُ وتوضح القصد الذي سعى اليه لأن المثل وما جرى مجراه له وظيفة الايضاح والتأكيد والكشف والإبانة وتقريب البعيد وكشف الغامض ، وتوضيح المبهم ، وهي بعد ذلك تقوي حجة الخطيب بالدليل الحي الملموس ، فكانت هذه الآيات التي جاءت في النص العلوي ، تمتلك قدرة إبلاغية ، وقوة تأثير في المتلقي أكثر مما تمتلكهُ الأمثال ، غير أن للأمثال صفات تنفرد بها وخصوصية تكتنفها .

وفي نهج البلاغة توظيف كثير لعدد من الآيا ت القرآنية التي تجرى مجرى الأمثال[١٠٩]

ثانياً : الحديثُ النبويُّ الشريف :

---

[108] الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ٥٣.

[109] ينظر : شرح نهج البلاغة: ٢ / ٣٠٠ ، ٦/ ٢٥١ ، ٨ / ٢٤٥ ، ٩ / ٢٥٠ ، ١١ / ١٣٨ ، ١٣ / ١١٧ ، ١٣ / ١٠٧ ، ١٣ / ١٣٨ ، ١٥ / ١٦٦ وغيرها .

هو حديث من لاينطقُ عن الهوى﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[110] حديث المصطفى

(ﷺ) الذي بعثه الله جلَّ وعلا رحمةً للعالمين﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾[111] ليهدي الناس

بعد ضلالة ، فأنقذهم ودلهم الى سواءِ السبيلِ ، حمل إليهم كتاب الله العزيز الذي فيه تبيانٌ لكل شيء ، فأحيا به أمة كادت أن تموت ، بعث فيها القوة والعزة ووحدها بعد فرقةٍ وأعزها بعد ذُلٍ ، وتحدى بلغاءها بعدما زهوا وأختالوا فرحاً ببلاغتهم وبيانهم ، فأتاهم بالجني النضر ، والكلام المعجز ، فهالهم ما سمعوه وسحرهم بيان المصطفى (ﷺ) وفصاحتهُ ، وهو القائل وقولهُ الصدق ((أنا أفصحُ العربِ بيد أني من قريش))[112] فكان حديثهُ ((كلما أراد أن يعظ فيحذر ويصف فينشر بجملٍ))[113] وتراكيب فيها من الجدة والأيجاز والبلاغة ما تعجز عنه قرائح البلغاء العرب .

وعند أفصح العرب نشأ إمام البلاغةِ وفارسُ البيان ((بعد أن كانت ولادته في الكعبةِ ونشأتهُ في حجر النبي (ﷺ) وقبول إسلامه مبكراً وتلك أحدى كراماتهِ في الأقل))[114]، وهي مزية أمتاز بها ((بين السابقين بأنه نشأ نشأة أسلامية خالصة ... نشأ في منزل الوحي

---

(110) سورة النجم / الآية : ٤ .
(111) سورة الشعراء/ الآية : ١٩٥ .
(112) الفائق في غريب الحديث - جار الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ) - تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - دار أحياء الكتب العلمية – القاهرة – ط١- ١٩٤٥ : ١ / ١١ .
(113) التصويرالفني في خطب الإمام علي (ﷺ) رسالة ماجستير عباس علي الفحام ، كلية التربية للبنات - الكوفة- ١٩٩٩، بأشراف د. سعيد المحنة : ١٠٦ .
(114) الإمام علي (ﷺ) سيرتهُ وقيادتهُ : ١٦ .

بأدق هذه الكلمة وأضيقها))[١١٥] ، فكان الإمام علي (□) من ألصق الناس برسول الله (□) ومن أكثرهم تطبعاً بأخلاقهِ ، وفهماً لرسالتهِ ، وقد وصف لنا الإمام علي (□) هذه العلاقة الحميمة بقوله : ((وقد علمتم موضعي من رسول الله (□) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجرهِ وأنا وليد ، يضمني الى صدرهِ ويكنفني فراشهِ ، ويمسني جسدهُ ، ويشمني عرفهُ ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيهِ ، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل .... وكنت أتبعهُ أتباع الفصيل أثر أمهِ ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقهِ علماً ، ويأمرني بالأقتداء به))[١١٦] فهذا الإلتصاق والإندماج في شخصية الرسول الأكرم (□) تجلى في أن كلام الامام (□) صار الحديث النبوي الشريف مصدراً أساسياً له ، فمنهُ نبع وفيه تربى ونشأ فأستلهم معانيه وألفاظهِ والتي وصفها الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) حين قال : ((لم يسمع الناس كلاماً أعم نفعاً ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدلُ وزناً ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً لا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامهِ(□)))[١١٧] .

هذه البلاغة الفريدة لأحاديث الرسول الأكرم (□) وجدت لها حيزاً متميزاً في خطب الإمام علي(□) ورسائله ووصاياهُ . ففي خطبة له (□) يوصي بها المسلمين بطاعة اللهِ والالتزام بأخلاق الإسلام فيقولُ ((عبادُ اللهِ ، أن أنصح الناس لنفسهِ ، أطوعهم لربهِ ... وأعلموا أن يسيرُ الرياء شرُ ... إلى أن يقول : جانبوا الكذب فأنه مجانب للأيمان ... و لا تحاسدوا فأن الحسد يأكلُ الأيمان كما تأكلُ النارُ الحطبَ))[١١٨] فقولهِ ((ولا تحاسدوا فأن الحسد يأكل الأيمان كما تأكل النار الحطب))[١١٩] حديث نبوي شريف أخرجه أبو دؤاد في

---

(115) الفتنة الكبرى ـ طه حسين ـ دار المعارف – القاهرة ١٩٦٨ : ١ / ١٥١ .
(116) شرح نهج البلاغة : ١٣ / ٢١٠ .
(117) البيان والتبين : ٢ / ١٧ .
(118) شرح نهج البلاغة : ٦ / ٢١٥ .
(119) سنن أبي داود ـ صنفه وجمعه الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السدي السجستاني – ط١ – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٩٥٢م : ٢ / ٥٧٤ . وقد ذكره بنص آخر ((إياكم والحسد فأن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)) أو (قال العشب). وينظر التمثيل والمحاضرة :٢٤ .

سننهِ وأبن حجر العسقلاني في ((سبلِ السلامِ))[١٢٠] ، ذكر الإمام علي (□) هذا الحديث ضمن خطاب أراد به الحث على الخلق الحميدةِ ، فبدأهُ بنداء (عباد الله) على تقدير حذف (ياء) النداء حتى يثير أنتباه من يخاطب . ثم أشفع هذا التنبيه بالاخبار المؤكد بـ(أن) المؤكدة ، ثم أنتقل بعد ذلك الى مرحلة أخرى في عملية تدرج الخطاب وفي خطوةٍ لبلوغ ما يقصد من معنى ، فأمر مخاطبيهِ ، بتجنب الكذب الذي وصفهُ بأنه مجانبٌ للأيمانِ وبهذا التشخيص الذي منحهُ للكذب بعد أن أكدهُ بـ (أن) التي هي ((أداة وضعت لتؤدي معنى التوكيد وتهيمن بمعناها هذا على الفكرة التي تُبنى على الإسناد))[١٢١] ثم ينتقل الخطاب وهو في تدرجهِ الى مرحلة اعلى وأشد تأثيراً وهي مرحلة النهي ((الذي من دلالتهُ الإستعلاء))[١٢٢]، فنهى عن الحسد الذي أستعار له لفظة الأكلِ ، ثم أردف ذلك التوكيد بالتشبيه للزيادة في تمكين المعنى من نفسِ المخاطبِ ، فجاء الخطابُ متدرجاً من التنبيه الى الأخبار الى الأمرِ ثم الى ذروتهِ وهي النهي المؤكد بحديث نبوي شريف أضاء النص ببلاغةِ المصطفى (□) وسحر بيانهِ ، ولا شك في ((إن الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف حجةٌ على السامع تحملهُ على قبولِ ما يطرحهُ المتكلمُ والتفاعلُ معهُ))[١٢٣] ، وهذا ما قصدهُ الامام علي (□) من إيراد الحديث النبوي الشريف في تقوية الحجة وفي سطوع البيان .

وتستمر خطب الإمام (□) الوعظية مستثمرةً الحديث النبوي الشريف لتدخلهُ نصاً يتلألأ في ثنايا هذه المواعظِ ، يقول الامام (□): ((أن أفضلَ ما توسلَ به المتوسلون إلى

---

[120] سبل السلام - الإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني المعروف بالأمير (ت١١٨٢هـ) شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني القاهري (ت٨٥٢هـ) ، ضبط وتعليق وتخريج الشيخ خالد عبد الرحمن العك – دار صادر – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م : ٤ / ٣٧٤ .

[121] خطب نهج البلاغة - بحث في الدلالة - رسالة ماجستير للطالب أحمد هادي زيدان ، كلية التربية – جامعة بابل - أشراف د . صباح عباس السالم ، ٢٠٠٦ : ١٧٩ .

[122] ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين - قيس إسماعيل الأوسي – بيت الحكمة – بغداد ١٩٨٨م :١١٣.

[123] التصوير الفني في خطب الإمام علي (٧) : ١١٠ .

اللهِ سبحانه وتعالى الأيمانُ بـه وبرسولهِ والجهادُ في سبيلهِ ، فإنـهُ ذروةُ الإسلام ... وكلمـةُ الإخلاص فأنها الفطرة وإقام الصلاة فأنها الملة : إلى أن يقول وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان))[١٢٤] ، ففي هذه الخطبـة الوعظيـة ذكر الإمـام (□) أهم ركـائز الأيمـان ، فـذكر أن الأيمـان بـالله جل وعـلا وبرسـولهِ البـشير النذيرالـذي حمـل رسـالتهُ الـسمحة إلـى الإنسانية كافة ليخرجها من الظلمات إلى النور ، فأوجب هذا الإخراج الأيمـان والاقتداء ثم العمل وفق ما جاء به الإسلام ، وقد أستعمل الإمام علي (□) حديثاً نبوياً شريفاً في خطبتـهِ هذه ، وهو (صنائع المعروف فأنها تقي مصارع الهوان)

ذكره أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ) في كتابه ((أحكام القرآن))[١٢٥] وذكرهُ السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابهِ ((الجامع الصغير))[١٢٦] والحديث في هذين المصدرين خالٍ من (إن) المؤكدة وضمير الشأن (الهاء) ، نرى أن الإمام علي (□) قد جاء بها انسجاماً مع السياق الذي ورد به الحديث ، لأن ما قبلهُ من الجمل جملٌ مؤكدةٌ بـ (أن) وضمير الشأن (الهاء) ، فالسياق اللغوي هو الذي فرض هذا التأكيد وهذه الصيغة ثم أن هذا النص الذي ورد ضمنهُ الحديث النبوي الشريف قد تدرج تبعاً لأهمية الأفكار التي دعا إليها ، فبدأها بالواجبات وأولها الأيمان بالله ورسولهِ ، وثانيهما : الجهادُ في سبيلهِ ، وثالثهما : كلمة الإخلاص وهي التوحيد وهي الأصلُ ، لكن الإمام (□) أخرَ مجيئها في النص ((لأن الجهادَ كان هو السببُ في أظهارِ الناسِ لها ونطقهم بها فصار كالأصل بالنسبة إليها))[١٢٧] ، ثم ينتقلُ الخطابُ بعد أن ذكر الواجباتِ إلى الدعوةِ إلى عملِ المستحبات أو النوافلِ ، ويؤكدها كما أكد الجمل التي سبقتها وبالأداةِ نفسها ، مشفعاً

---

(124) شرح نهج البلاغة : ٧/ ١٣٧ . مجمع الأمثال : ٢ / ٤٤٩ .

(125) أحكام القرآن الكريم - أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت٣٧٠هـ)، دار الكتب العلمية _ بيروت – الطبعة الأولى – سنة ١٤١٥هـ : ٢ / ٣٥٢ . وقد ورد بنص آخر هو "صنائع المعروف تقي مصارع السوء" .

(126) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير - جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) – ط٤ – مطبعة مصطفى الحلبي وأولادهُ – مصر – ١٩٥٤م : ١ / ٣٩ .

(127) شرح نهج البلاغة : ٧ / ١٣٣ .

قولهُ بالحديث النبوي الشريف الذي هو حجة على من يسمعه والحديث فيه دلالة الحث على عمل الخير ، ومن دلالاته الأخرى يستشف (التعريض) الذي تظهرهُ ألفاظ (مصارع الهوان) فهي ما لا تطلبه النفس الأبية ، والمسلم لا يستسيغ نهايةً هينة ، لأن مصارع الهوان هي ((كأسر الروم للمسلم أو كأخذ الظلمة لغير المستحق للأخذ))[١٢٨] ، ففي هذا الجو النفسي وظف الحديث النبوي الشريف في النص ليؤكد المعنى ويزيد تمكينه من نفوس مخاطبيه .

وقد جاءت نصوص أحاديث المصطفى في كثير من خطب الإمام عليّ (□) ورسائلهِ ففي أحدى خطبه التي يوبخ الخوارج فيها : يقول ((ثم أنتم شرار الناس ، ومن رمى به الشيطان وضرب به تيهه ، وسيهلك فيَّ صنفان محبٌّ مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق ، وخير الناس حللا النمط الأوسط فألزموه وألزموا السواد الأعظم "فأن يد الله على الجماعة))[١٢٩] .

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ) في شرحه ((وجاء في الخبر عن رسول الله (□) هذه اللفظة التي ذكرها الإمام (□) وهي يدُ الله على الجماعة ، ولا يبالي بشذوذ من شذ))[١٣٠] ، فجاء هذا المثل النبوي في سياق كلام الإمام (□) الموجه للخارجين عن أجماع الأمة فكأنما أراد أن يوضح لهم ويصور لهم حالهم وهم خارجون عن إجماع المسلمين خارجون عن رعاية الله وتأييدهِ ، فأستعمل كلمة (يد) في دلالتها المجازيةِ لتعطي معنى التأييد ، وأسند هذا التأييد بحصول الإجماع فأنه قوة للإسلام والأمة .

ومن خطبةٍ للإمام علي (□) يحث فيها على أخذ العبرة من دروس الحياة فنراه يلجأ في ذلك إلى إستعمال المثل أداة في إدانة المعنى ووسيلة في إيصاله إلى متلقيه فهو يخاطبهم

---

(128) م . ن : ٧ / ١٣٣ .

(129) سنن الترمذي - الإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان – دار الفكر – ط٢ ، ١٩٧٤م : ٣ / ٣١٦ . الجامع الصغير : ٢ / ٤٢ . والمستصفى في علم الأصول - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) – المطبعة : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧ هـ : ١٣٩ .

(130) شرح نهج البلاغة : ٨ / ٧٢ .

بقوله ((عباد الله ان أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه ... وسعيد من وعظ بغيره والشقي من أنخدع بهواه وغروره))[١٣١] ، ففي هذا الخطاب الذي أبتدأهُ بالتنبيه وأعقبهُ بتأكيد جملهِ كي يدلَ على أهمية القول ويحث على الإلتزام به مستعملاً حديثاً نبوياً شريفاً ((السعيد من وعظ بغيرهِ))[١٣٢] ، وهذا ((مثلٌ في الأمرِ بحسن التدبر))[١٣٣] ولقد ذكر بعض المؤلفين أن العرب قد قالت في هذا المعنى[١٣٤] ، غير أن المعنى الذي جاء به هذا الحديث النبوي الشريف قد أمتاز بصفة العمومية التي وفرتها له الصياغة التي إعتمدت الجملة الشرطية تركيباً قادراً على نقل المعنى وأدائه بأجمل صورة ، هذه الصورة الجميلة والمعنى البليغ وظف في نص الخطبة ليخدم الغرض الذي من أجلهِ قيلت فالمقام مقام وعظ وإرشاد وتنبيه ، أستدعى هذا المثل قد يعطي للنص قدرة عالية في أداء المعنى وجمالية تثير إنتباه المخاطبين مما يمتلكه الحديث النبوي من قدرة على الإبلاغ قلّ نظيرها ومن قابلية فريدة في التأثير في الناس منحها الله جلّ وعلا لرسولهِ الكريم (□) .

ولم يقتصر إقتباس الإمام علي (□) للأحاديث النبوية على نوع واحدٍ من كلامهِ بل شملت معظم رسائله وخطبهِ ووصاياهُ[١٣٥] .

ثالثاً : الشعر العربي :

---

(131) شرح نهج البلاغة : ٦ / ٢١٥ ، المستقصى في أمثال العرب – جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان : ٤٥٣ .

(132) سنن ابن ماجه - الإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) ، تحقيق محمود محمد نصار – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ، ١٩٩٨م : المجلد ١ / ٥٠ .

(133) زهر الأكم في الأمثال والحكم - الحسن بن مسعود نور الدين اليوسي (ت١١٠٢هـ) ، تحقيق محمد محي ومحمد الأخضر – الدار البيضاء- المغرب ، ١٩٨١م : ٢١٠٢ .

(134) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء – ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج – دار أحياء الكتب العلمية – القاهرة ، ١٩٦١م : ٢٦١ . قد ذكر أن الشاعر الحارث بن كلدة وهو شاعر وطبيب جاهلي مشهور قال في هذا المعنى :

أن إختيارك لا عن خبرة سلفت ولا الرجاءُ مما يخطيء النظرُ

أن السعيد لهُ في غيرهِ عظة وفي التجارب تحكيم ومعتبرُ

(135) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٧ ، ٦ / ٢١٥ ، ١٦ / ٦٧ ، ١٨ / ١٧٩ ، ١٩ / ٧١ .

يقول الزمخشري عن التضمين لغة هو ضم الوعاء الشيء ، وتضمنه وضمنه إياه وهو في ضمنه يقال ضمن القبر الميت وضمن كتابه وكلامه معنى حسناً وهذا في ضمن كتابه وفي مضمونه ومضامينه[١٣٦] وقد ذهب بعض الباحثين إلى إن الأخذ من غير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يسمى تضميناً[١٣٧] ، وهذا التعريف يدلُ على أن التضمين هو الأخذ والأحتواء أوهو ((جعل الشيء في شيء يحتويه ، من ذلك قولهم ضمنتُ الشيء أذا جعلته في وعائهِ))[١٣٨] .

التضمين إصطلاحاً : هو أن يضمن المتكلم كلامهُ كلمة من بيت أو أية أو معنى مجرد من كلام أو بيت شعر[١٣٩] فيما أكد الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) على التنبيه على الشيء المضمن ((إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء))[١٤٠] .

وللتضمين فوائد في النص الأدبي منها ((ترصيع الكلام بأثر جيد يظهر جمال التعبير في فنية الأختيار ، والتوسع في معاني الكلمات من حيث توسع مدلولاتها بما يناسب المقام ، وكذلك حفظ الأثر الحسن خوفاً عليه من الزوال))[١٤١] فظاهرة التضمين موجودة في الأدب العربي شعراً كان أم نثراً .

وقد حفل كلام الإمام علي (□) الذي نشأ في بيئة يكثر فيها الشعراء ، مما ترك ذلك أثراً واضحاً في كلامهِ حين ضمن بعض خطبه ورسائله أبياتاً شعرية قد غدت أمثالاً

---

(136) أساس البلاغة - أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري المتوفى(٥٣٨هـ) - تحقيق محمد باسل عيون السود - منشورات دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة الأولى - مادة (ض . م. ن) جـ٢ / ٥٤ .

(137) ينظر : بديع القرآن – أبن ابي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) - تحقيق د. حنفي محمد شرف – دار نهضة مصر – (د . ت) : ٥٢ .

(138) جمهرة اللغة - أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأسدي (ت٣٢١هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية – لبنان – ط٥ ، ٢٠٠٥م : ٢ / ٩٧ .

(139) حسن التوسل إلى صناعة الترسل - شهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥هـ) ، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد للنشر – بغداد ١٩٨٠ : ٢٣٨ .

(140) شرح التخليص في علوم البلاغة - الخطيب القزويني ت(ت٧٣٩هـ)، شرحه وخرج شواهدهُ محمد هادي دويدري ، دار الجيل – بيروت ١٩٨٢ :٢٠١ .

(141) ينظر : التضمين بين حروف الجر في القرآن الكريم - رسالة ماجستير إسماعيل الهاني - جامعة بغداد بإشراف الأستاذ كمال إبراهيم ١٩٦٨م : ٩ .

متداولةً لما تملكه من قوة الفكرة والذيوع والشهرة ، فأشار إلى بعض أسماء الشعراء ولم يذكر بعضاً منهم ربما لشهرتهم ومعرفة المتلقي بهم آنذاك .

فالتضمين لهذه الأبيات الشعرية ربما جاء لإشباع حاجة النص إلى المثل بما يمتلكهُ من قوة الشيوع والأنتشار ودلالةٍ قد تلتقي مع الدلالة التي قصدها النص خطبة كان أم رسالة ((أو لسبب الحكمة أو القول السديد))[١٤٢] الذي تحمله هذه الأبيات لذلك ضمنها نصه النثري ، ففي خطبة له(□) المسماة (الشقشقية) يقول : ((حتى أذا ما مضى الأول إلى سبيلهِ ، فأدلى بها إلى أبن الخطاب بعدهُ ؛

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر [١٤٣]

هذا التضمين في نص خطبة الإمام (□) جاء بعد أن تحقق التلاقي في المواقف ، فالشاعر قد عاش يومين متناقضين ، دلت عليه شتان ((فيومه الأول في الهاجرة والرمضاء وهو أسير على كورة الناقة ، ويوم حيان وهو في سكرة الشراب ، ناعم البال ، مرفّه من الأكدار والمشاق))[١٤٤] ،

فأشبهت هاتان الحالتان حالة الإمام علي (□) فبينما هو المقدم والموّلى فإذا به ينظرُ إلى مقامهِ وقد أُسند إلى غيرهِ ، وزحزح عنهُ ، فهذا التشابه هو الذي أستدعى المثل (البيت الشعري) إلى النص النثري ، ليقرب الصورة ، ويؤكد المعنى الذي قصدهُ ، لأن المتلقي كان عارفاً بحال الشاعر فالمقارنة بها تؤكد المعنى وتقربهُ ، وفي هذا المثل ((تصوير للألم الذي أنطوت عليه نفسه(□) بسبب إقصائه عن الخلافة))[١٤٥] وضمن هذا السياق وتحت تأثير هذا الموقف جاء تضمين الإمام علي (□) لخطبة له بيتاً من الشعر عندما سأله أحد

---

(142) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي : ٣ / ٣٤٤ .

(143) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٠٢ . وينظر - ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)- تحقيق محمد محمد حسين - المطبعة النموذجية – القاهرة- ١٩٥٠ : ١٠٨ .

(144) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٠٢ .

(145) التصوير الفني في خطب الإمام علي(γ): ١٢٠ .

أصحابه : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام؟ فقال(□) : ((يا أخا بني أسد : إنك لقلق الوضين ، ترسّل في غير سدد ... إلى أن قال أما الاستبداد علينا في هذا المقام ... فأنها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين ، والحكم لله والمعود إليه يوم القيامة :

ودع عنك نهباً صيح في حُجراتهِ ولكن حديثاً ما حديث الرواحلِ [١٤٦]

جاء هذا التوظيف للشعر في النص النثري ضرورة أستدعاها النص الذي بدأ بأسلوب التوكيد حين أكد بـ (أن) واللام المؤكدة ثم وصفهُ بـ (قلق الوضين) والوضين : ((هي الوسادة التي توضع على ظهر الناقة))[١٤٧] فإذا ما تحركت أصبح الجالسُ عليها غير مستقر ، فكأنما السائل منكر فهو قلق في موقعهِ ، لذلك خاطبهُ (□) بأسلوب الأمر حين أستعمل لفظة (دع) طالباً منه ترك السؤال عن ما مضى فالذي هو فيه يستحق أن يسأل عنه وهو أعظم مما مضى وانقضى لأن عصيان معاوية عن البيعة شقَ صفوف المسلمين ، وأحدث فتنةً أضعفت جبهة المسلمين ، فجاء الأستشهاد بهذا البيت لما لهُ من معنى يحملُ قصةً عرفها مخاطبوه فسارت عندهم حادثةً يضرب بها المثل ، وحين يكون الشعر مثلاً تكون الإبانة متحققة والوضوح مدركاً وتلك حاجات يسعى إليها أي خطيب يريد إيصال فكرة ، أو تعضيد أمر ، والأثنان قد تحققا في هذا الإستشهاد .

---

(146) شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٤١ .
البيت الشعري موجود في ديوان امرئ القيس ، حققه وشرحه وضبطه بالشكل ابياتهِ حنا فاخوري – دار الجيل ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ : ٣١٢ وهو بهذا الشكل:
ودع عنك نهباً صيح في حجراتهِ وهاتِ حديثاً ما حديثُ الرواحل

(147) م . ن : ١ / ١٤١ .

وتستمر الأحداث وتستمر الخطب ، ويستمر الأستشهاد والتمثيل بالشعر العربي فقد صغى القوم إلى التحكيم وما آل إليه ، فقام الإمام علي (□) خطيباً يأمرهم وينهاهم ويرشدهم فهو يقول:((فكنتُ أنا وإياكم)) كما قال أخو هوازن :

أمرتُكُم أمري بمنعرج اللّوى فلم تستبينوا النُصح إلا ضُحى الغدِ[148]

تمثل الإمام علي (□) بهذا البيت الشعري ليوبخَ أصحابهِ الذين لم يستمعوا إلى رأيه ولم يأخذوا بنصيحتهِ ، فكانت ((حالة التلاقي بين قضية التحكيم وما آلت إليه من تفرق واختلاف في أصحاب الإمام (□) وبين قصة دريد بن الصمة ، وما أنتهى إليه عدم الأخذ برأيهِ))[149] هي التي استدعت هذا التمثيل .

فهنا يظهر تشابه بين الموقفين ، وظفه الإمام في خدمة تأكيد رأيه وتقريب المعنى الذي قصدهُ من خطابهِ ، إذ نلحظ أن الإمام علي (□) قد مهد للإستشهاد بهذا البيت التأكيد الذي جاء به عندما أستعمل الضميرين المتصل والمنفصل في (فكنتُ أنا) لأن هذا التأكيد هو((أقوى وادعى لقبول تمثلهُ))[150] بالبيت الشعري .

أن توظيف الإمام علي (□) الأبيات الشعرية الجارية مجرى المثل في خطبه ورسائله لم يقتصر على لون واحد معين ، فتراهُ في بعض رسائله يستشهد ببيت من الرجز حيث رد على رسالة معاوية ، فقال : ((وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف

---

[148] شرح نهج البلاغة : ٢/ ١٢١، وينظر : ديوان دريد بن الصمة الجشمي : قدم له د. شاكر الفحام – جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي – دار قتيبة – ١٩٨١م : ٤٧ . وهو من قصيدة لدريد بن الصمة مطلعها :

نصحتُ لعارضٍ وأصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شُهدي

وعارض هو أخو دريد لم يسمع نصح أخيه فكان ان لقي حتفهُ .

[149] التصوير الفني في خطب الإمام علي(γ) : ١١٩ .

[150] أساليب التأكيد في نهج البلاغة (دراسة دلالية) - رسالة ماجستير - أصيل محمد كاظم الموسوي - كلية التربية – جامعة القادسية ، أشراف د.جواد كاظم عناد ٢٠٠٢م : ٩٨ .

... لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل))[١٥١] ، فجاء بهذا الرجز في نص الرسالة ليؤدي غرضاً قصدهَ ويرد إدعاءا حملتهُ رسالة معاوية ، فهو يتوعدهُ بعد أن عجز النصح عن أصلاحهِ حين تمادى معاوية بغيهِ ، وذلك ابلغُ له وأشدُ إيضاحاً ولربما أشدُ إيلاماً فهو يعرف مصير السارق وعلاجهِ المرتقب ، فهذه الصورة التي يختزنها معاوية وممن حولهِ في ذاكرتهِ حتى هزها هذا الأستشهاد ، وبذلك تعزز القصد الذي من أجلهِ أنشئت الرسالة .

كما نلحظ أن الأستشهاد بالشعر في الخطب والرسائل التي ذكرت في نهج البلاغة ، لم يكن كثيراً، وقد أفرد الدكتور صبحي الصالح فهرساً لها في كتابه ((نهج البلاغة))[١٥٢] وكذلك وضع محقق (شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد) فهارس لهذه الأبيات الشعرية وأشار إلى قائليها ، لكننا وجدنا إن الاستشهاد بالشعر ليس دائماً يحمل دلالة المثل وقدرته في الذيوع وقابليته على التوصيل ، بما يمنح النص قدرة على إيصال الفكرة ، ودحض الرأي أو تعضيدهُ ، ولكننا سنشير إلى هذا التمثيل بالشعر في نهج البلاغة الذي توزع على الخطب والرسائل والوصايا ، وقد يكون هذا الإستشهاد بيت من الشعر أو شطراً من بيت حسب ما يقتضيهِ السياق ، ويتطلبهُ الموقف[١٥٣].

رابعاً : الأمثال العربية القديمة :

---

(151) شرح نهج البلاغة : ١٥ / ١٠٦ ، جمهرة الأمثال : ١٠ / ٣٦٩ . ذكر أن الرجز لحمل بن بدر الفزاري صاحب الغبراء أغير على ابله في الجاهلية فاستنقذها فقال :

لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل ما أحسن الموت أذا حان الأجل

وينظر : المستقصى - أبو القاسم جار الله الزمخشري – دار الكتب العلمية – بيروت : ٣٨٦ .

(152) ينظر: نهج البلاغة - ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية - د. صبحي الصالح - ط١ – بيروت ١٩٦٧م : ٨١٩.

(153) ينظر : شر ح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد :١ / ١٩٨، ١ / ١٩٨، ١٥ / ١٠٥، ١٥ / ١٠٦، ١/ ٢٨٦ ، ١٧ / ١٤٥ .

خلف لنا عرب الجاهلية طائفةً كبيرةً من الأمثالِ التي حفظتها لنا كتب الأمثال وتناقلتها العرب . فهي أمثالهم التي حفظت لنا شيئاً من أفكارهم وعاداتهم وأسلوب حديثهم ((ولسنا نرتابُ في نسبة هذه الأمثال إلى العصر الجاهلي ، لأن طبيعة الأمثال ما يكفل بقائها زمناً ، فعباراتها قصارى يسهل حفظها ، وبقاؤها وتداولها))[١٥٤] يضاف إلى ذلك ((أن العرب كانت تُكثر من صنع الأمثال في جميع أحداثهم وشؤون بيئاتهم وكثراً ما كانوا يسوقونها في خطبهم))[١٥٥] للمواصفات التي تمتاز بها عن سواها من فنون الأدب النثري ، فهي كما وصفها إبراهيم النظّام (ت٢٢١هـ) بقولهِ ((تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيرهِ من الكلام إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة))[١٥٦] ولم تقتصر صفات الأمثال على هذه ، بل أن العرب كانوا يكثرون من التحدث عنها ، حتى أن الجاحظ (ت٢٥٥هـ) يقول ((كان الرجلُ من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ، ولم يكن الناس جميعاً ليتمثلوا بها إلا لما فيها من الرفق والإنتفاع))[١٥٧] وهذا الإنتفاع جاء لصفاتٍ عدها الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ((قصارى فصاحة العرب العرباء وجوامع كلمها ، ونوادر حكمها ، وبيضة منطقها ، وزيدة جوارها ، وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة ، والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة االلسن ، حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى ، وقصرت العبارة ، فأطالت المغزى ، ولوحت فأغرقت في التصريح وتحنّت فأغنت عن الإفصاح ... وتذاوق بعض أهل الأدب بعضاً ، وإنها للمحافل أذا حوصر بهاء وللأفاضل متى أوردها أبهة ، وللنثر أنى سلكت أثناءهُ طلاوة))[١٥٨] وقد سلكت هذه الأمثال مسلكاً طيباً في خطب الإمام علي (□)

---

(154) أدب السياسة في العصر الأموي - د. أحمد محمد الحوفي - مطبعة العالم العربي – القاهرة - ١٩٥٩م : ٤٤٧ .

(155) الفن ومذاهبه في النثر العربي : ٢٢.

(156) مجمع الأمثال (المقدمة) : ٦ .

(157) البيان والتبيين : ١ / ٣٦٠.

(158) المستقصى في أمثال العرب : ١ / المقدمة : ج .

ورسائلهِ ، أذ نلحظ توظيفاً دقيقاً ، أقتضاهُ النص، وحتمهُ السياق كي يجلي الصورة ، ويقرب المعنى ، ويزيد في إيضاحه وتوكيدهِ .

ومن حسن هذا التضمين للأمثال العربية القديمة في نص خطبة له (□) بعد التحكيم وهو يذم فيها ما آل إليه أصحابهُ من تفرق ، يقول: ((وقد أمرتكم في هذه الحكومة أمري ، ونخلْتُ مخزون رأيي ، لو كان يطاعُ لقصير أمر ، فأبيتم إباء المخالفين الجفاة))[١٥٩] ففي نص هذه الخطبة استثمارٌ للمثل العربي القديم ((لو كان يُطاع لقصير أمر))[١٦٠] فجاء بالمثل بصيغته الشرطية كي يستوجب للفعل (يُطاع) جواباً لم يذكرهُ النص ، لكنهُ يُفهم من السياق حين وصفهم بالمخالفين الجفاة ، فهذا التشبيه أغنى عن ورود جواب الشرط والتركيب الذي صيغ عليه المثل قد ضمن له العمومية حين بني الفعل للمجهول وأنكر الخبر (أمر) وأكد الأسم ليتأكد المعنى الذي قصدهُ الإمام (□) فلو استعاض (عن قصير) بأسمهِ لما أختل المعنى ، فالعصيان واحد يعرفهُ أصحابه كما يعرفون قصة ((قصير مع جذيمة))[١٦١] ، ويعرفون ماذا تعني (لو) وهي أداة شرط فيما لا يتوقع حدوثهِ ، وفيما يمتنع تحققه ، أو فيما هو محال أو من قبيل المحال[١٦٢] .

ويظل المثل العربي يتغلغل في نصوص الإمام علي (□) النثرية ، فنجدهُ في خطبةٍ يحث فيها أصحابهِ على الجهاد فيقول : ((أحثكم على جهاد أهل البغي ، فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ))[١٦٣] قد وظف مثلاً عربياً هو ((أيادي سبأ))[١٦٤] وهو مثل جاهلي يضرب للمتفرقين ، وأصحابهِ على درايةٍ بهذا المثل عززتها الآية

---

(159) شرح نهج البلاغة : ٢ / ١٢١ .
(160) مجمع الأمثال : ٢ / ٢٣٨ .
(161) ينظر : م .ن : ٢ / ٢٣٨ . .
(162) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٢ / ٣٨٥ .
(163) شرح نهج البلاغة : ٧ / ٤٢ .
(164) مجمع الأمثال : ١ / ٣٦٠ .

الكريمة﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾[١٦٥] وهي تتحدث عن أهل سبأ وحضارتهم وتنقل

لهم صورة جلية صادقة ، أكدت المثل حينما زاد في توضيح المعنى وأبلغ في توكيدهِ لدى مخاطبيه بهذا التمثل الجميل ، فأختار هذا المثل للنص ، لم يكن إلا أختياراً قد فرضتهُ الحالة و استدعاهُ المقام ، وأوجبهُ حرص الإمام علي (﵇) على تنبيههم على حالتهم ، التي وصلوا إليها حينما تقاعسوا عن الجهاد.

ونلحظ في خطبة أخرى بعد ما بويع بالخلافة ، قال له قوم من أصحابهِ لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان فقال (﵇) ((يا أخوتاه أني لستُ أجهل ما تعلمون ... إلى أن قال وامسك بالأمر ما أستمسك وإذا لم أجد بداً ، فآخر الدواء الكي))[١٦٦] ، فأسبق توظيفه للمثل ((آخر الدواء الكي))[١٦٧] أداة الشرط (أذا) وهي أداة تدل على الشرط يسعى المتكلم إلى إدخالها في كلامهِ لأحداث نوع من الربط بين عبارة الشرط وعبارة الجواب[١٦٨] ، فربطت عبارة الجواب (آخر الدواء الكي) بالفاء ، ثم أن هنالك توافقاً بين نهاية الخطبة وبين نهاية علاج الدواء أذا ما أستشرى أحتاج إلى الكي ، لقد أستطاع الإمام (﵇) بهذا التوظيف للمثل أن يدل دلالة واضحة على أنهُ لا يتهاون ولكن يسلك طريق الإصلاح بالنصيحة والموعظة ، ثم أذا لم يكن بد لجأ إلى أسلوب أشد.

ويظل نهج البلاغة يزخرُ بطائفة من الأمثال العربية القديمة[١٦٩]

---

(165) سورة سبأ / الآية : ١٩ .
(166) شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٦٩ . مجمع الأمثال : ١ / ٣٦٠ .
(167) مجمع الأمثال : ١ / ٣٦٠ .
(168) خطب نهج البلاغة (بحث في الدلالة) : ١٦٧ .
(169) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٩ ، ١ / ١٣٣ ، ٧ / ١٦٩ ، ١٥ / ٦٣ ، ١٦ / ٧٥ ، ١٥ / ٨٤ ، ١٨ / ١٠ ، ١٨ / ١٨٢ .

المبحث الثاني : طريقة التناص :-

في خطب الإمام (□) ورسائلهِ توظيفٌ لأمثالٍ ، نرى أنها قد صيغت بطريقة التناص ، فجاءت هذه الأمثال وهي تحمل جزءاً من معنى أو توحي بدلالةٍ تحملها آيات قرآنية كريمة أو أحاديث نبوية شريفة أو أقوال من كلام العرب شعراً أو نثراً . فما هو التناص ؟ .

التناصُ : لغةً : ((نصَص : الماشطةُ تنص العروس فتقعدها على المنصة وهي تنص عليها ، أي ترفعها ، وأنتص السنامُ أرتفعَ وأنتصبَ ، ونُص فلان سيداً ، نُصبَ ، ونصصت الرجل أذا أخفيتهُ في المسألة ، ورفعتهُ إلى ما عندهُ من العلم حتى أستخرجتهُ ، وبلغ الشيء نصهُ أي منتهاه))[١٧٠] .

أو هو ((النص : رفعك الشيء ، نص الحديث ينصهُ نصاً ، أو كما أظهر فقد نص والنصُ التعيين على شيء ما ، ونص الأمر شدتهُ))[١٧١] .

التناص : إصطلاحاً : لم نجد له تعريفاً جامعاً مانعاً كونهُ ظاهرةً جديدةً ، وسوف نذكر عدداً من التعريفات التي ذكرها بعض من درسوا هذه الظاهرة .

وأن أول تعريف للتناص ظهر على يد الكاتبة الفرنسية (جوليا كرستيفا) سنة ١٩٦٦م في كتابها (ثورة اللغة الشعرية) فعرفت التناص بأنه ((التفاعل النصي في نصٍ بعينهِ))[١٧٢] فيما ذكر باحث آخر ((أن التناص هو فسيفساء من نصوص أخرى أُدمجت فيه بتقنياتٍ مختلفةٍ ، أو هو تعالقُ نصوصٍ مع نصٍ حدث بكيفياتٍ مختلفةٍ))[١٧٣] .

---

(170) أساس البلاغة : ٢ / ٢٧٥ .

(171) لسان العرب : ٤ / ٥٤٠ .

(172) التناص نظرياً وتطبيقياً- احمد الزغبي- مؤسسة عمون للنشر والتوزيع – الأردن الطبعة الثانية ،٢٠٠٠ م : ١٢ .

(173) تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) - محمد مفتاح - دار التنوير - الطبعة الأولى– بيروت - ١٩٨٥ :١٢١ .

وعرفهُ آخر فقال ((هو أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه ، عن طريق الأقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب ، بحيث تندمج هذه النصوص والأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نصٌ جديدُ واحد متكامل))[١٧٤] ،ويرى الباحث ان هذا التعريف هو اصوب التعاريف للتناص. ولا يعد أي كلام نصاً إلا أذا أمتلك خاصية الأكتمال وليس الطول أو الحجم المعين، فالنص هو((القول اللغوي المكتفي بذاتهِ المكتمل في دلالتهِ ، وما لا يحقق هذا الشرط مهما كان طوله لا يعتبر نصاً))[١٧٥] ، فالتناصُ مصطلحٌ جديد لظاهرة أدبية ونقدية قديمة ، فظاهرة تداخل النصوص سمة جوهرية يمكن ملاحظتها في التراث العربي ، ودليل ذلك أهتمام النقاد بالمعاني المتكررة بين الشعراء ، والبحث عن الأصالة لدى الشاعر ، جاعلين مقياس ذلك قوة الإبداع ، فذلك أمر ((ما تعرى منه متقدم ولا متأخر))[١٧٦] .

ويظهر التناص في أي نص أدبي على ضربين :

١- تناصٌ مباشرٌ ((تناص التجلي))[١٧٧] : ويدخل تحته ما عرف في النقد القديم بالسرقة والأقتباس ، والأخذ والأستشهاد ((فهو عملية واعية تقوم بأمتصاص وتحويل نصوص متداخلة ومتفاعلة إلى النص))[١٧٨] .

٢- تناص غير مباشر أو ما يسمى بـ ((تناص الخفاء))[١٧٩] : ويمكن أن يدخل تحته التلويح والإيماء والرمز ، وقد يحدث هذا من خلال عمل غير قصدي ، فهو نتيجة البيئة والثقافة التي تظهر تأثيراتها في إنتاج النص ، وتترك بصمات في صياغتهِ .

---

(174) التناص - نظرياً وتطبيقياً :١١ .

(175) بلاغة الخطاب وعلم النص - د. صلاح فضل - عالم المعرفة ، ١٩٩٢ م ، الكويت : ٢٣٢ .

(176) الموازنة بين الطائيين – أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق السيد أحمد صفر – دار المعارف – القاهرة : ٣١١ .

(177) التناص والتلقي - د. محمد الجعافرة - دار الكندي – الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ : ١٥.

(178) ينظر : نظرية التناص - د. حسين جمعة - مجلة اللغة العربية - دمشق - ذو الحجة- ١٤٢٠ هـ : ٣٥٦-٣٥٧.

(179) التناص والتلقي : ١٥ .

ولم تأتِ فكرة التناص على يد الكاتبة الفرنسية (كرستيفا) الا بعد أن أعتمدت على دراسات الناقد الروسي (باختين) الذي درس أعمال الروائي الروسي (دستوفسكي) وظهر بما يسمى (تعددية الأصوات والحوارية ، في كتابه "فلسفة اللغة" فتابعتهُ جوليا كرستيفا[١٩٦٦م] بعد أن أجرت أستعمالات إجرائية وتطبيقية للتناص في دراستها ((ثورة اللغة الشعرية))[١٨٠] لتظهر لنا بهذه الفكرة وتصوغ لنا تعريفاً لها وتقدم أراءاً لدراسة الأدب من خلالها.

أذا نظرنا إلى تراثنا الأدبي ، نجدُ أن (التناصَ) كان معروفاً لديهم فقد أشار الإمام عليٌّ (□) إلى هذه الظاهرة فقال ((لولا إن الكلام يعادُ لنفد))[181] فهذه الإشارةُ تدلُ دلالةً جلية على النظرة الثاقبة ، وعلى التشخيص الدقيقِ الذي يرى أن كل كلام لابدّ من أن يعيد ما سبقهُ أو يأخذ منه . وأن النقادَ العربَ القدماءَ قد أهتموا بهذه الظاهرة ودرسوها تحت مسمى السرقات الأدبية، فلا يخلو كتاب نقدي من هذه الظاهرة التي شغلتهم وهم يبحثون عن الفكرة الجديدةِ ، والأسلوب الرشيق ، والمعنى المبتكر، فمنهم من نأى عن أستعمال لفظة (السرقة) إلى غيرها مثل
((الأخذ))[١٨٢] أو ((الإتباع))[١٨٣] أو ((الإحتذاء))[١٨٤] ولكن هذه الألفاظ قلّ استعمالها في العصر الحديث وحلت مكانها ألفاظ مثل : ((التناص والإقتراض))[١٨٥] ، يدلُ هذا على أن ظاهرة التناص لم تكن غريبة عن الأدب العربي ، لكنها لم تدرس تحت هذا المسمى .

---

(180) ينظر : التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري - شربل داغر – بحث- مجلة فصول - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مجلد ١٦ - عدد ١ – القاهرة ، ١٩٩٧م : ١٢٨.

(181) كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)- تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم - دار الفكر العربي – الطبعة الثانية: ١٩٦ .

(182) ينظر : الصناعتين : ١٩٦ .

(183) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه -الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ : ٢ / ٢٢٦ .

(184) دلائل الأعجاز : ٤٦٨ .

(185) مشكلة السرقات في النقد العربي -د. محمد مصطفى هدارة – المكتب الإسلامي ، ط٣ : ٣١٤ .

أما في العصر الحديث فقد ظهر كتّابٌ تناولوا هذه الظاهرة بالدراسة ، لأنها ((سمةٌ جوهريةٌ في الثقافةِ العربيةِ ، حيث تتشكلُ العوالمُ الثقافيةِ في ذاكرةِ الإنسان العربي ، ممتزجةً ومتداخلةً في تشابكٌ عجيب ومذهل))[١٨٦] فهي متحققة في الأدب العربي ومعروفة لدى نقادهِ ومفكريه القدماء والمحدثين ، إذ نجد أن أول من تناول هذه الظاهرة بالبحث والدراسة هو د. محمد بنيس من المغرب في كتابهِ ((الشعر المعاصر))[١٨٧] فقد نبه إلى أن العرب قد عرفوا هذه الظاهرة ، وتحت مسميات أخرى ، تقترب بمسافة كبيرة من المصطلح الحديث ثم درسها بعد ذلك محمد مفتاح في كتابه ((تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص))[١٨٨] وكَثُرَ بعد ذلك الدارسون.

والذي يهمنا من هذا التقديم هو أن نوضح هذه الظاهرة التي نجد لها مصاديق في أمثال الإمام علي (□) التي جاءت متضمنةً لأفكار ومعانٍ قرآنية أو معانٍ مستمدةً من الحديث النبوي الشريف ، أو الأدب العربي عامة .

وأن دراسة ظاهرة التناص في أمثال الإمام علي (□) في نهج البلاغة ، لا تخلو من المغامرة ، لأن هذا السفر الخالد بما حواهُ من أمثال ذات قيمة دلالية قل نظيرها ، تستدعي عمقاً ثقافياً في جميع مكونات الثقافة العربية ، فالإحالة التي سوف نقوم بها إلى نصوصٍ أدبيةٍ سبقت نص المثل الذي ندرسهُ في نهج البلاغة ، ربما لا تكون دقيقة ومتطابقة مع النص الذي نشير إليه، لكنها سوف تحاول قدر الإمكان ، أن تقرب بين هذه النصوص ، وأن تحدد العلاقة بينهما ، وملاحظة التأثير الأهم والواضح في النص ويشفع لنا إنا نعلم إن ظاهرة التناص ((ظاهرة لغوية معقدة ، تستعصي على الضبط والتقنين ، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفتهِ وقدراتهِ على الترجيح ، على أن هنالك مؤشرات

---

(186) مقالات في النقد والنظرية -عبد الله الغذامي - النادي الأدبي الثقافي – جدة – الطبعة الثانية ١٩٩٢ م : ١١٩ .

(187) ينظر: الشعر المعاصر - محمد بنيس - دار تربتال – المغرب – الطبعة الاولى ١٩٩٠ م : ١٨٣ – ١٨٥ .

(188) ينظر: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) .

تجعل التناص يكشف عن نفسهِ ويوجه القارئ للأمساك به ، منها التلاعب بأصوات الكلمة ، والتصريح بالمعارضة وأستعمال لفظة وسط معين، والإحالة إلى جنس خطابي برمتهِ))[١٨٩] والإشارة والتلميح إلى حوادث تأريخية معروفة ، وألفاظ أكتسبت الشهرة والذيوع من كثرة التداول فغدت غير خافية على دارس النصوص المتأثرة بها .

وأن هذه الظاهرة لابد لها من مصادر في عملية تحقيقها ، وهذه المصادر هي :-

أولاً : القرآن الكريم :

لعل أعظم تأثير واضح في كلام الإمام علي (□) هو التأثير الذي تركهُ القرآن الكريم في لغتهِ ، فألفاظه من ألفاظ القرآن ومعانيه جاءت أغلبها من هذا المعين الذي لا ينضب ، حتى قال أحد الباحثين ((لقد أخذ الإمام علي (□) ألفاظاً قرآنية ، وتعابير كثيرة جداً حتى أن الباحث ليستطيع أن يرد ثمانين بالمائة من ألفاظ رسائلهِ فقط وتعابيرها إلى نصوص قرآنية أستعملها أستعمالات مجازيه وحقيقية وتراكيب))[١٩٠] فمن ينشأ مع القرآن ، حريٌّ أن تكون معانيهُ وألفاظهُ وأساليبهُ أساليب القرآن ومعانيه وأفكاره .

وسوف نرى التناص القرآني في أمثال الإمام علي (□) .

قال الإمام علي(□) في خطبة له عندما بويع بالخلافة بالمدينة المنورة((الا ان بليتكم قدعادت كهيئتها يوم بعث الله نبيهُ ، والذي بعثهُ بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلةً))[١٩١] ، قدم الإمام (□) القسم ثم ذكر المثل تأكيداً للمعنى الذي قصدهُ ، فكلمات المثل تدور حول الأختلاط والأختبار ، فقولهُ ((لتبلبلن)) أي لتخلطنَّ ، تبلبلت الألسن أي أختلطت ، ولتغربلن يجوز أن يكون من الغربال الذي يغربل به الدقيق أي يريد أن

---

[189] تحليل الخطاب الشعري : ١٣١ .

[190] رسائل الإمام علي (٧) - رسالة ماجستير- كامل حسن البصير – إشراف- د. صفاء خلوصي، شباط ١٩٦٥م:٣٠١.

[191] شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٥ .

يستخلص الصالح من الفاسد[١٩٢] ، هذا ما قاله أبن أبي الحديد في شرحهِ لهذا المثل ، وهذا المعنى الذي جاء به المثل معنىً قرآنياً حملتهُ آيات قرآنية، كقوله تعالى﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[١٩٣] وليس ببعيد عن هذا المعنى الذي قصدتهُ الآية الكريمة﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١٩٤] ، فإذا كان التمييز هو الفصل والعزل فان المعنى الذي قصده المثل واكدته مفردات (البلبلة والغربلة)، لأن من وظائف الغربلة هو التمييز والعزل ، عزل الطيب عن الخبيث ، وبهذا يكون المثل قد جاء بمعنى قرآني ، فهو تناصٌ ظاهرٌ واعٍ لمعنى قرآني ، ولكن هذا المعنى قد عرض في سياق غير السياق الذي جاءت به الآية الكريمة ، وقد يسمى هذا التناص إقتباساً تحويراً ، لأن الإمام علي (﴿) قد أقتبس المعنى القرآني وحورهُ في سياق خطبتهِ التي حذر بها مبايعيه ونبههم لما سوف يأتي عليهم ، حتى يوقظ في نفوسهم العزيمة ، ويوطد إيمانهم بمبادئ الإسلام الحنيف .وعلى وفق هذه الطريقة،اخذ الامام(﴿)معاني عديدة من القرآن الكريم واعاد صياغتها في أمثال منها : قوله وهو يصف من أمتلك زمام أمور المسلمين ، وهو جاهل ليس بأهلٍ لذلك ((أنه يذري

---

[192] م . ن : ١ / ١٦٦ .
[193] سورة العنكبوت / الآية : ٢ .
[194] سورة الأنفال / الآية : ٣٧ .

الروايات أذراء الريح الهشيم))[١٩٥] نلمس من خلال هذا المثل توظيفاً لألفاظ قرآنية مثل (الأذراء ، الريح ، الهشيم) فهذه ألفاظ حملتها لنا الآية القرآنية﴿ كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[١٩٦] فجاء بالفعل الرباعي ليدل على تجدد إلقاءهِ للروايات ، يقال طعنهُ فأذراهُ ، أي ألقاهُ وأذريت الحبَ للزرع ، أي ألقيتهُ ، فكأنه يقول ((يلقي الروايات كما يلقي الإنسان الشيء على الأرض))[١٩٧] وهذه الألفاظ بما جاءت به من دلالات وصور وهي تناص ظاهر للمثل القرآني الذي جاءت به الآية الكريمة ، فلقد ((شبه الله تعالى الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك، بحال النبات يكون أخضراً وارفاً ثم يهيج فتطيرهُ الرياح كأن لم يكن))[198] ، فالدلالة على هشاشة الدنيا وضعفها وزوالها هي هشاشة من تصدى للأمر وليس لهُ بأهل ، فهو ضعيف تذروه الرياح كما تذروا الهشيم ، والذي دلنا على أن المثل يحمل تناصاً لمعنى قرأني هو المعرفة المسبقة ، كونها ركيزة أساسية في تأويل النص لأن كل حضور ذهني لدلالةٍ ما ونحن نقرأ نصاً ، ((فأن مردهُ للتناص ، وعلينا أن نبحث عن مصدرهِ))[١٩٩] ، وهذا البحث قادنا إلى إن القرآن الكريم كان هو المصدر لهذا المثل وقد يأتي التناص جلياً أو قد تدلُ عليه إشارة ما في النص فمن ذلك قول الإمام علي (﴿) ، وهو يتحدث عن صفة من تصدى للحكم وليس

---

[195] شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧١ .
[196] سورة الكهف / الآية : ٤٥ .
[197] شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧١ .
[198] الكشاف: ٢ / ١٩٧ .
[199] تحليل الخطاب الشعري : ١٢٣ .

بأهلٍ له ((أن أبغض الخلائق إلى الله تعالى رجلان : رجلٌ وكلهُ الله إلى نفسهِ فهو جائر عن قصد السبيل ... ورجلٌ قمش جهلاً ... وقد سماهُ أشباه الناس عالماً وليس به ... إلى أن يقول لبس الشبهات مثل نسج العنكبوت))[٢٠٠] ، أن لفظة العنكبوت التي أشار أليها قول الإمام علي (□) أحدثت حضوراً ذهبياً دلنا على أن تناصاً قد حدث لقوله تعالى□ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ □[٢٠١] ((ولا بيتاً أوهن من بيتها))[٢٠٢] فالمثل أستطاع أن يصور حالة هؤلاء العاجزين الذين لبسوا الشبهات بالوهن الذي قررتهُ الآية الكريمة ، فهم بالهيأة هذه واهنون ، عاجزون عن أدارة أمور الحكم ، لأن للحكم شروطهُ ولعل أهمها القوة والصلابة والأيمان الراسخ المبني على شخصية قادرة على القيام بالواجب.

ويستمر الإمام علي (□) يذم الجهل ، يقول ((وآخر قد تسمى عالماً وليس بهِ ، فأقتبس جهائل من جهال ، إلى أن يقول ، فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان))[٢٠٣] في هذا المثل تصوير لحالة من أكتنفه فمسح قلبهُ فغدا يحمل شكلاً إنسانياً ، ولا يؤدي ما عليه من واجبات الإنسانية قلبٌ فاسقٌ لا يحمل أي صفة إنسانية ، فهو كما صورتهُ الآية الكريمة □ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً □[٢٠٤] فالتشابه والتعالق حاصل بين المعنيين ، معنى الآية ومعنى المثل وأن اختلف التركيب وتغيرت المفردات

---

(200) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧١ .
(201) سورة العنكبوت/ الآية : ٤١ .
(202) الكشاف : ١ / ٩٥٣ .
(203) شرح نهج البلاغة : ٦ / ٢٢٦ .
(204) سورة الفرقان/ الآية : ٤٤ .

وتحددت الصياغة بالسياق الذي فرضها ، حين شبه الإمام ، ثم كرر ليؤكد ما يريد وليلبي حاجات الإفهام وإيصال الفكرة إلى متلقيه .

وان الإستدلال على التناص الحاصل بين أمثال الإمام (□) والمعاني القرآنيةِ قد يكون واضحاً جلياً ، تعكسهُ الصورة التي جاء بها المثل أو الإسلوب الذي أتبعهُ في مجاراة أسلوب القرأن الكريم ، لكن أحياناً قد تدلنا مفردة واحدة على إن هذا المثل يحملُ تناصاً لمعنى قرآني ، لأن هنالك ألفاظاً جاء بها القرأن لم تكن متداولة لدى العرب ((والتي كثر ترديدها في الرسائل والخطب في صدر الإسلام وهي لفظة التقوى ، لأنها تحمل أهم صفة يجب على المؤمن الإتصاف بها))[٢٠٥]

يقول الإمام علي (□) ((لا يهلك على التقوى سنخ أصل))[٢٠٦] والسنخ هو ((من كل شيء أصلهُ))[207] فإذا كان الأصل التقوى وهو خير الأصول ، فأن الآية الكريمة قد أشارت إلى هذا المعنى لقوله تعالى□ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ □[208] ، فإذا كان معنى الآية الكريمة هو أن كل شيء أبتدء بنيانه على تقوى

---

[205] أثر القرآن في الأدب العربي - د. ابتسام مرهون الصفار - مطبعة اليرموك- ط١-١٩٧٤: ٣٩١.
[206] شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٦ .
[207] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي - صنعها الفاضل المحقق الشيخ حسن زاده الأملي - مؤسسة التراث العربي – بيروت- ط١ - ٢٠٠٣: ٣/ ٢٠٥ .
[208] سورة التوبة/الآية : ١٠٩ .

الله تعالى والقصد لوجهه الكريم ، فهو الذي يبقى ويسعد به صاحبهُ ، وغيره لايبقى وينهار ، فقد جاء المثل وفق هذا المعنى حين نفى صفة الهلاك عن الذي أتخذ التقوى مسلكاً لهُ،وهذا يؤكد لنا مدى التأثير القرآني على أمثال الإمام علي (□) ، إذاً المعنى الذي جاء به المثل فيه تناصٌ ظاهر وجلي لفكرة قرآنية، أستطاع الإمام (□) أن يصيغها صياغة أخرى متوافقة مع نص الخطبة مع محافظتهِ على المعنى العام الذي حملتهُ مفردة (التقوى) في النص القرآني .

ولقد تشربت المعاني القرآنية جميع خطبهِ ورسائله وأمثالهِ ، فهو (□) عندما يتحدث عن صفة أهل بيتهِ ، يصفهم بأوصافٍ ومعانٍ قرآنية لأن القرآن هو المعين الأصيل الذي أستقى منه أفكاره ومعانيهِ .

((حتى أن كل خطبة في نهج البلاغة تحملُ طابع القرآن))[٢٠٩] .

يقول الإمام علي (□) واصفاً آل بيتهِ (□) : ((نحن النمرقة الوسطى ، التي يلحق بها التالي وإليها يرجع الغالي))[٢١٠] والنمرقة هي الوسادة ، والوسطى هي الفضلى ((فأستعار لفظة النمرقة لما يراهُ الإنسان مذهباً يرجع إليه ، ويكون كالراكب له والجالس عليه المتورك فوقهُ))[٢١١] نجد أن هذا المعنى الذي جاء به المثل هو تناص للمعنى الذي تدلُ عليهِ الآية الكريمة □وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا □[٢١٢] ، فالوسطية والإعتدالُ

معانٍ قرآنية ، كثيراً ما يحث عليها القرآن الكريم ، لذلك كان التمثل بالوسطية قصداً نبيلاً ، يحق لآل البيتِ (□) أن يوصفوا به، ويلجأ الإمام علي (□) أحياناً إلى الإشارة إلى معنى ، وفي المرة الأخرى نراهُ يأخذ هذا المعنى القرآني ويحورهُ بما يلاءم السياق ، فلقد ذكر

---

[209] عصر القرآن- محمد مهدي البصير - دار الشؤون الثقافية - الطبعة الثالثة – ١٩٩٧م : ٣٦ .
[210] شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٢٥ .
[211] م .ن : ١٨ / ١٢٥.
[212] سورة البقرة/ الآية : ١٤٣ .

الثعالبي (٤٢٩هـ) نصاً يقول فيه ((يقال أن الإمام علي (□) قد أقتبس أحسن كلامهُ من القرآن))[٢١٣] ويستشهد لقوله هذا بكلمة الامام علي (□) ((قيمة كل أمرئ ما يحسنهُ))[٢١٤] ويعدها مما ينطق به القرأن الكريم في قصة طالوت[٢١٥]□ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ □ [216] ، فلربما إستشف الإمام علي (□) هذا المعنى القرآني

الذي يرى إن الذي أعطاهُ الله

واصطفاهُ ، كان مقامهُ مناسباً للحكم ، وكانت قيمتهُ قد تحددت بهذه المؤهلات التي منّ بها الله تعالى عليه ، فقد جاءت هذه الكلمة في غاية من الدقة والبلاغة ، يقول عنها الشريف الرضي ((هذه الكلمة لا تصابُ لها قيمة ، ولا توزن بها حكمة ، ولا تقرن إليها كلمة))[٢١٧] فهي كلمة موجزة حملت معنى قرآنياً فدلت وأبلغت ، وإن بدا أن التناص في هذا المثل تناصاً من الضرب الثاني وهو تناص الخفاء ، فلا لفظة مستعارة ، ولا تركيب مشابه لما قبله لكنه معنىً يستشف من خلال هذه الحكمة يومضُ في خفاياهُ معنى قرآني .

---

(213) الإقتباس من القرآن الكريم : أبو منصور الثعالبي : ١١٧ .
(214) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٠٩ .
(215) ينظر - الإقتباس من القرآن الكريم : ١١٧ – ١١٨ .
(216) سورة البقرة/ الآية : ٢٤٧ .
(217) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٠٩ .

ولم تقتصر ظاهرة التناص في أمثال نهج البلاغة على نوع واحد ، فأن في نهج البلاغة عددٌ آخر من الأمثال الحكمية التي تتجلى فيها هذه الظاهرة ، فما هي الأمثال الحكمية؟ .

ذكر أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ((أن كل حكمة سائرة ، تسمى مثلاً ، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام إن يتمثل به ألا إنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً ، أي أن الكلمة أذا شاعت وانتشرت وكثُر دورانها على الألسنةِ تسمى حكمة))[218] يضاف إلى ذلك الحكمة تصدرُ من خبرات الحياة وتعبر عنها ((بصيغة تجريدية ، وأنه ليس من قبيل الصدفةِ أن ينسب أمثال هذا النوع إلى الحكماءِ والفلاسفة الذين وهِبوا المقدرةَ على التعبير التجريدي))[٢١٩] فإذا ما أجتمع الشيوع والتعبير التجريدي عن فكرة معينة ، وصيغت هذه على أوفق بناء فني محكم سهل الحفظ والتداول ، أصبح ذلك المثل مثلاً حكمياً ، لأجتماع هاتين الصفتين به ، وللإمام علي (□) في نهج البلاغة جمهرةً من هذه الأمثال الحكمية ، ضمت في جنباتها نوادر الحكمة ، وأزاهير النبوغ ، وحلاوة الصياغة وسنذكر بعضاً منها ممن أستلهمت معانيّ قرآنية ومن ذلك قوله (□) : ((لِنْ لِمنْ غالضكَ فإنهُ يوشكَ أن يلين لك))[٢٢٠] جاء هذا المثل الحكمي ضمن وصيتهُ إلى أبنه الحسن (□) يتلألأ بين مجموعة من الحكم والنصائح ، ولعل المراد من هذا المثل هو عدم التعامل بالمثل، فلا سيئةٌ بسيئةٍ ، إنما يكون التعامل وفق ما جاءت به الآية الكريمة □ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا

---

[218] أساليب البيان في القرآن الكريم - سيد جعفر الحسيني - مؤسسة الطباعة و النشر- طهران - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ:٦٤٤ .

[219] الأمثال العربية القديمة - زلهايم : ٣٢ .

[220] شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٦٢ .

ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ [٢٢١] فمن هذا المعنى ولد معنى المثل

وإن أختلفت الصياغة ، غير أن ذلك ليظهر لنا جلياً واضحاً أثر القرأن الكريم في أفكار الامام علي (□) ويشير إلى تعالق بين النصين على الرغم من أختلاف الألفاظ ، وتباين الصياغة ، فالتناص يبدو جلياً لا يحتاج الى عناءٍ.

ومن أمثاله الحكمية الأخرى التي يظهر فيها التناص قوله ((ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى))[٢٢٢] إن فكرة المثل تتمحور حول خصلتين هما ذم الخضوع عند الحاجة ، وذم نكران الجميل ، وهذا المعنى ليس معنىً جديداً إنما هو معنى قرأني جاءت به الآية الكريمة هُوَ□ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ

وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ

أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم

---

[221] سورة فصلت/ الآية : ٣٤ .

[222] شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٦٧ .

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[٢٢٣] وفي هذه الآية الكريمة يكون المعنى مكتملاً دالاً ،

ومنكراً لعمل هؤلاء الناكري الجميل ،والمثل في دلالاته يؤكد على هذا المعنى حين وظف صيغة التفضيل (ما أفعل) ،(ما أقبح) كي ينكر هذا العمل ويذمهُ وفي هذا تناصٌ واضح وجلي . وهنالك أمثال أخرى في نهج البلاغة تحمل تناصاً قرآنياً[٢٢٤] .

ثانياً : الحديث النبوي الشريف :

يأتي الحديث النبوي الشريف في الرتبة الثانية بعد القرآن الكريم بوصفهِ مصدراً من مصادر التناص في أمثال الامام علي (□) إذ ((أن كلامهُ (□) وأن كان نازلاً عن فصاحة القرأن وبلاغتهِ ، في الطبقة العليا بحيث لا يدانيه كلام ولا يقاربه وإن أنتظم أي انتظام))[٢٢٥] ولقد قال (□) عن نفسهِ ((أوتيت جوامع الكلم ، أي أنه مكن من الألفاظ المختصرة التي تدل على المعاني الغزيرة))[٢٢٦] ، فكلامهُ (□) يمتاز بسماتٍ قل نظيرها ((فكان كلامهُ (□) بليغاً يأسر النفوس ، ويأخذ بمجامع القلوب))[٢٢٧] ، وقد أجاد الجاحظ (ت٢٥٥هـ) حين لخص سمات الحديث النبوي الشريف قائلاً ((هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثرت معانيه ، وجل عن الصنعةِ ونزه عن التكلفِ [فقد] أستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمةٍ ، ولم يتكلم إلا بكلامٍ حُف بالعصمةِ وشُيدَ بالتأييد وتيسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى اللهُ عليه المحبة وغشاهُ بالقبول ، وجمع له بين المهابةِ والحلاوةِ وبين حسن الأفهام وقلة عدد الكلام ، مع استغنائهِ عن إعادتهِ ، وقلة

---

(223) سورة يونس/ الآية : ٢٢ – ٢٣ .

(224) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١/ ٦٨ ، ١/ ١٦٥ ، ١ / ٩٢ ، ١٦ / ١٥ ، ١٦ / ٦٢ ، ١٦ / ٥٧ ، ١٦ / ٦٣ ، ١٦/ ٥٠ ، ١٦ / ٦٥ ، ١٨ / ٩٣ ، ١٨ / ٩٨ ، ١٨ / ١٠١ .

(225) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز - السيد يحيى بن حمزة العلوي(ت٧٤٩هـ) – مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين - دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م : ١ / ١٦٠ .

(226) م. ن : ٢ / ٨٨ .

(227) بحوث بلاغية - د. أحمد مطلوب - مطبوعات المجمع العلمي – بغداد ، ١٩٩٩م : ٢٠٣ .

حاجة السامع الى معاودتهِ فلم تسقط له كلمةٌ ولا زلت بـه قدم ... الـى أن يقول ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعمُ نفعاً ولا أقصدُ لفظاً ، ولا أفصحُ معنـى ولا أبين فـي فحوى من كلامـهِ (□)))[٢٢٨] فكان ((كلامهُ ممن تتجلى فيه كثرة معانيـهِ مع الإيجـاز وأبتعـادهُ عن الصنعةِ والتكلف ومطابقته لمقتضى الحال))[٢٢٩] ، ومن أجل هذه السمات دعا ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) وهو يعدد آلات علم البيان قائلاً ((إذا ركب الله تعالى في الإنسان طبعاً قابلاً لهذا الفن يفتقر حينئذ الى ثمانية أنواع من الآلات ، وأحدى هذه الآلات هي حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي (□) والسلوك بها مسلك القرآن في الاستعمال))[٢٣٠].

وعلل شهاب الدين الحلبي (ت٧٢٥هـ) حفظ الأحاديث النبوية الشريفة فقال ((إن الفصاحة إذا طلبت غايتها ، فأنها بعد كتاب الله في كلام من أُوتي جوامع الكلم ولقد كان على ذلك في الصدر الأول من الصحابة وتابعيهم))[٢٣١] وليس من بين الصحابةِ أحدٌ هو أقربُ الى الرسول الأكرم (□) من الإمام علي (□) فقد نشأ في بيتهِ وتربى في كنفهِ ، فسمع أحاديثهِ وحفظها ، وتمثلها نصاً في خطبهِ ، وكذلك أستمد معانيه في كثير من كلامهِ ، ومن أمثلة هذا التأثير قوله (□) في أحدى وصاياه التي تتجلى فيها سمات هذه الظاهرة وتتضح في صورة جلية في قوله (□) ((إياك ومصاحبة الفساق فأن الشر بالشرِ مُلحِق))[٢٣٢] ، في صيغةِ الأمرِ هذه تحذيرٌ عن مصاحبة الفساق ، وتعليل هذا التحذير ((في أن الطباع ينزعُ بعضها الى بعض ، فلا تهجنُ ، فأن ينزع بك ما فيك من طبع الشرِ الى مساعدتهم على الفسوق ، إن هو إلا كالنارِ تقوى بالنارِ ، فإذا لم تجاورها وتمازجها

---

(228) البيان والتبيين : ٢ / ١٨ .
(229) بحوث بلاغية : ٢٠٤ .
(230) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير(ت٦٣٧هـ) - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة ، ١٩٣٩م : ١ / ٢٨ .
(231) حسن التوسل الى صناعة الترسل- شهاب الدين الحلبي(ت٧٢٥هـ) - تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف – دار الرشيد – بغداد : ٧٨ .
(232) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ٢٢ .

كانت الى الإنطفاء أقرب))[٢٣٣] ، فأن هذا التحذير الذي جاءت به صيغة المثل قد حملت معنىً حديث نبوي شريف يصف فيه الرسول الأكرم (□) حال الكافرين فيقول : ((إن عذابك بالكافرين مُلحِق))[٢٣٤] أي أن العذاب يلاحقهم لأنهم أستحقوه ، حتى غدا كالظل في الملاحقة لهم ، وعلى هذا المعنى والصيغةِ نفسها بنى الامام علي (□) مثلهُ ، فقال ((الشر بالشرِ مُلحِق)) فما من شرٍ إلا وأستجاب له شر آخر ، وبهذا نلحظ حدوث تناصٍ مباشرٍ للحديث النبوي الشريف في مثل الامام علي (□) والتناص هنا لا يقتصرُ على المعنى إنما كان تناصاً للمعنى والشكل .

ولم يقتصر الأخذ من الحديث النبوي الشريف على قضيةٍ واحدةٍ أو فكرةٍ معينةٍ أو موضوع محددٍ، بل شمل الأخذ أغلب المواضيع التي طرقها المثل ، الذي يُصاغ وفق معطيات الظروف الاجتماعية المحيطة بالإمام علي (□) ، هذا التغير في الظروف والتبدل في الحالات أنتج أمثالاً استوعبت أحاديثاً نبويةً شريفةً ، ومن ذلك قوله (□) لرجلٍ أفرط في الثناء عليه وكان له متهماً ((أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك))[٢٣٥] ، بهذه الصيغة الخبرية التي تحمل من الدلالات ما يخرجها من الإخبار الى أغراضٍ أخرى أشار إليها ابن أبي الحديد بقولهِ ((إنما أراد تعريفهُ لما رآهُ من المصلحةِ إما لظنهِ إنه يُقلع عما كان يذمهُ به أو ليعلمهُ بتعريفهِ بأنه عرف ذلك أو ليوبخهُ أو ليزجره ، أو لغير ذلك))[٢٣٦] ومهما تعددت أوجه الدلالات التي قصدها الامام علي (□) فأن الذي يهم البحث هو ظاهرة التناص في هذا المعنى ، حيث نلحظ أن المعنى يدور حول كراهيةِ المدح ، لأن المدح قد يؤثر في الممدوح الإعجاب وقد يثبط همتهُ ، فكراهية المدح معنى مأخوذ من حديث نبوي شريف يقول ((أحثوا في وجوه المداحين التراب))[٢٣٧] ونلحظ من هذا الحديث أن المعنى الذي

---

(233) م . ن : ١٨ / ٢٣ .
(234) شرح سنن ابن ماجه :١ / ٨٢ .
(235) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١١٠ .
(236) م. ن : ١٨ / ١١٠ .
(237) سنن أبي داود : ٢ / ٥٥٤ .

جاء به المثل معنىً قد أُخذ من الحديث بعد أن صاغهُ صياغة أخرى لم تخرجهُ عن المعنى الأصلي الذي جاء به الحديث النبوي الشريف وإن وجهتهُ إلى غايةٍ تطلبها المقام ، وتحدد شكلها بالسياق الذي جاءت به ، فهو تناصٌ ظاهر وأن بدا عليه شيءٌ من التحوير في التركيب .

وكما استوحى الإمام علي (□) في أمثالهِ الحكمية ، معاني القرأن الكريم أستوحى فيها معاني الأحاديث النبوية الشريفة ، من ذلك قوله (□) : ((لا يكن أهلك أشقى الخلق بك))[٢٣٨] ، تضمن هذا المثل الحكمي نهياً عن معاملةِ الأهل بالشدةِ والغلظةِ ، بحيث يكون وجود الفرد ضمن أهله وعائلتهِ شقاءاً عليهم ، وهذا ما لا يريدهُ الإسلام وينهى عنه الإمام (□) وفي هذا النهي دلالات أخرى تستشفُ من المثل هي الإرشادُ الى أتباع الحسنى في التعامل الذي نبه عليه النبي (□) حين حث على المودة للأهل والأرحام فقال ((من أحب أن يبسط في رزقهِ وأن ينسأ له في أثرهِ فليصل رحمهِ))[٢٣٩] فهي دعوة صريحة لأتباع حسن الخلق مع الأرحام فقد استوحى الإمام علي (□) هذا المعنى وصاغ مثلهِ ((لا يكن أهلك أشقى الخلق بك))[٢٤٠] الذي صيغ بأسلوب النهي القادر على أن يثير الانتباه ثم عضد ذلك باستعمال [كاف] المخاطب ليحقق صياغة دقيقة موجزة حملت دعوة إلى التعامل الحسن وهي دعوة مشتركة بين الحديث النبوي الشريف والمثل، مما يدلُ على حدوث تناص بين القولين .

ومن أمثالهُ الحكمية الأخرى التي نرى تناصاً قد حدث فيها ، قوله (□) : ((أمسك عن طريق أذا خفت ضلالتهُ))[٢٤١] ، جاء هذا المثل ضمن وصيةٍ له الى ولدهِ الحسن (□) يوصيه بأن يبتعد عن سلوك طريق يظن أنه سوف لا يوصله الى ما يريد ، فهذا الأمر الذي

---

(238) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٦٢ .

(239) صحيح البخاري - الإمام أبي عبد الله محمد بن أسماعيل بن أبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ) - شرح وتحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي – دار القلم – بيروت ، ١٩٨٧م : مجلد ٤ / ٣٢٠ .

(240) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٦٢.

(241) المصدر نفسه : ١٦ / ٣٨ .

جاء به المثل هو الأمر نفسهُ الذي قصدهُ الحديث النبوي الشريف ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك))[٢٤٢] وهذا الحديث جاء بسندٍ إلى الإمام الحسن (□) ، نلحظ أن المثل قد جاء على صيغة الأمر الواجب أتباعه ، فهو والحديث النبوي الشريف على صياغةٍ واحدةٍ وعلى معنى يكادُ أن يكون متطابقاً ، وهو الأبتعاد عن سلوك الطريق غير الواضح ، والذي يقود الى نتيجة لا تحمدُ عقباها . هذا التوافق يدلُ على حدوث تناصٍ مباشرٍ بين النصين على الرغم من الأختلاف اليسير في القصد بين قول الإمام علي (□) وحديث النبي الأكرم (□) إلا أنهما يكادان يتفقا في المعنى العام .

ويستمرُ الإمام علي (□) مستمداً معانيهِ وأفكارهِ من هذا المعين الثر الذي لا ينضب ، ومن قول من (أُوتي جوامع الكلم) ونلحظ ذلك في المثل التالي ، يقول الإمام علي (□): ((يا أبن آدم إن ذلك من دنياك ما أصلحت به مثواك))[٢٤٣] فقول الإمام علي (□) يوقظ فينا قول الحبيب المصطفى (□) : ((يا أبن آدم ليس لك من مالك ، إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت))[٢٤٤] ، فلا أختلاف في المعنى والدلالة بين القولين ، إلا إن الحديث النبوي الشريف ، قد سلك طريق التقسيم ، وسلك المثل طريق الإيجاز ، ولكل سياقهُ ومقامهُ الذي أوجب هذا ولم يوجب الآخر ، فهما قد أديا المعنى ، فنفى الحديث النبوي الشريف إمتلاك شيء من الدنيا، إلا من خلال الأستثناءات التي عددها وأكد فيما أكد المثل عندما وظف (إن) المؤكدة في النص ليدل على أن الذي يمتلكهُ الإنسان ، ما هو إلا العمل الذي يصلح به الآخرة ، ولا تصلحُ الآخرة إلا بالعمل الصالح ، فالتناص يبدو واضحاً بين النصين ، حتى يكادا أن يصبحا نصاً واحداً.

---

(242) سنن الدارمي - الإمام أبي محمد عبد الله بن بهرامر الدارمي (ت٢٥٥هـ) – دار الفكر – ط٢ ، ٢٠٠٣م : ٢ / ٢٤٥ ، وشرح سنن أبن ماجه : ٢٨٧/١، التمثيل والمحاضرة : ٤٤ .

(243) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٦٧ .

(244) صحيح مسلم- أبو الحسن بن الحجاج (ت٢٦١هـ) - وقف على طبعهِ محمد فؤاد عبد الباقي – مطبعة عيسى البابي الحلبي- ط١، ١٩٥٥م:٢ / ٣٨، و كشف الخفاء : ٢ / ١٧٢، والدر المنثور:٨ / ٥١٠.

ويظل التناص حاضراً في كثير من أمثال الامام علي (□) فهو يستمدُ معاني الحديث ويصوغها ببلاغتهِ المعهودة ليخرج لنا نصاً موجزاً فهو مثل يسير وحكمة تحفظها القلوب وتستنير بها

تحمل معاني لأحاديث نبوية شريفة[٢٤٥].

ثالثاً : كلام العرب :

ولد الإمام علي (□) في بيئةٍ عربيةٍ ، فهو ابن قريش القبيلة العربية صاحبة الأمجاد وفيها ملتقى الشعراء فهم يرتادون أسواقها ومحافلها ويتبارون بما لديهم من بضاعةِ الشعرِ والخطابةِ وما حملتهُ جمالهم من خيرات الأرض ، وما صنعتهُ أيديهم أو جلبتهُ معاملاتهم ، كل هذه أوجبت لقريش القول ((بأنها أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسلسها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وإبانةً عما في النفس))[٢٤٦] ، ففي هذه البيئة نشأ الإمام علي (□) واستمد لغته وأدبه بعد أن وهبهُ الله جل وعلا الموهبة والقدرة والقرابة للرسول الأكرم (ص).

كلُ هذه المؤثرات كان لا بد لها من أن تترك شيئاً ما في أدب الإمام (□) ، والذي يهمنا هو ما تركتهُ هذه المؤثرات من ملامحٍ تجلت في الأخذ من المعاني أو التناص من الصور التي وفرتها له ، فأغنت ما لديهِ ، وإن لديهِ لشيءٌ كثير ! .

ولما كان العمل الأدبي عمليةٌ أنتاجية ، فأن ذلك يعني أمرين ((الأول : علاقتهُ في اللغةِ التي يتوقع فيها ، فيصبح من قبيل أعادة التوزيع عن طريق التفكيك وإعادة البناء.

أما الآخر : فيتمثل في كون النص عملية أستبدال من نصوص أخرى ، أي عملية تناص (Intertextial) ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى ، مما

---

(245) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٣٧ ، ١٦ / ٦١ ، ١٦ / ٦٧ ، ١٨ / ١٠٨ .

(246) ينظر : دراسات في فقه اللغة - د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين – بيروت الطبعة السابعة ، ١٩٧٨م : ٦٧ .

يجعل بعضها يقوم بتحييد البعض الآخر أو نقضهُ))[٢٤٧] وربما تعضيدهُ ومدهُ بما يضمن له الحياة والنمو والخلود .

والتناص كما أوضحنا سابقاً قد يكون تناصاً مباشراً واعياً ، حيث المنتجُ للنص الأدبي يعمدُ الى الأخذ من نصوصٍ سبقتهً بطرق مختلفة ، كالإقتباس التحويري أو الإشاري أو التضمين، أو الإحتذاء ... وغيرها .

وقد يكون ((التناص غير مباشر أو ما يسمى بـ (تناص الخفاء) حيث يكون المؤلف غير واعٍ بحضور نص في النص الذي يكتبهُ))[٢٤٨] ، ومن هذا نستدلُ على إن عملية التناص ، عملية لا مفر منها لأي كاتب أو شاعر ((لأنه لا فكاك للإنسان من شروطهِ الزمانية والمكانية ومحتوياتها))[٢٤٩] ووفق هذه المعايير ستحاول أن نكشف العلاقة بين أمثال الإمام علي (□) والموروث من كلام العرب شعراً و نثراً .

١ـ الشعر العربي :

يمثل الشعر العربي في العصر الجاهلي ، ثقافة ذلك العصر ، فهو ديوانهم وفيه برعوا فضمنوه كل أفكارهم وأحاسيسهم ومعتقداتهم ، فالشاعر لديهم هو المثقف الأول وهو الناطق باسم القبيلة وهو المحتفى به .

والذي ينظرُ الى هذا التراث الشعري الذي وصل إلينا يجد أن الذي نظم هذه القطع الأدبية بما فيها من إبداع وفن ، يمتلك من الحكمة شيئاً غير قليل ، وإن هذا التراث نابعٌ من عقلية متأملة حتى ليستدلُ منه على إن ((العقول التي أنتجتهُ كانت على جانب من التحضر ، وإنما على الضد مما توصف به من إنها عقول لا تنفذ الى ما وراء الظواهر الكونية ، ولا

---

(247) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٢٩ .

(248) التناص بين الإقتباس والتضمين والوعي واللاشعور - مفيد نجم ، جريدة الخليج ، ملحق بيان الثقافة ع ٥٥ يناير ٢٠٠١م .

(249) تحليل الخطاب الشعري : ١٢٣ .

تحسن التأمل في الحياة))[٢٥٠]، فعلى العكس من ذلك نجد أن الشعر الجاهلي بغنائيتهِ كان يحملُ أفكاراً فلسفية عن الحياة والموت والقيم الأجتماعية ، وما زالت هذه الأفكار تحتفظ بحيويتها إلى يومنا هذا ، فكيف إذا كان العصر الذي عاش فيه الإمام علي (□) عصراً لصيقاً بذلك العصر وسبل التواصل ممدودة لم تنقطع بعد! .

فإذا نظرنا إلى الأفكار والمعاني التي حملتها أمثال الإمام علي (□) وجدنا أن هنالك تعالقاً قد يكون نصياً في بعض الأحيان ، تظهرهُ المفردة أو تجليه الصورة أو يمنحنا المثل معنىً نرى له شبيهاً أو مثيلاً في الشعر العربي الجاهلي ، فمن ذلك قول الإمام علي (□):((لا رأي لمن لا يُطاع))[٢٥١] جاء هذا المثل في خطبةٍ له (□) حث فيها على الجهاد وذم المتقاعسين ، حين رأى الوهن في أصحابهِ يتخذُ شكلاً جلياً في عدم طاعة أمره ، فقال وهو يختم خطبته في الجهاد ((لا رأي لمن لا يُطاع)) ، يقول عنها ابن أبي الحديد ((إنها من مشاهير خطبهِ وقد ذكرها كثيرٌ من الناس ورواها أبو العباس المبرد في أول الكامل))[٢٥٢] ، فدلالة المثل هي وصفٌ للذي لايطيعهُ قومهُ كأنه ليس لديهِ رأي ، فجاء بصيغة النفي للنكرة (رأي) ليدل بذلك على العموم ثم بنى الفعل(يُطاع) للمجهول حتى تكتمل صفة العمومية التي قصدها من مثلهِ ، وحتى يمنحُ المثل بعداً زمانياً مستقبلياً ، لأن المثل وإن كان يضرب في حالةٍ خاصةٍ فهو صالح لكل الحالات المشابهة لمضربهِ ، فكيف إذا كان تركيبهُ يحمل صفة العموم ويؤدى بها فهذا المثل يكاد أن يحملَ معنى قريباً جداً من قول الشاعر ((الكلحبة العرني))[٢٥٣] :

---

(250) فصول في اللغة والنقد - د. نعمة رحيم العزاوي، المكتبة المصرية – الطبعة الأولى – بغداد ٢٠٠٤م : ٢٢٦.

(251) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٤٥ ، وجمهرة الأمثال : ٢ / ٣١٨ ، ومجمع الأمثال : ٢/ ٢٤١ .

(252) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٤٦ .

(253) الشاعر الكلحبة العرني- هو "هبيرة بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة ، شاعر جاهلي محسن وأحد فرسان بني تميم وساداتها ، والكلحبة لقب له وفي اللسان(الكلحبة) أمه وهو ينسب الى جدهِ عرين" ينظر: المفضليات : ٣١ .

أمـرتهم أمـري بمنعـرج اللـوى ولا رأي للمعـصي إلا مـضيعا[٢٥٤]

نلحظ أن أخذاً لمعنـى البيت الشعري قد ظهر فـي نـص المثل ، وربمـا جـاء هذا الأخذ أو التعـالق بـين النـصين عـن طريـق تـوارد الخـواطر ، كمـا يـسميها أبـو هـلال العـسكري (ت٣٩٥هـ) حين نظر فـي السرقات الشعرية وقدم لنـا رأيـاً جمـع فيـه آراء من سبقوهُ من النقادِ ويمكن تلخيصهُ بالنقاط الآتية:-

١- أن المعاني المشتركة ملك العامة .

٢- أن هنالك تواردا للخواطر .

٣- أن لا مفر للمحدثين من الاستفادة من سابقيهم في المعاني[٢٥٥].

ووفق هذا المنهج يلوح لنـا تناصـاً ظـاهراً فـي المثل (لا رأي لمن لا يُطـاع) وإن المعنى الذي حمله البيت الشعري وأن أختلف في صياغتهِ التركيبيـةِ عن المثل ،إلا أنـه يكاد أن يشبههُ ، ورغم أختلاف السياق بين المثل والبيت الشعري ، الذي جاء ضمن قصيدة مطلعها :

فـان تـنجُ منهـا ياضـريم بـن فقـد تركـت مـا خلـف ظهـرك

طـــــــــــــــــارق بلقعـــــــــــــــــــــــا[٢٥٦]

فالسياق سياق وعيد ، ونارٌ تأكل قلب الشاعر وهو يريد أن يثأر لأموالـهِ المسلوبةِ ، فيما جاء المثل، في سياق الحثِ والإرشادِ والإخبارِ وبصيغةٍ حملتهُ الى هذا الغرض الذي حددهُ

---

(254) المفضليات - المفضل الضبي (ت١٦٤هـ) ، تحقيق وشرح أحمد شاكر ، عبد السلام هارون – الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، مصر ، : ٣١ .

(255) ينظر : مشكلة السرقات في النقد العربي : ١١٢ . وتأريخ النقد العربي عند العرب :د.عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية – بيروت – الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ: ٣٧٧ .

(256) المفضليات : ٣١ .

سياق الموقف الذي قيل فيه ، حيث القوم متقاعسون لا يستمعون لرأي سديد ، وهم عن الجهاد معرضين وشتان بين المقامين .

كما تتجلى ظاهرة التناص مرة أخرى في قوله (□) ((ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا وظهر في فلتات لسانهِ وصفحات وجههِ))[٢٥٧] ، فالمثل قد جاء ليؤكد فكرة عدم القدرة على أخفاء الأمور ، هذا المعنى تناولهُ شاعرٌ جاهلي هو زهير بن أبي سلمى وضمنهُ معلقتهِ المشهورة التي مطلعها :

أمــن أم أوفــى دمنــةٌ لــم تكلــمِ بحومانـــــة الـــــدراج فـــــالمتثلمِ

إلى أن قال :

ومهما تكن عند أمرئٍ من خليقةٍ وإن خالهــا تخفــى عــن النــاس

تعلـــــــــــــــــــــــــــــــمِ[٢٥٨]

فالبيت يحمل المعنى الذي أشار إليه المثل ، لكنه يقصر عنهُ ، لأن المثلَ عندما أكد هذه الظاهرة جاء بصيغة القصر ، فأوضح الطرق التي يظهر فيها عدم الإخفاء فذكر ((فلتات اللسان ، وصفحات الوجه)) وهي مرايا عاكسة توضح هذا الإخفاء وتدلُ على ما أخفى ، في حين أكتفى الشاعر بذكر الحالة ولم يوضح كيفية تحقيقها ، وبهذا يكون المثل قد أخذ جزءاً من المعنى وأضاف إليه كي يستوفي الدلالة ويبدع في تحقيقها ((فهو أولى به من مبتدعه))[٢٥٩].

---

(257) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ٦٨ .

(258) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى - صنعه أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ، شرح وتحقيق أكرم البستاني ، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ، ١٩٦٤م : ٣٢ .

(259) العمدة : ٢ / ٢٢٦ .

فالمثل وإن جاء يحمل تناصاً للبيت الشعري إلا إنه زاد في المعنى والدلالة ، كما نلحظ تناصاً ظاهراً آخر في قوله (□) ((أحبب حبيبك هوناً ما))[٢٦٠] وهذا القول ذكرهُ أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في ((جمهرتهِ))[٢٦١] ونسبهُ إلى أمير المؤمنين علي (□):((وهو من قول النمر بن تولب))[٢٦٢]:

وأحبـــب حبيبـــك حبـــاً رويـــداً لـــــئلا يعولـــــك أن تـــــصرما[٢٦٣]

فالمعنى الذي دل عليه المثل سبقهُ إليه الشاعر إذ جاء به وهو عدم الإفراط في الحب ، فلا أختلاف في المعنى بين المثل والبيت الشعري ، سوف تحول النص من نص شعري الى نص نثري ولكلٍ مقامهُ الذي أستدعاهُ والسياق الذي وظف فيه . فهنالك أموراً أخرى خارج النص ، ربما أثرت في الأختيارات وأوجدت دلالات رمزية أو أيحائية ، لا يمكن تقديرها بسهولة حتى يتم معرفة الظروف التي أنتجت النصين .

ونظلُ نلمحُ في أمثال الإمام عليّ (□) هذه الظاهرة ، فهي لا تشملُ الأمثال فقط ، وإنما نراها في الأمثال التي أرتدت حلة الحكمةِ ، تلك الحكمة التي نمت وترعرعت في بلاد ظهر فيها كثير من الحكماء ((فالعرب أفضلُ الأمم وحكمتها أشرف الحكم كفضل اللسان على اليد))[٢٦٤] ولعل فضل حكمتهِ أنه (□) جمع إلى الحكمةِ ((وهي عصارة خبرة الحياة وفهم أسرارها))[٢٦٥] بلاغة القول فاكتسى التجريد حلةً قشيبة ، فأستوت أمثالاً حكمية ، قل نظيرها ، حتى أوجز المسافة التي تفصل بين الحكمة والمثل ((فإذا المثلُ

---

(260) شرح نهج البلاغة : ٩ / ٧١ .
(261) جمهرة الأمثال : ١ / ١٨٣ .
(262) النمر بن تولب - شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام وهو كبير فأسلم ، وكان شعرهُ نادراً وألفاظهُ جميلة ، ينظر : ديوان شعر النمر بن ثولب : صنعه د. نوري حمود القيسي – مطبعة المعارف – بغداد : ١٠٢، الشعر والشعراء : ١ / ٣٠٩ – ٣١١ .
(263) مختارات شعراء العرب - ابن الشجري ، تحقيق علي محمد البجاوي – القاهرة ، ١٩٧٤م : ٣٧ .
(264) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي : ٢ / ٤٧١ .
(265) الأمثال العربية والعصر الجاهلي - دراسة تحليلية : ٤٧ .

يصبحُ لوناً من ألوان الحكمة ، حين يضفي عليه الحكيم تجريداً والحكمةُ تضحي مثلاً أذا تحقق لها شرط الشيوع والانتشار))[٢٦٦]

فمن أمثالهُ الحكمية ((أذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً))[٢٦٧] ، أي أنه ((إذا كان استعمال الرفق مفسدة في الشر فلا تستعملهُ))[٢٦٨] وهذا المعنى نجدهُ في بيت الشاعر عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلـــن أحـــدٌ علينـــا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٢٦٩]

نلحظ تناصاً بين القولين ، فالمثل أستمد الفكرة وصاغها بأسلوبٍ غاير الأسلوب الشعري وأدى المعنى بأوضح صورة لأنه أستعمل أسلوب الشرط ، الذي أعطى للألفاظ فائدة عموم التوكيد التي يبحث عنها منشئ النص ، لأن في التوكيد تقوية للحجةِ وتأثير في النفس ، وهذا مطلبٌ يسعى أليه الإبلاغ حتى يكتمل طريقة لإيصال المعنى ، فالذي جاء به المثل من ألفاظ حملت دلالات قد تلاقت مع ما سبقها من دلالات فأثارت في النفس ذكرى ماسلفتها[٢٧٠].

ونلحظ أيضاً هذه الظاهرة في أمثال حكمية أخرى للأمام علي (□) فهو حين يبعثُ برسائلهِ إلى عمالهِ ، كان يحرصُ على أرشادهم ، بعد أن ينبههم إلى مواطن الخطأ والزلل ، يقول الإمام (□) في كتاب بعثهُ إلى عاملهِ على مكة قثم بن العباس ()ّ: ((لا تكن عند النعماء بطراً ولا عند البأساء فشلاً))[٢٧١] .

---

(266) الأمثال العربية القديمة - عفيف عبد الرحمن - المجلة العربية للعلوم الإنسانية – الكويت – العدد العاشر ، ١٩٨٣م : ٣٠.

(267) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٥٧ .

(268) م . ن : ١٦ / ٥٧ .

(269) جمهرة أشعار العرب - أبو زيد القرشي - دار صادر – بيروت ، ١٩٦٣م : ١٤٧ .

(270) الخطيئة والتكفير - عبد الله الغذامي - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء – المغرب ط٦ ، ٢٠٠٦ : ٢٨٥ .

(271) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٨٢ .

يعلق ابن أبي الحديد على هذا النص بقولهِ ((إنه مستعمل))[٢٧٢] أي أن هذا المعنى قد تناولتهُ العرب، فقال شاعرهم هدبة بن الخشرم العذري[٢٧٣] :

ولستُ بمفراحٍ أذا الدهر سرني ولا جازعٍ من صرفهِ المتقلبِ
ولا أتمنى الشر والشر تاركي ولكن متى أُحمل على الشر أركبِ[٢٧٤]

يبدو لنا أتفاق البيت الشعري والمثل في المعنى، رغم اختلاف صيغتي التركيب فجاء المثلُ على أسلوب النهي الذي خرج الى غرض أخر مجازي هو النصحُ والإرشادُ ، بينما كان البيت الشعري خبراً ، ساقهُ لنا الشاعر ليدل به على صفاتهِ الحسنةِ ، فظاهرة التناص بين المثل والبيت الشعري تبدو واضحة من حيث أشتراكهما في أداء المعنى، وأن أختلف تركيب أحدهما عن الآخر، فالتناص مباشر وجلي كما هو حال نصوصه (□) الأخرى[٢٧٥].

٢- النثر العربي :

أ – الخطب :

لم تكن أمة العرب أمةً شاعرةً فحسب ، بل كانت أُمةً لها خطباؤها ، الذين لم تخلُ منهم المحافل وساحات الجدل والمفاخرة والمنافرةِ ، إذ كانوا يستصحبونهم في وفودهم ويقدمونهم للرد على خصومهم ، فكانوا ذوي أثر في نفوس أقرانهم ، لما يمتلكون من قوة

---

[272] م . ن : ١٦ / ٨٢ .
[273] ينظر : ديوان هُدبة بن الخشرم العذري : جمعه وحققه د. يحيى الجبوري – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق – ١٩٧٦م : ٢٩ .
[274] الشعر والشعراء - ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر – دار المعارف – مصر – ١٩٦٧م : ٧٩. والعقد الفريد :١٥٧.
[275] ينظر : شرح نهج البلاغة : ١١ / ٨٢ ، ١٦ / ٦٧ ، ١٦ / ٦٢ ، ١٨ / ١٨٢ وغيرها .

حجة وسحر بيان ، حتى قالوا في بعض خطبائهم ، أمثالاً حفظتها كتبُ التأريخ والسير كقولهم ((أخطبُ من قس))[٢٧٦] و ((أخطبُ من سحبان)) الذي يقول :

لقـد علـم الحـيُّ اليمـانون أننـي أذا قلت أمـا بعدُ إنـي خطيبهـا[٢٧٧]

فأن دلت هذه الأمثال على شيء ، فأنها تدلُ على أن العرب قد عرفوا الخطابة واحتفوا بخطبائهم، ويفهموا مناظريهم ، فلهم في المعاني وأبتكارها ، باعٌ طويل وكانوا يتداولونها بينهم فقد ((أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم ، فليس على أحدٍ فيهِ عيبٌ))[٢٧٨] ، لذلك نرى أن بعض هذه المعاني وجدت متناصةً في أمثال الإمام عليّ (□) من ذلك قوله : ((كل متوقعٍ آت وكل آتٍ قريب دان))[٢٧٩] ولعل رنين هذه الألفاظ يوقظ فينا رنين ألفاظ خطبة قس بن ساعدة الأيادي حين قال ((أيها الناس ، أسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آتٍ))[٢٨٠] ويوحي بالمعنى الذي قصدهُ الخطيب ، فالألفاظ تكاد تكون متقاربة ، والصياغة متشابهة فكلاهما : جملٌ خبريةٌ ، وهذا يظهر لنا التناص بأسطع صورة .

وتبدو ظاهرة التناص واضحةً في قولٍ أخر للإمام علي (□) ، جاء ضمن وصيتهِ لأبنهِ الحسن(□) بدأها ((أي بني لما رأيتني قد بلغتُ سناً ، ورأيتني أزدادُ وهناً ، بادرتُ بالوصيةِ إليك)) ثم ذكر مثلاً سّوغ فيه الوصية فقال ((إنما قلبُ الحدث كالأرض الخالية ، ما أُلقي فيها قبلتهُ))[٢٨١] ، يبدو لنا أن معنى المثل معنىً تناولتهُ العرب وقالت فيه ، فقد ذكر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) هذا المعنى في كتابه (البيان والتبيين) وفي باب من الخطب القصار

---

(276) قس بن ساعدة الأيادي - خطيب جاهلي مشهور، ينظر : البيان والتبيين : ٤٢- ٤٣ والمستقصى:١٥٢ .
(277) ينظر : نهاية الأرب في فنون الأدب -النويري (٧٣٣هـ) : ١٠١٢ .
(278) الصناعتين : ١٩٧.
(279) شرح نهج البلاغة : ٧ / ٦٢ .
(280) البيان والتبيين : ١ / ٦٨ . صبح الأعشى : ١ / ٢١٢ . جمهرة خطب العرب : ١ / ٣٥ .
(281) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٣٩ .

من خطب السلف قولاً يحملُ هذا المعنى هو ((التعلم في الصغر كالنقش على الحجر))[٢٨٢] لكن سعة هذا المعنى تبدو أقل مما جاء به المثل ، لأن الأرض أوسع من الحجر ، فالحجرُ جزء منها ، وما يحفظهُ الحجر لا يزيد و لربما تناقص ، أما ما يلقى في الأرض فهو ينمو ويزداد ويثمر ، وهذه الدلالة أوسع من الدلالة الأولى وإن بدا التناص واضحاً بين القولين على الرغم من أختلافهما في الصياغة ، ولكل ظرفه المحيط به الذي حدد الصياغة ولكل مقامه الذي فرضتهُ الظروف البيئية والاجتماعية ساعة إنشائهِ .

ب – الأمثال :

يقول أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) إن الأمثال ((هي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق ، بكنايةٍ غير تصريح ، فيجتمعُ لها بذلك خلال أيجاز اللفظ وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه))[٢٨٣] ، فامتلاكها لهذه السمات جعلها ((هي الحكمة الناتجة من التجربة التي يعبر عنها كنايةً أي بطريقة غير مباشرة))[٢٨٤] .

ولما كان كلام الإمام عليّ (□) هو الحكمة والموعظةِ ، فأنهُ لا بد لهُ من أستيعاب هذه الحكم وصياغتها نصوصاً بليغةً تحملُ معاني نبيلة ضمنها أمثالهُ التي نجدُ فيها تعالقاً بين هذه المعاني والمعاني التي حملتها الأمثال العربية القديمة .

ففي خطبةٍ له يصف فيها شدة قرابتهِ للرسول الأكرم (□) وتمسكهُ بالإسلام ، فيقدم لذلك تصويراً لهذا التمسك قائلاً : ((أما بعدُ ، فأن الله سبحانهُ وتعالى ، بعث محمداً (□) وليس أحدٌ من العرب يقرأ كتاباً ، أو يدعي نبوة ولا وحياً ... ويستمر الخطاب يصور هذه الحالة، حالة التمسك بالمبادئ واصفاً له بأنه (□)ما ضعف يوماً ولا وهن ، ثم ينتقل الخطاب الى وصف نفسه (□) فيقول ((لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من

---

[282] البيان والتبيين : ١ / ٣٥٧ . والتمثيل والمحاضرة : ٢١٦ .
[283] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : ٤ . وينظر : الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) : ٣٦ .
[284] الأمثال العربية و العصر الجاهلي (دراسة تحليلية) : ٣٦ .

خاصرتهِ))[٢٨٥] كأنه (□) قد جعل الباطل كالشيء المشتمل على الحق ، غالباً عليه ، ومحيطاً به ، فإذا بقر ظهر الحق الكامن فيه[٢٨٦]، نلحظ أن هذا المثل قد حمل تناصاً لمثل جاهلي ذكرهُ الميداني (ت٥١٨هـ) هو ((يخرج الحق من خاصرة الباطل))[٢٨٧] ، فالمعنى متداول لدى العرب لكن الذي جاء به الإمام (□) أختلف في الصياغة التي أكد فيها المعنى بثلاثة مؤكدات هي : القسم ، ولام التوكيد ، ونون التوكيد ، فأزداد بذلك ثبات المعنى وتعزز بالتشبيه الذي سبقهُ ، الذي يستشف من تشبيه نفسه (□) في حالة التمسك بالإسلام بتمسك الرسول الأكرم (□) . كل ذلك جعل للسياق دوراً هاماً في إبلاغ المعنى وتوضيحهِ فالمعنى يظهرُ فيه التناص واضحاً ، لكنهُ في المثل أوكد وأبلغ وللصياغةِ دورٌ في ذلك.

والتناص لا يبدو دائماً واضحاً فلربما أختفى وراء لفظة ، دلت عليه ، أو دل عليه تلميحٌ كحادثةٌ معينةِ أو رمز جاء في نص المثل ، فمن شواهد ذلك قوله (□) في كتاب لمعاوية ((أما بعدُ ، فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصرِ من عيان الأمور ، فلقد سلكت مدارج أسلافك بإدعائك الأباطيل))[٢٨٨] فيحذرهُ من الوقوع في الوهم والمطالبةِ بالخلافة ، التي يراها الأمام (□) بعيدة عنه ، فيضرب لهذا البعد مثلاً قائلاً ((تقصرُ دونها الأنوق ويحاذي بها العيوق))[٢٨٩] فالذي دلنا على وجود التناص في هذا المثل هي (لفظة الأنوق) وهي الرخمة التي ذكرتها العرب فقالت (سألتني عن بيض الأنوق) وذلك لأنها تبيضُ في رؤوس الجبال ، فلا يوجد بيضها لبعد مطلبهِ وعسرهِ[٢٩٠] فأستمد الإمام علي هذا المعنى حين صاغ مثلهُ بما لائم السياق الذي جاء به ثم يؤكدهُ بمثل آخر يحمل مفردةٌ فيها دلالة البعد الذي قصدهُ الامام (□) كي يوغل في تحذيرهِ ويؤكد له بطلان دعواهُ ، يقول ((ويحاذي بها

---

(285) شرح نهج البلاغة : ٧ / ٦٨ .
(286) م . ن : ٧ / ٦٩ .
(287) مجمع الأمثال : ٢ / ٤٢٩ .
(288) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٤٢٩ .
(289) م . ن : ١٨ / ١٣ .
(290) المستقصى : ٣٤٧ .

العيوق))[٢٩١] والعيوق كوكبٌ معروف في العلو وهذه الأمثال ضربها في بُعد معاوية عن حق الخلافة[٢٩٢] ، فالمثل أستمد دلالته من خلال توظيفهِ لهذه المفردات التي ذكرتها العرب ، فهو تناص لمعنى عربي معروف كما نلحظ تناصاً أخر في قوله ((لم يعض على العلم بضرس قاطع))[٢٩٣] من قول العرب ((رجل منجذ هو المجرب وأصلهُ من النواجذ ، يقال عض على ناجذيه إذا استحكم))[٢٩٤] ، فالمعنى ذكرته العرب لأن العرب تسمي الناجذ ضرس الحلم ، لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل ، فكأن المعنى قد أخذ من مجموع هذه الأقوال وصيغ صياغة أخرى أجمل وأبلغ . ومن أمثال الإمام (□) الحكمية التي نلحظ فيها تناصاً قوله ((ربما أخطأ البصير قصدهُ وأصاب المعنى رشدهُ))[٢٩٥] مع المثل الجاهلي ((مع الخواطئ سهمٌ صائب))[٢٩٦] لكن الذي ميز قول الإمام (□) هو الدلالة الواضحة عندما استثمر ماوفرهُ الطباق بين المفردات من صور أنتجت معنى أكثر وضوحاً وجمالية .

---

(291) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٣ .
(292) م . ن : ١٨ / ١٤ .
(293) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧١ .
(294) العقد الفريد : ١٥٦٣ .
(295) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٦٧ .
(296) جمهرة الأمثال : ١ / ٤٩١ .

المبحث الثالث :طريقة الإبتكار :-

ونقصدُ بها الأمثال التي جاءت سابقة على غيرها شكلاً ومضموناً وسنحاول في هذا المبحث أن نكشف سر هذا الإبتكار وأوجههُ ومميزاتهُ .

فلكل إبتكار مزية ولكل إختراع لمعنى دقيق حسنةً ((لأن إبتكار المعنى والسبق أليه ليس هو فضيلة يرجع إلى المعنى ، وإنما هو فضيلة ترجع إلى الذي أبتكرهُ وسبق إليه))[٢٩٧]

ولا يتم هذا الإبتكار ولا يتحقق إلا بتوافر شروطه ، ومن شروطه :

أولاً : امتلاك القدرة والموهبة : هي مزية لا بد لأي أديب من امتلاكها ، إذ لا إبداع من دونها ، فمن أمتلك القدرة والموهبة ، صار متمكناً من أدوات البيان ، فهي طوع بنانهِ ، يدورها حيثما يريد ، يغوصُ في أعماق لغته ، يستخرج منها الدّرر ، ولعل قدرة الإمام علي (□) قدرة لا نجد لها مثيلاً فهي التي أنتجت أديباً ظل خالداً ، فهو صورة البيان الجميل ودلالة القدرة العالية ، مثالُ الموهبة الفذة حتى أن كلامه ((لتجد فيه متى شئت فصولاً تعلم أن لن يستطاع في معانيها مثيلها))[٢٩٨] وتلك موهبة الله عز وجل لمن كان مستحقاً لها ، فأستثمرها فأنتجت وإنه لنتاج رائعٌ جميل.

ثانياً : وجود البيئة المناسبة التي تتمثل في مجموع الظروف الأجتماعية والسياسية والأقتصادية فكانت هذه الظروف التي ألمت بكلام الإمام عليّ (□) خطبة كان أو رسالة أو مثلاً قد أوجبت هذا الإنتاج الرائع وساعدت في إنضاج شكلهِ ومضمونهِ ، فكانت سبباً مهماً للإبتكار والإختراع ، إذ كانت حياة الإمام علي (□) تجري وفق هذا المنوال من التزاحم والتسارع والمفاجآت فما كاد يتولى الخلافة حتى انهالت عليه التحديات بأشكالها المختلفة وصروفها المتنوعة التي أنتجت مقالاً ، جاء بكل وصفٍ دقيقٍ ومعنىً نادر ، وصورة

---

[297] الصناعتين : ٣٨٧ .

[298] دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، قرأهُ وعلق عليه أبو فِهر محمود محمد شاكر– الناشر مطبعة المدني – القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢م : ٦٠٤.

ساطعة وحجةٍ داحضةٍ ، فأنار الدرب لسالكيه ، وقرب البعيد لطالبيه ، وأوجز وأبلغ فأنتج أمثالاً نرى فيها سمات الإبداع ظاهرة ، ولعلنا في هذا المبحث نستطيع أن نستخرج المعاني الغريبة والنادرة التي جاء بها ، ونشير إلى جوانب الإبداع ونشخصها ((لأن الإبداع إنما يقع في معنى غريب لم يطرق ، ولا يكون ذلك إلا في أمر غريب لم يأت مثله))[٢٩٩] ، وقد حدثت في حياة الإمام (□) أمورٌ كثيرة ومتنوعة ، أنتجت معاني متنوعة أيضاً ، وأن المعاني على ضربين ((ضربٌ يبتدعهُ صاحب الصنعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه والآخر ما يحتذى به على مثالٍ تقدم))[٣٠٠] .

والذي يهتم به هذا البحث هو الضرب الأول أي ضرب الإبداع الذي ((ليس معناهُ اختراع شئ من الهواء ، ولكن معناه وجود مادة تتفاعل مع شخصية قوية فتمثل خلقاً جديداً))[٣٠١] ، وهذه المادة التي تتفاعل مع الأديب ((ليست كل ما يرثه الأديب من أسلافهِ فحسب ، بل قد تكون ظواهر الحياة المعاصرة مادة له فيتنفسها ومعينهاً في ذلك موروثهُ الأدبي المبدع))[٣٠٢]

فامتزاج الموروث الأدبي الذي أطلع عليه الإمام (□) بالقدرة العالية والموهبة الفذة مكنتهُ من أنتاج نصوصٍ نثرية غاية في الروعةِ والجمال ولاسيما نصوص أمثالهِ التي تحققت فيها ميزات خاصة هي :

١ـ دقة الصياغة :

قدم لنا الإمام علي (□) أمثالاً مصاغة بمهارة ، حيث وظف المفردة ، بعد اختيارٍ دقيق لها ليدخلها في تركيب وفر لها من المعاني أكثرها دلالةً ، وأجملها بياناً ، فجاءت أمثالهُ ذات تراكيب متينة، استطاعت أن تقرب المعنى إلى الإفهام وتقررهُ في النفوس ،

---

(299) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١ / ٦٨ .
(300) الصناعتين : ٧٦ .
(301) مشكلة السرقات في النقد العربي : ٢٦٨ .
(302) التصوير الفني في خطب الإمام علي (φ) - رسالة ماجستير : ١٢٩ .

لأنه ((أذا كان الشئ متعلقاً بغيرهِ ومقيساً على سواه ، كان من خير ما يستعان به على تقريبهِ من الإفهام وتقريرهُ في النفوس ، أن يوضح له مثالٌ يكشف عن وجهتهِ ويؤنس به ويكون زماماً عليه يمسكهُ على المتفهم له والطالب علمهُ))[٣٠٣] .

وتتجلى دقة الصياغة في أمور هي :

أ- اختيار المفردة :

لما كانت الأمثال ((كالرموز والإشارة التي يلوح بها على المعاني تلويحاً صارت من أوجز الكلام وأكثرهُ اختصارا))[٣٠٤] هذا الإيجاز يتطلب اختيارا دقيقاً للمفردة التي تمثل اللبنة في صياغة أي تركيب دالٍ وموحٍ بالمعاني التي يسعى لتوضيحها المثل ، إذ أن المثل هو ((وشي الكلام وجوهر اللفظ ، وحلي المعاني ، التي تخيرها العرب وقدمتها العجم ، ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان ، فهي أنقى من الشعر وأشرف من الخطابة))[٣٠٥] ولا يتم للمثل هذا الوصف إلا باختيار الكلمات والتي ((ليست سواء في دلالتها على المعنى ، فمن الكلمات ما هو أصدق من كلمات أخرى وألصق بالمعنى وأكثر تمثيلاً له أمام العيون))[٣٠٦] ولكي تتضح لنا صفات هذه الكلمات وقدرتها على أبداء المعنى لابد لنا من الاستشهاد بأمثال الإمام علي (□) التي نرى فيها هذه الميزة ، يقول الإمام (□) لمن بايعهُ ثم أنكر بيعتهُ ((عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا))[٣٠٧] ،هذا المثل يصفهُ الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) (□) بقوله أن الإمام علي (□) : ((أول من سمعت منه هذه الكلمة))[٣٠٨] ، فكلمة (عدا) تعني (صرف) و(من) بمعنى (عن) .

---

(303) دلائل الأعجاز : ٥٧٥ .
(304) المثل السائر في أدب الكاتبوالشاعر : ١/ ٦٢ .
(305) صبح الأعشى : ١ / ٢٩٦ .
(306) النقد الأدبي الحديث - د. محمد غنيمي هلال ، مصر ، ١٩٧٣م ، : ٢٥٣ .
(307) شرح نهج البلاغة :٢/ ٩٦ . وينظر : النهاية في غريب الحديث - لأبن الأثير : ٣ / ١٩٤ .
(308) شرح نهج البلاغة: ٢ / ٩٧ .

يقول إبن أبي الحديد ((ولقد جاء في كثير من كلامهم كذلك قال إبن قتيبة في أدب الكاتب ، قالوا حدثنا فلان من فلان ، أي عن فلان ، ويصير ترتيب الكلام وتقديرهِ [فما صرفك عما بدا منك] ، أي ظهر ، والمعنى ما الذي صدك عن طاعتي بعد إظهارك لها ، وحذف ضمير المفعول المنصوب كثير جداً كقوله تعالى﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾[٣٠٩]))[٣١٠].

ففي هذا المثل دلالةٌ واضحةٌ على دقة اختيار المفردة ، حين استطاعت بقلة حروفها أن تؤدي المعنى وتأتي بمثل دقيق موجز وقادر على الانتشار والذيوع والضرب في أمورٍ مشابهة للحالة التي أوجبت صدوره .

ويظهر الاختيار الدقيق للألفاظ في قوله ((مخَضَتَهُ مخضَ السقاء))[٣١١] ، جاء هذا المثل في خطبة له (﴿) يصف فيها خلق الأرض ، فأستعمل الفردة (مخض) ليدل بها على حالة الاضطراب وهو المعنى الذي طرحهُ المثل حين وصف الريح في حركتها لمادة الوجود ((فالميم والخاء والضاد ، أصلٌ صحيح يدلُ على اضطراب الشئ في وعائهِ كونه مائعاً ، ومخضت اللبن أمخضتهُ مخضاً))[٣١٢] ، فقد استطاعت لفظة (المخض) أن تصور الحالة التي أراد الإمام (﴿) أن يعبر عنها فنقلت المعنى بأدق صورة واقعة ، يعرفها العربي ، لأنه يعرف ((أن القربة التي يوضع بها اللبن تحرك لتخرج منها الزبد كذلك

---

[309] سورة الزخرف / الآية : ٤٥ .
[310] شرح نهج البلاغة : ٢ / ٩٧ .
[311] م . ن : ١ / ٥٧ .
[312] مقاييس اللغة ـ أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، الدار الإسلامية – بيروت ١٩٩٠م : ٥ / ٣٠٤ .

الريحُ تحرك الماء))[٣١٣] فأختار لفظة (المخض) وهي مصدر أضافهُ إلى السقاء كي يخصصهُ وليكسبهُ دلالة أدق حين حمل هذه الصورة التي تظهر أمام عين العربي كل يوم .

ومن جميل دقة الاختيار للمفردة قولهُ (□) واصفاً المخاض الذي مرت به الخلافة والمعاناة التي رافقتها والعناء الذي تركتهُ في نفسهِ ، فهو يذكرها ، ثم يصف الحالة معرفاً قولهُ بأنهُ ((شقشقةً هدرت ثم قرت))[٣١٤] فبهذه المفردات الأربعة صنع لنا مثلاً جميلاً ((فالشقشقة بالكسر شئ كالرئةِ يخرجهُ البعير من فيه أذا هاج))[٣١٥] ، ولا يهيجُ البعير إلا بعد عناءٍ ومكابدةٍ ، ولقد كان عناء الإمام علي (□) عناءً كبيراً لذلك هدرت هذه الشقشقة والهديرُ ((صوت الفحل ، ويقال شقشق الفحل وذلك لما يهيج وبه شبه البليغ))[٣١٦] ، ولكي يزيد في أبلاغ المعنى وتأكيده عطف عليها (قرت) بحرف العطف (ثم) ((الذي يفيد الترتيب مع التراخي أو يفيد التردد بين شيئين ويجعلهُ لأحدهما لا بعينهِ))[٣١٧] ، فأعطى للهدير مداهُ ، فكأننا نسمع الهدير وهو يذوب شيئاً فشيئاً في الفضاء ، وما كان لهذا المعنى أن يتحقق لو عطف بحرفٍ غير حرف العطف (ثم) ، فهذا التراخي قاد إلى الهدوء ، أو الاستقرار الذي جاءت به لفظة (قرت) لأن الإقرار ((هو السكون من قر أذا سكن))[٣١٨].

لقد وفرت هذه الصياغة وهذا الاختيار الدقيق للمفردة دلالات أخرى تستشفها من النص ، وهي الدعوة إلى معرفة الحقيقة ، مقرونة بالسكون والهدوء ، الذي يحفظ للأمة أسلامها ، ولا يفتح للفتنة باباً تعبث فيه بالمسلمين ، وتلك لعمري دلالة أسبغت على النص

---

(313) نهج البلاغة -خطب ، رسائل ، حكم ، بقلم محمد كاظم الحائري ، مطبعة النجف ١٩٥٩م : ٣٠ .

(314) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٢٨ . وينظر : النهاية في غريب الحديث : ٢ / ٤٩٠ . مجمع الأمثال : ١ / ٣٦٩ .

(315) القاموس المحيط - تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي(ت٨١٧هـ) - ط٢ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٢م : ٣ / ٢٥٩.

(316) تاج العروس من جواهر القاموس - محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ، دراسة وتحقيق علي شيري – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – ط١ – بيروت ١٩٩٤م : ٧ / ٦١٥ .

(317) البلاغة والأسلوبية - محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ، ناشرون – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان : ٢٨٥ .

(318) مجمع البحرين - فخر الدين الطريحي ، المتوفي سنة ١٠٨٥م ، تحقيق السيد أحمد الحسيني – دار الكتب العلمية – النجف الأشرف ، ط١ ، ١٣٨٦هـ : ٣ / ٤٥٦ .

هيبة وجلالاً وما كان هذا ليحدث لولا الاختيار الدقيق للمفردة المعبرة الموحية عن المعنى بأدق صورهِ وأجمل أشكالهِ ((لأن الكلمة العربية بطبيعة صياغتها ، ومسار تقلب معانيها وتطور مدلولاتها ، ليست رموزاً جامدة وأصواتاً صماء ، تقتصر على معناها المحدد من غير جذور تاريخية وتنزوي في مدلولها من غير إيحاءات فكريةٍ وشعورية ، وإنما هي نبعٌ فائض ، وصدى شفاف ، فهي صورةٌ فنيةٌ بطبيعتها ، وتستوي أداةً لتجسيد الأمور المعنوية وتشخيص المواد))[٣١٩] .

ومن أمثالهِ الأخرى قوله (□) ((وقرٌ سمعٌ لم يفقه الواعية))[٣٢٠] ، فجاء بالمفردة (وقرَ) بصيغة فعل ماضٍ مبني للمجهول ، وفي سياق دعاء والوقر هنا بمعنى الثقل ، والواعية بمعنى الداعي إلى مبادئ الإسلام أو أراد بها نفسهُ الشريفة ، والوقر لفظة قرآنية ، قال تعالى □كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا □[٣٢١] وقد حملت هذه المفردة في سياق المثل

((دلالات ثرة بما تنطوي عليه من استدلال فني وصياغة مدهشةٍ))[٣٢٢] وإن صياغتها على هيئة دعاء قد وفر لها دلالات رمزية حققتها اللغة الجمالية التي جاءت بها ، حين كثفت الدلالة حتى غدت المفردة المحور الذي دار عليه النص ، فالوقر لا يحدث إلا في السمع ، والفقه لا يتم إلا عن طريق السمع ، والواعيةُ لا تؤدي غرضها إلا من خلاله ، وبذلك تحولت هذه المفردة إلى بؤرة للدلالة تجمعُ فيها المعنى الذي قصدهُ المثل .

ويظل الإمام علي (□) يختار المفردات اختيارا دقيقاً موفقاً ، يقول في مثل آخر يصفُ فيه الخطايا بأنها((خيلُ شمس حُمل عليها أهلها))[٣٢٣] والشموس ((هي النفور من

---

(319) بناء الصورة الفنية في البيان العربي - د .كامل حسن البصير- مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧م:٢٧٢.
(320) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٣٠ .
(321) سورة لقمان / الآية : ٧ .
(322) الإسلام والأدب - د. محمود البستاني (المكتبة المختصة) – النجف الأشرف : ٣٦٩ .
(323) شرح نهج البلاغة : ١ /١٦٥ .

الدواب الذي لا يستقر لشغبهِ وحدتهِ))[٣٢٤] ، فهذه المفردة (شمس) حين أُضيفت إليها الخيلُ دلت على عدم الاستقرار ، والخطايا لا تستقر على حالٍ لأنها أعمال تصدر عن نفسٍ قلقةٍ غير مطمئنة ، لذلك استطاعت هذه المفردة أن تحمل الجزء الأكبر من المعنى وهي المحور الذي دار حوله معنى المثل ، لأن صورة الشموس معروفة لدى المخاطب الذي قُصد بالنص أولاً ، ليخرج بعد ذلك إلى غرض الإرشاد والتوجيه .

أما عندما يصف الإمام علي (□) أصحابهِ فأنه يختار لهم النعوت الجميلة والألفاظ الدالة ، فيقول عنهم بأنهم ((يغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح))[٣٢٥] فقد عبر عن أخذهم الحكمة ومواظبتهم على تلقفها بعد استعدادهم لها بـ(الغبوق) وهو شرب العشي ، فأستخدم الفعل المضارع ليدل به على الحاضر والمستقبل ، ثم عطف شربهم هذا على شربهم الأول وهو الصبوح : وهو شرب الغداة ، فجاء بالاسم لأن الشرب مضى وثبت ، واستعمال الاسم أكثر تأكيداً لثبات المعنى من الفعل ، واستعمال المفردة (يغبقون) دلت على استمرارهم على هذا العمل الجيد ، هذه الانتقائية للمفردة وفرت جمالية في الأسلوب ، وابتكارا لمعنى لطيف حين أستعار لفظ الصبوح والعبوق ((لكونهما في الشرب المخصوص المحسوس))[٣٢٦] .

وفي كل أمثال الإمام علي (□) تتلألأ الألفاظ حاملة معانيها ، متوهجةً بضياء بلاغتها ، وحسن اختيارها فهي ألفاظ ثرية في المعنى ، جملية في أدائهِ ، ومن ذلك قوله (□) يصف حالهم أذا لم ينهضوا ويدافعوا عن حقهم ، يقول : ((وألا ركبنا أعجاز الإبل)) ، يقول الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) ((هذا القول من لطيف الكلام وفصيحه ، ومعناهُ إن لم نعط حقنا كنا أذلاءَ، وذلك أن الرديف يركبُ أعجاز الإبل))[٣٢٧] ، فمن خلال هذا النص

---

(324) لسان العرب : ٦ / ١١٣ .
(325) شرح نهج البلاغة : ٩ / ٧٤ .
(326) شرح نهج البلاغة - كمال الدين ميثم بن علي البحراني ((ت٦٧٩هـ) – منشورات الثقلين – بيروت ، ١٩٩٩م : ٣ / ٢١٥ .
(327) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ٦٦ .

نجد أن المفردة (أعجاز) وهي جمع عجز ، والعجز آخر الشئ وأدناهُ ، استطاعت أن تكثف المعنى وتستوعبهُ في حروفها القليلة ، وتوصلهُ إلينا من غير عناء ، لأن العربي يعرف أن من يركب على العجز هو الرديف الذي يتسمُ بالذلة والضعة .

وتظل مفردات أمثال نهج البلاغة ، مفردات منتقاة بدقة ، فهي تتلألأ في خطبه ورسائله ووصاياهُ[٣٢٨] .

ب – ملاءمة الألفاظ بعضها لبعض :

امتازت أمثال الإمام علي (□) بخاصية الملائمة القوية بين الألفاظ المكونة لها ، إذ نجد أن اللفظة كانت تستدعي أختها في التركيب ، وهذا التلاؤم هو حق البلاغة ((لأنها إحاطة القول بالمعنى ، واختيار الكلام ، وحسن النظم ، حتى تكون الكلمة مقاربةً أختها ومعاضدةً شكلها))[٣٢٩]، فهذه المقاربة والمعاضدة التي تحدث عنها المبرد (ت٢٨٥هـ) تزيد المثل قوةً في أداء المعنى، وجماليةً في الأسلوب الذي لا يتميز عن غيره إلا بإظهار هذه القدرة في تلاؤم ألفاظهِ ، ((لأنك لا تجدُ أحداً يقول هذه اللفظة فصيحةً إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها إلى معاني جاراتها ، بفضل مؤانستها لأخواتها))[٣٣٠] ، ولا يتم هذا المعنى ولا يكتسب جماليةً إلا بعد أن يراعي ما للفظة من مواصفات تمتلكها متحققة في حروفها التي كونتها ((لأن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين : قسم تعزى المزية فيه والحسن إلى اللفظ وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم))[٣٣١] ولا يتم ذلك إلا بالاختيار الدقيق للفظةِ والاستعمال الأمثل لها في التركيب ، مراعياً صفات وخصائص ميزتها عن غيرها ((لأن الألفاظ يجب أن تختار لتلاءم موقعها من الجمل ، وفي صياغة

---

(328) ينظر: م . ن : ١ / ١٠٢ ، ١ / ١٣٠ ، ١ / ١٤٨ ، ١ / ١٥١ ، ١ /١٥٣ ، ٢ / ٦٧، / ٨٦،٩/ ٧٤، ٩ / ١٢٤ ، ٧ / ١١٣ ، ١٦ / ٥٣ ، ١٨ / ١٠٢ ، ١٨ / ١٠٨ ، ١٨ / ١٢٥ ، ١٩ / ٧١ ، ... وغيرها .

(329) البلاغة - محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) - تحقيق د. رمضان عبد التواب - القاهرة ، ١٩٦٥م : ٥٩ .

(330) دلائل الأعجاز : ٤٠ .

(331) م. ن : ٤٤.

المجاز ، وفي الغاية من المعنى المراد ، وهذا جمالها في معناها ومعرضها))[٣٣٢] ، فإذا كانت هذه الملائمةُ هي التي تُحقق للجملةِ معناها ، فأن أمثال الإمام علي (□) وهي جملٌ قصيرةٌ ، موجزةٌ ، مكثفةٌ للمعنى ، متماسكةٌ في بنائها ، بحيث تشعرك بأن اللفظة فيها ، قد وقعت موقعها المؤمل لها واللائق بها ، فلا تستطيع أن تغير موقعها إلى موقع آخر دون أن يؤدي ذلك إلى خلل في المعنى لأن من ((حسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها وتمكن في أماكنها ، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام ، ولا يعمي المعنى ، وتضم كل كلمة إلى شكلها وتضاف إلى لفقها))[٣٣٣] ومن جميل ما تحقق للإمام علي (□) في أمثالهِ من هذه الصفات قوله ((بنا أنفجرتم عن السرار))[٣٣٤] ، ((أي دخلتم في الفجر))[٣٣٥] ، والسرارُ هو ((آخر ليلةٍ يستتر فيها الهلال))[٣٣٦]، وانفجرتم فعل جاء على صيغة (أنفعل) التي تحملُ معنى المطاوعة ، ويظهر التلاؤم متحقق حين نعلم : أنْ لا فجر إلا بعد السرار لذلك استدعت لفظة (انفجرتم) لفظة (السرار) التي جاءت تحملُ مدلولاً مجازياً هو ليل الجاهلية فيما ((عبرت لفظة (انفجرتم) عن خروجهم من ذلك الظلام إلى نور الإسلام))[٣٣٧] ، ويظهر هذا التلاؤم بين الألفاظ المكونةِ لأمثال الإمام علي (□) فهو يقول حين يصف الدور الذي قام به الرسول الأكرم (□) في نشر الإسلام متحدثاً عن قوة إيمانهِ وقدرتهِ على إنارة الطريق للأمة التي كانت تسكن في قعر الظلمةِ ، ظلمةِ الجاهليةِ ، يقول : ((لقد أورى قبس القابس))[٣٣٨] أي أنه(:□) ((قد أظهر نوراً من الحق لطالبهِ))[٣٣٩] ، فالقبس هو شعلة من النار حيث ((قبس يعني خذ لي

---

(332) النقد الأدبي الحديث - د. محمد غنيمي هلال : ٢٥٤ .
(333) الصناعتين : ١٦٧ .
(334) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٣٠ .
(335) م . ن : ١ / ١٣٠ .
(336) غريب الحديث - أبو عبيد بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ) ، تحقيق محمد عبد المعيد خان – الطبعة الأولى – الناشر دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٣٩٦هـ : ٢ / ٧٩ .
(337) شرح نهج البلاغة - ميثم البحراني : ١ / ٣٣٣ .
(338) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٨٦ .
(339) لسان العرب : ٤ / ٢٦٩ .

قبساً من نارٍ مقبساً ومقباساً وأقبسْ لي ناراً أو أقتبس))[٣٤٠] وعلى هذا المعنى ولأجل إيصالهِ ، جاء المثلُ حين وظف لفظة (أورى) وهي فعل رباعي من الفعل (ورى) التي تعني ((أخرج النار ، يقال ورى الزند ، أي أخرج نارهُ وأوريتهُ أنا والقبس شعلةٌ من النار والمراد هنا نور الحق والقابس : الذي يطلب النار))[٣٤١] .

نلحظ في هذا المثل التلاؤم المتحقق بين ألفاظهِ ، حتى تكاد أن تندمج فيه الألفاظ وتتحد إتحاداً ، فهي متشابهة الأحرف ، متقاربة المعنى ، فلا أحدٌ يوري إلا وأخرج ناراً ، ولا قبس إلا وهو جزءٌ من النار ولا قابس إلا وهو حاملُ مشعل النار ، والنارُ هنا هي نور الحق ، والمصطفى (□) هو الذي أخرج النور إلى البشرية وأنقذهم من ظلام الجاهلية.

وهذا التلاحم بين الألفاظ يظهر وكأن اللفظة الأولى استدعت الثانية التي استدعت أختها ، حتى تعضد المعنى بهذا التلاؤم ((لأن المعنى هو حصيلة التفاعل الدلالي بين معاني الألفاظ من ناحية ومعاني النحو التي أقامها بين هذه الألفاظ من ناحيةٍ ثانيةٍ))[٣٤٢] ، فقد أسند الفعل (أورى) إلى الرسول (□) ليدل على إن النور الذي أُخرج إلى البشرية هو النور الذي جاء به محمد (□) ولا أحدٌ سواه أستطاع أن يوري هذا القبس ، لينير الطريق إلى الإنسانية وتتكشف به الظلمات التي أغشت عيون العالمين دهوراً طوالا .

ونظل نلحظ هذا التلاؤم بين الألفاظ في أمثال الإمام علي (□) ساطعاً يميزها من غيرها، فلا جفوةٌ بين الألفاظ ولا وهنٌ في صياغةٍ ، يقول الإمام علي (□) في أحدى خطبهِ وهي من الخطب التي تصف الملاحم إنه ((هدر فنيق الباطل بعد كظوم))[٣٤٣] ، والهدير ((هو ترديد الصوت في الحنجرة ، والفنيق هو فحل الإبل ، وكظوم تعني الإمساك

---

(340) أساس البلاغة : ٢ / ٤٧ .
(341) شرح نهج البلاغة : ٦ / ٨٨ .
(342) أشكاليات القراءة وآليات التأويل - نصير حامد أبو زيد – المركز الثقافي العربي – الطبعة السادسة ، ٢٠٠١م : ١٧٣ .
(343) شرح نهج البلاغة : ٧ / ١١٣ .

والسكون))[٣٤٤] ، ويتحقق التلاؤم بين هذه الألفاظ المكونة للمثل حينما جاء بالفعل (هدر) مسنداً إلى الفاعل الظاهر (فنيق) وبين الفنيق والهدير علاقة الصوت بمصدرهِ ، علاقة الجزء من الكل ، حيث لا هدير إلا لفنيق لأن الهدير صوت الإبل والفنيق فحلها ، ثم خصص هذا الصوت بإضافته إلى الباطلِ فحققت هذه الإضافة ، استعارة اللفظة ، لتدل على إن فعل الباطل كفعل الإبل التي أمسكت ثم هدرت بعد ذلك الإمساك ، فلقد أمسك الإسلامُ الباطل وحجزهُ ، لكنهُ بعد ظروفٍ وحوادث سنحت له ، فهو يهدر بعد ذلك الإمساك ، أي أن حالة من حالات الجاهلية التي أمسكها الإسلام ، قد ظهرت وبانت فالصياغة التي جاء عليها المثل ، صياغة دقيقة ، صورت حالة الباطل صورة محسوسة يعرفها المتلقي فأحسنت تصويرها ((لأن سبيل الكلام ، سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذي يُعبر عنهُ سبيل الشئ الذي يقع التصوير فيه كالفضةِ والذهب ، يُصاغُ منها خاتمٌ أو سوار))[٣٤٥] .

كما لم يقتصر وضوح هذا التلاؤم على خطب الإمام (□) ورسائلهِ فقط ، بل نجد أن وصاياهُ الأُخرى امتازت بهذه المزية ، فأنه (□) قد ضمن وصيتهُ إلى أبنهِ الحسن (□) طائفة من الأمثال تظهرُ فيها هذه المزية ومن ذلك قوله وهو يصف حال الدنيا ((فكأنكم والساعةُ تحدوكم حدو الزاجر بشولهِ))[٣٤٦] فالشول ((هي النوق التي خف لبنها ، وأرتفع ضرعها ، والمعنى إن سائق الشول يعسف ولا يتقي سوقها ، ولا يدارك كما يسوق العشار))[٣٤٧] من خلال هذه الألفاظ نستدلُ على القدرة الفائقة في الملائمة ، فالحدو أو الحداء ، هو صوت صاحب الإبل، وهو الزاجر ، فلا حداء إلا حين يوحد الحادي أي الزاجر ، ولا يكون الحادي زاجراً إلا بعد أن يتيقن أن إبلهِ لا خير فيها فهي شولٌ لا يخاف

---

(344) ينظر : المصدر نفسه : ٧ / ١١٣ .
(345) دلائل الأعجاز : ٢٥٤ .
(346) شرح نهج البلاغة : ٦ / ١٢٤ .
(347) م . ن : ٦ / ١٢٦ .

عليها ، كذلك الساعة لا تراعي الناس لأنهم كالشول لا فائدة ترتجى منهم ، ولا خوف يحذرُ منه ، فلقد أزداد المعنى دقة حين تلاءمت هذه الألفاظ ، فهي مختارةٌ منتقاة ، اكتسبت جمالها من مجاورتها لأخواتها ((لأن اللفظة ليست بنفسها جميلة ، ولا قبيحة ، وإنما تكتسب حسنها من وجودها في الموضع الملائم ، ومناسبتها للمعنى المقصود))[٣٤٨] ، ولقد حققت هذه الألفاظ عندما حَسُنَ تلاؤمها للمعنى المقصود وأكدت ما عليها من أبلاغ المتلقي وأي إبلاغ .

وفي أمثاله (□) التي تضمنتها خطبهِ ورسائلهِ ، نماذج أخرى تظهر هذا التلاؤم والتعاضد بين مفرداتها[٣٤٩] .

٢- وضوح أثر السياق في صياغة المثل :

السياق لغة : هو مصدر (ساق ، يسوق ، سوقاً ، وسياقاً) والمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث وهو ((التتابع))[٣٥٠] أو ((أن السياق في اللغة يعني الإيراد))[٣٥١] .

فإذا كان المقصود بالسياق (التتابع) ، فإن أحد الباحثين يرى أن ((النظر إلى السياق يتم من ناحيتين :

الأولى : توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك))[٣٥٢]

كما أن السياق ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب ، بل والقطعة كلها ، وهو ما يطلق عليه ((سياق النص))[٣٥٣] .

أو ما يسميه النقد العربي القديم بـ (المقال) .

---

(348) دلائل الأعجاز : ٣٨ .

(349) ينظر: شرح نهج البلاغة : ١٢٨/١، ١٣٠/١ ، ١/ ١٥١، ٢ / ٩٦ ، ٦/ ٧٩ ، ٩/ ٧٤ ، ٩ / ١٥٧، ١٨/ ٥٨، ١٨/ ٧... وغيرها .

(350) ينظر : لسان العرب - مادة (سوق) : ١٠ / ١٦٦ .

(351) كشاف اصطلاحات الفنون : ٤ / ٢٧ .

(352) قرينة السياق - د. تمام حسان: ٣٧٥ ، بحث قدم في (الكتاب التذكاري للأحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم) ، مطبعة عبير للكتاب ، ١٩٩٣م – القاهرة .

(353) دور الكلمة في اللغة - ستيفن أولمان ، ترجمة د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م :٦٢ . وينظر : علم الدلالة العربي - د. فايز الداية – دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، : ٢١٨ .

والثانية : هي توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي ، وكانت ذات علاقة بالاتصال ، وهذه الناحية يسمى فيها السياق ((سياق الموقف))[٣٥٤] والنقاد العرب القدماء كانوا يسمونه (المقام) حين أطلقوا كلمتهم المشهورة ((لكل مقام مقال))[٣٥٥] ، ونظروا إلى النصوص الأدبية وفق هذا المنظار ، وهو سبقٌ لهم سبقوا به الآراء الغربية التي حملت النظرية السياقية والتي هي ((حجر الأساس في المدرسة اللغوية الحديثة التي أسسها (فيرث) في بريطانيا ، والتي وسع فيها نظريته اللغوية بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى ، ومن ثم حاول أثبات صدق المقولة بأن (المعنى وظيفة السياق) ولقد عرفت هذه المدرسة (مدرسة لندن) بالمنهج السياقي الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الأجتماعية للغة))[٣٥٦] ، وهذه الوظيفة الاجتماعية لا تتحقق إلا بمراعاة مقتضى الحال الذي أشار إليه البلغاء العرب ، حين أوصى بشر أبن المعتمر (ت١٦٨هـ) المتكلم بأن ((يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكلٍ كلاماً ، لكل حالةٍ من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))[٣٥٧] ، وبهذا السبق يكون العرب عندما قالوا ((لكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبتها مقام" قد وقفوا على عبارتين من جوامع الكلم ، تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات ، لا العربية الفصحى فقط ، وتصلحان للتطبيق في كل الثقافات على حد سواء))[٣٥٨] ، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) إلى هذا المعنى عندما ربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه حيث يقول ((وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظةٍ

---

(354) قرينة السياق : ٣٧٥ . وينظر : دلالة السياق - د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي – معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى ، السعودية ١٤٢٤هـ : ٤٢ .

(355) مفتاح العلوم : ١٦٨ .

(356) علم الدلالة - د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٣م : ٦٨ .

(357) البيان والتبيين : ١ / ٩٢ . الصناعتين : ١٤١ .

(358) اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٧٢ .

مقطوعةٍ مرفوعة من الكلامِ الذي هي فيه ، ولكننا نوجبها لها موصولةً بغيرها ومعلقاً معناها بمعنى ما يليها ، فإذا قلنا في لفظة [أشتعل] من قوله تعالى قَالَ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا [359] أنها في أعلى رتبة من الفصاحة ، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ، ولكن موصولاً بها الرأس ، معرفاً بالألف واللام ومقروناً إليهما الشيب منكراً منصوباً))[360] .

وعلى وفق هذا الرأي ، فأن المعنى لا يمكن تحديدهُ إلا بمعرفة السياق اللغوي والسياق المقامي، وهذا ما تمثله فكرة (مقتضى الحال والعلاقة بين المقام والمقال).

إن مراعاة هذه الأعتبارات ((تمثل الإتجاه الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى وتطبيق هذا المنهج ينبغي أن يصدق على النصوص المنطوقة ذات المقام الحاضر الحي كما ينبغي أن يصدق على النصوص ذات المقام المنقضي والذي يمكن أعادة بناؤه بالوصف التاريخي ، ومن هنا تأتي قيمة هذا المنهج لدراسة كتب التراث العربي ، وأن الإكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعتبر(كذا) دائماً سبباً في قصور الفهم))[361] .

ولعل البحث وفق هذه النظرية سيحاول توضيح معاني أمثال الإمام علي () ودلالاتها المبتكرة ، قدر المستطاع أن يكشف عن ظروف المقام بعد أن ينظر في السياق اللغوي الذي جاء عليه المثل ، ولكن بصورة مختصرة ، لأن البحث سوف يتطرق إلى

---

[359] سورة مريم /الآية :٤ .
[360] دلائل الأعجاز: ٤٠٣ .
[361] اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٧٢ ، والصواب يعد دائماً (سبباً في قصور الفهم).

أساليب المثل في الفصل القادم ، وسيحاول الوقوف على الجوانب اللغوية وسياقاتها بشيء من التفصيل .

فمن أمثال الإمام علي (□) المبتكرة قوله ((إختلف النجر وتشتت الأمر))[٣٦٢] جاء هذا المثل في نص خطبة ذكر فيها حال الناس ((فالناسُ في فتن أنجذم فيها حبل الدين وتزعزعت سواري اليقين ، وإختلف النجرُ وتشتت الأمرُ، وضاق المخرج وعمي المصدر))[٣٦٣] ، نلحظ في هذا النص ورود الأفعال (تشتت وأختلف) ليدل بها على حدث مضى ، ولقد فرض سياق النص هذا الاستعمال للأفعال الماضية ، أما سياق الموقف ، فإن المثل جاء ليصور حالة الناس قبل الإسلام ، فحالتهم استوجبت هذا الوصف الدقيق ، لأن المثل إذا جاء وفق المقام الذي هو ((ليس أطاراً أو قالباً ، وإنما هو حصيلة الموقف المتحرك الاجتماعي والذي يعتبر المتكلم جزء منهُ))[٣٦٤] كما يعتبر المخاطب والكلام نفسهُ حصيلة متحققة من مجموع التأثيرات الاجتماعية التي أفرزت هذا التصور من الحالة الاجتماعية وعموم الظروف المحيطة بإنتاج المثل ، فأنهُ أصاب معناه وبينه.

وليس أدلُ على ذلك أثر السياق في صياغة المثل من قوله (□) ((كلمةُ حقٍ أُريدَ بها باطل))[٣٦٥] حين ضلت الخوارج عند قوله تعالى وَقَالَ□ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ□[٣٦٦]

فأنكروا على الإمام (□) موافقتهُ على التحكيم ، وقالوا ((كيف يحكم وقد قال الله سبحانه ُ□ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ□))[٣٦٧] ، نلحظ أن أثر السياق كان جلياً في هذا المثل ، حيث أن

---

(362) شرح نهج البلاغة : ١ /٨٧ .
(363) م . ن : ١ / ٨٧ .
(364) التفكير البلاغي عند العرب - حمادي صمود - منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١م : ٢٠٩ .
(365) شرح نهج البلاغة : ١٦/ ٧ .
(366) سورة يوسف /الآية : ٦٧ .
(367) شرح نهج البلاغة : ١٩ / ٧ .

الإمام علي (□) كان مدركاً لحقائق المقام المتمثل بالظروف السياسية والاجتماعية فقد ((كان فاهماً تماماً لكل هذه الحقائق [حقائق المقال والمقام] والتي حاول شرحها حين رد على هتاف الخوارج [لا حكم إلا لله] بقوله [كلمة حق أريد بها باطل] ، وكان يعني أن الناس ربما قنعوا بالمعنى الحرفي لهذا الهتاف [أي معنى ظاهر النص] فصدقوا إن الخوارج أصحابُ قضيةٍ ، يستحق أن يدافع عنها في ضوئهِ ، وهو مقام محاولة ألزام الحجة سياسياً بهتاف ديني ، فالمقام في هذا الهتاف من السياسة ، والمقال من الدين ، وينبغي للناس أن يفهموا المقال في ضوء المقام))[٣٦٨].

وعلى ضوء هذا الفهم الذي جاء به الإمام علي (□) يجب أن تفهم النصوص التأريخية والحديثة على السواء ، لأن الظرف الاجتماعي هو العامل الحاسم في إنضاج النص وفي إكسابه معنى آخر غير المعنى المعجمي الذي تمنحهُ الكلمات ((لأنه معلوم علم الضرورة إن لن يتصور أن يكون اللفظةِ تعلقُ بلفظةٍ أخرى من غير أن تعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك ، ويراعى هناك أمر يصل أحداهما بالأخرى))[٣٦٩] ، وهذا الأمر لا يقتصر دورهُ في علاقات التراكيب اللغوية على الرغم من أهميتها ، لكنه يتعدى إلى علاقات أخرى يفرضها المقام ، وبالتالي يظهرُ لنا الاختلاف في الأساليب ، لأن لكل موقف أو مقام مقالاً خاصاً به ((فمقام الفخر غير مقام المدح ، وهما يختلفان عن مقام الدعاء والاستعطاف والهجاء ...)) [٣٧٠] ، فعندما يصفُ الإمام علي (□) حالهُ بعد الخلافة وما آلت إليه ، فبعد أن يعرض لحال من سبقهُ ، يقول ((أما والله لقد تقمصها أبن أبي قحافة ، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ، ينحدرُ عني السيل ولا يرقى إليّ الطير))[٣٧١] ،

---

(368) اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٣٨ .
(369) دلائل الأعجاز : ٢٦٣ .
(370) اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٣٧ .
(371) شرح نهج البلاغة : ١ / ٩٦ .

يتضحُ لنا تأثير المقام في الصياغة أي في استعمال الألفاظ والتراكيب، فلقد أخبر بالجملةِ الإسمية ، لأنها تدلُ على الثبوت ، بعد أن قدم له مؤكدين ، يتمثل الأول بـ (أن) المؤكدة .

والثاني : الصورة التشبيهية لأن من فوائد التشبيه تأكيد المعنى وإبلاغهِ ، ولكي يضمن تأكيد المعنى وإيصالهِ وإستمراريتهِ أردف مثلهُ بمثلٍ آخر فقال ((ينحدرُ عني السيل ولا يرقى إليّ الطير)) كي يوضح علو مكانتهِ في الإسلام ، فهو كالجبلِ الذي ينحدرُ عنه السيل ، وهو شامخ لا يستطيع الطير من الوصول إليه .

وبهذين المثلين والاستعمال الأمثل للأفعال المضارعة (ينحدرُ ، يرقى) ومن قبلها الأخبار بالجملة الاسمية ، قد أكد المعنى بأن له السبق والفضل في الأول وسوف يستمر فضلهُ وعلوه ، ودلالة الفعل المضارع تؤكد ذلك . وقد كان المقام أو سياق الموقف هو الدافع الى ظهور هذين المثلين وبهاتين الصيغتين المختلفتين ((لأن الظروف المحيطة بالتركيب النحوي هي التي تستدعي تركيز الاهتمام على بنيةٍ تركيبة معينة وهو اختيار يحدد العلاقة بين موضوع التركيب والإسلوب والسياق الذي جاء عليها))[٣٧٢] .

ومن هنا يتضح أن الموقف هو الذي يحدد الأسلوب وهو الذي يختار التركيب النحوي المناسب ، كما يتضح لنا أثر السياق في صياغة المثل وهو يتحدث عن أهل بيتهِ (□) فيصفهم بأوصاف تليق بهم ، قد استوعبت ما لهم من فضائل ، فهم كما قال : ((لا يقاس بآل محمد من هذه الأمةِ أحدٌ))[٣٧٣] ، فجاء بـ(لا)النافية لينفي الفعل ي(يُقاس) الذي جاء على صيغة المضارع حتى يؤدي المعنى في الحاضر والمستقبل ، والقياس في اللغةِ هو ((تقدير التقدير ورد الشيء إلى نظير))[٣٧٤] ، فلا نظير لهم ، وصياغة الجملة توضح أثر السياق فيها ، حيث وظف فيها التقديم والتأخير ، تقدم (آل محمد) بعد أن عدى الفعل (يُقاس)

---

[372] ينظر : البنية الإسلوبية في التراكيب النحوية - أطروحة تقدم بها محمد مصطفى العاني ، كلية الآداب – بغداد ، بأشراف د. هدى صالح الحديثي ، تشرين ٢٠٠٣م : ١٩٣ .

[373] شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٩ .

[374] التعريفات –السيد الشريف علي بن محمد الحسيني الجرجاني(ت٨١٦هـ)-دار الشؤون الثقافية –بغداد:٧٢ .

المبني للمجهول ، وأخر نائب الفاعل (أحدٌ) ، حيث أن ظاهر تقديم الفضلة (المفعول به) على العمدة (الفاعل) ، وعلى الفضلة في التركيب النحوي يمثل عدولاً عن المستوى النحوي لبنية التركيب النحوي لخلق بنية جديدة ، لها وقعٌ جديدٌ في نفس المتلقي[٣٧٥] ، وهذا ما سعى إليه النص (المثل) ، فلو جاء المفعول به على أصله من التأخير لأصبح الكلام لا يفيد سوى الأخبار ، بخلاف التقديم الذي أفاد المعنى ((ونقل التركيب النحوي إلى المستوى الإبداعي))[٣٧٦] ، وبهذا التقديم والتأخير الذي أوجده الإمام علي (□) في بنية المثل ، أستطاع أن يمثل وبوضوح الأثر الذي فرضه السياق ، كما أنه قد مثل سمة بارزة في الكلام لأنه أستطاع ((أن يكثف المستوى الجمالي للتعبير عن طريق خلق بنية تتداخل فيها العلاقات وتتبادل فيها التفاعلات بفنية تعتمد قيمتها من النحو الإبداعي))[٣٧٧] .

كما أن صياغة هذا المثل بهذا التركيب قد أعطاهُ معنىً ودلالةً أخرى هي ((التعريض بمن قدم عليه))[٣٧٨] وعلى هذا يكون الإمام (□) قد حقق لهذا التركيب النحوي الذي تحقق من خلال أربعة جوانب هي المبدع وهو المتكلم ، والسامع أو المتلقي وهو بعضُ من المسلمين الذين حاولوا إنكار فضل أهل البيت (□) ، والكلمات وهي ((بنية التركيب حيث الاختيار الموفق والملائم للنص ، وأخيراً الموضوع))[٣٧٩] وهو المتمثل في الإنكار الذي أبدوهُ لفضل أهل البيت(□) ، وعلى وفق هذا المنهج نلحظ أن أمثال الإمام (□) التي جاءت في خطبه ورسائله ، قد استوعبت تأثيرات السياق وهذا ما نلحظه في كتاب له (□) إلى عمرو بن العاص يقول فيه ((فأنك قد جعلت دينك تبعاً لدين إمرئ غبهُ مهتوك ستره ، يشين الكريم بمجلسهِ ، ويسفه الحكيم بخطبتهِ ، فأتبعت أثرهُ وطلبت فضلهِ ، أتباع الكلب

---

(375) البنية الأسلوبية للتراكيب النحوية : ٢٠٠ .
(376) م .ن : ٢٠١ .
(377) البلاغة والإسلوبية : ٢٤٨ .
(378) شرح نهج البلاغة : ١ / ٩٠ .
(379) ينظر : علم اللغة العام (مقدمة للقارئ العربي) -محمود السعران - مطبعة مرك – الإسكندرية ، ١٩٦٢م : ٣١٦ .

للضرغام يلوذ بمخالبهِ))[٣٨٠] ، في هذا النص تبدو التراكيب النحوية تراكيباً فعلية تدلُ على الحدوث لهذه الأعمال المشينة من عمرو بن العاص فوصفه بأنه ((يشين الكريم بمجلسهِ ويسفه الحكيم)) وبهذه الأفعال دلالة الحدوث والتجدد التي هي صفة له .

ثم أنتقل النص ليخاطب عمرو ليصفه وصفاً ثابتاً فيه فلجأ إلى إستعمال الجمل الاسمية ، وذلك لدلالة الثبوت التي تتسم بها وأردف ذلك بالتشبيه الذي هو أبلغُ في الاستهانة والاستخفاف[٣٨١] ، ثم الانتقال بأنواع التراكيب النحوية من الفعلية إلى الاسمية أوجبهُ السياق كما أوجب السياق اختيار الألفاظ التي لا تتحقق دلالتها التامة إلا بمعرفة مواقف هذا الرجل (عمرو بن العاص) المشينةِ التي أوجبت له هذا الوصف واستدعت هذا التركيب النحوي .

أما وصايا الإمام علي (□) فللسياق أثر في صياغتها . فنجد أن هناك توافقاً بين المقام (الحال) وبين المقال (سياق النص) وهو توافقٌ يساعد على تعيين دلالة الصيغة التي جاء عليها المثل كما أنه ((يحدد دلالة الكلمة تحديداً دقيقاً مهما تعددت معانيها ويصرف مايدّعى من إلتباس أو أبهام أو غموض في الدلالة))[٣٨٢] ، وهذا يساعد على إبلاغ المعنى وإصابة القصد ويتضح ذلك في قول الإمام علي (□) في أحدى وصاياه إلى أبنهِ الحسن (□) ((إياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها ، وتكالبهم عليها ، فقد نبأك الله عنها ، ونعتت لك نفسها ، وتكشفت لك عن مساوئها ، فإنما أهلها كلابٌ عاويةٌ وسباعٌ ضارية))[٣٨٣] ، بهذه الكلمات والتراكيب المشحونة دلالةً ، عبر الإمام علي (□) عن صفة الدنيا ، ونهى عن الأنصياع لأوامرها ، فوصفها بنعوت ، أستعمل فيها صنفاً من التراكيب النحوية هو (الجمل الفعلية) لتمنح النص سمة التجدد والحدوث وتلك صفة الدنيا ، ثم صور

---

(380) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٦٤ .
(381) م . ن : ٩٥ .
(382) ينظر : ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة –بحث- د. أحمد نصيف الجنابي – مجلة المجمع العلمي العراقي – مجلد ٣٥ – تشرين أول ١٩٨٤م .
(383) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٥٣ .

حال أهلها فجاء بالجملة الأسمية ليدلُ على أن من تمسك بحبائلها وأستهوته بزخارفها ، ونسي العظة التي منحته ، فأنه قد ثبت عليه الوصف ولا يثبت الوصف إلا بالصيغ والتراكيب المناسبة له ، وهي صيغة الجمل الأسمية ، فقال ((إنما أهلها كلابٌ عاويةٌ وسباعٌ ضارية))[٣٨٤] فجاءت هذه التراكيب مطابقة لحال هؤلاء ، لأن مطابقة الكلام لمقتضى الحال من عمل المتكلم المبدع ، فهو الذي يُطلب منه مراعاة المقامات وتفاوتها ((لأن ذلك يوفر للنص القبول الذي يتطلب أنزال الكلام هذه المنزلة ((فإنه يحتاج إلى إتمام الآلة وأحكام الصنعة))[٣٨٥] ، كما يحتاج إلى إقناع المتكلم بأن ((سياسة البلاغة أشد من البلاغة))[٣٨٦] .

ووفق هذا التوافق الواضح والأثر البين سارت أمثال الإمام علي (□) محققة هذه الميزة التي بها يتم المعنى وتستطيع الدلالة أن تعطي ثمارها ، والقصد أن يؤتي أكلهُ .

---

(384) المصدر نفسه : ٥٣ .
(385) البيان والتبيين : ١ / ١٦٢ .
(386) م . ن : ١ / ١٩٧ .

الفصل الثاني

أساليب المثل في نهج البلاغة

الإسلوب.

المبحث الأول : الأساليب الخبرية .

أولاً : أمثال جاءت بصيغة جملة إسمية :

٣. إسلوب التوكيد بأحرف التوكيد .

٤. إسلوب القصر .

ثانياً : أمثال جاءت بصيغة جملة فعلية .

ثالثاً : أمثال جاءت بصيغة جملة شرطية .

المبحث الثاني : الأساليب الإنشائية :

أولاً : أساليب الإنشاء الطلبي :

١. إسلوب الأمر .

٢. إسلوب النهي .

٣. إسلوب الأستفهام .

٤. إسلوب التمني .

ثانياً : أساليب الإنشاء غير الطلبي :

١. إسلوب القسم .

٢. إسلوب التعجب .

المبحث الثالث : أحوال الجملة في أمثال نهج البلاغة :

١. التقديم والتأخير .

٢. الإيجاز .

٣. التعريف والتنكير .

٤. الفصل والوصل .

أساليبُ المثلِ في نهجِ البلاغةِ

الإسلوب : لغة :

تعرف معاجم اللغة الإسلوب بأن ((السين واللام والباء مستعملات سلب ، وكل لباس على الإنسان سلب ، والسلبُ ما يسلب به والجميع أسلاب والإسلوب الناقة التي يؤخذ ولدها وجمعهُ سلائب ، والسليب الشجرة أخذت أغصانها وأوراقها))[٣٨٧] ويقال ((للسطر من النخيل إسلوب ، وكلُ طريقٌ ممتد فهو إسلوب ، والإسلوب الطريق والوجه والمذهب ، والأسلوب الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين))[٣٨٨] وعلى هذا تكون كلمة إسلوب قد دلت وأوحت بمعانٍ تدور حول محور ((الأخذ والانتزاع وارتبطت بمفهوم العطاء المادي والمعنوي))[٣٨٩] .

الإسلوب إصطلاحاً :

ليس هنالك تعريفٌ متفق عليه ولكنه يتخذ من التعاريف العديدة ما يدور حول الطريقة والمسلك في الكتابة ، والإسلوب هو طريقة الكتابة أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها ، تعبيراً عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير[٣٩٠] ، أو هو ((اختيار أو انتقاء يقوم به المنشيئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين))[٣٩١]

---

(387) العين - للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي . و د. إبراهيم السامرائي – منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ط١ ، ١٩٨٨م : ٧ / ٢٦١ .

(388) لسان العرب ، مادة (سلب) : ١ / ٤٧١.

(389) البلاغة والإسلوبية : ١٠ .

(390) الإسلوب - أحمد الشايب ، مكتبة النهضة العربية – ط٧ – القاهرة – ١٩٧٦م : ٤٤ .

(391) الإسلوب – دراسة لغوية احصائية – د.سعد مصلوح–عالم الكتب – ط٣– القاهرة– ١٩٩٢م : ٣٨.

وقد تختلف زاوية النظر للإسلوب فهو ((طريقة التعبير المميزة لكاتب معين أو لخطيب أو لمتحدث أو لجماعة أدبية ما ، وهو أيضاً سمات لحقبة أدبية معينة))[٣٩٢] ويرى آخر أن الإسلوب هو ((طرق مختلفة في قول الشيء نفسهُ))[٣٩٣] .

والأسلوب يحمل سمات الشخص المؤلف للنص الأدبي ، حيث تظهر ملامح تأثيرات الأديب على نصه ((فالإسلوب هو الإنسان نفسه))[٣٩٤] لأنه ظاهرة تسهم فيها جميع المؤثرات البيئية والنفسية وتظهر فيها ثقافة الفرد الذي يكتب وتأريخ تكوينهِ الفكري والانفعالي ، وعليه ((فموضوع علم الإسلوب هو واقع إنساني متشعب غني بالروافد المختلفة ، مضافاً إلى أن علم الإسلوب يقف في الوسط بين مجالين فكريين هما الأدب واللغة ومناهجهما المختلفة))[٣٩٥] لذلك لم يحدُ بطريقة دقيقة.

مفهوم الإسلوب في الدراسات العربية القديمة :

كان اهتمام العرب بالقرآن الكريم ، اهتماما خاصاً ، قادهم إلى موازنة إسلوب القرآن الكريم بأساليب الكلام العربي وهم بذلك يقدمون وسيلة ناجحة في أظهار أعجاز القرآن الكريم ، وقد حاولوا أن يضعوا للإسلوب مفهوماً محدداً ، فأنطلق كل منهم يقدم رأيه الخاص ، فإبن قتيبة (ت٢٧٦هـ) يقدم لنا في كتابه (تأويل مشكل القرآن) ((ربطاً قائماً بين الإسلوب وطرق داء المعنى))[٣٩٦] في حين ربط الخطابي ، سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت٣٨٨هـ) بين الأسلوب والغرض أو الموضوع يقول ((فكلما تعددت الموضوعات التي يطرقها الأديب تعددت الأساليب وتشكلت بطبيعة هذا الموضوع))[٣٩٧]

---

(392) الألسنية ، محاضرات في علم الدلالة ، د. نسيم عون – دار الفارابي – بيروت : ١٩٢ .
(393) الإسلوبية والإسلوب - كراهام هاف ، ترجمة كاظم سعد الدين – دار آفاق عربية ، بغداد ١٩٨٥م : ٢٢.
(394) م . ن : ٢٠ .
(395) الألسنية - محاضرات في علم الدلالة : ١٩٥ .
(396) البلاغة والإسلوبية : ١٢ .
(397) م . ن : ١٥ .

أما الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني) (ت٤٠٣هـ) فيرى أن هنالك علاقة بين الإسلوب والنوع الأدبي فهو يقول عن إسلوب القرآن الكريم ((فإذا تأملهُ المتأمل تبين خروجهِ عن صفات كلامهم وأساليب خطابهم ، إنه خرج عن العادة ، إنهُ معجز وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن ، وتميز حاصلٌ في جميعه))[٣٩٨] وعلى هذا يكون الإسلوب عندهُ هو النوع الأدبي .

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فيرى أن الإسلوب ((الضرب من النظم والطريقةُ فيه))[٣٩٩] فهو مأخوذ بنظريته في النظم ولا يرى في الإسلوب إلا الطريقة الخاصة في نظم الكلام، بينما ربط السكاكي (ت٦٢٦هـ) : ((بين الإسلوب وخاصية أخرى في التعبير هي خروج الكلام مقتضى الظاهر بما يحويه من أفانين بلاغية أو ما أسماه بالإسلوب الحكيم))[٤٠٠] وهو ((تلقي المخاطب بغير ما يترقب))[٤٠١] والسكاكي بهذا يكون قد أدخل المخاطب بوصفه عنصراً في صناعة الإسلوب .

وتدلنا هذه الآراء المتعددة على أن العرب ومن خلال ما قدموه من دراسات في مجال أعجاز القرآن قد تنبهوا إلى مفهوم الإسلوب وحاولوا أن يضعوا له حداً ، وكان كل منهم ينظر إليه وفق طريقة تفكيرهِ ، غير أنه تبقى آراء عبد القاهر الجرجاني هي المعول عليها في الدراسات التي جاءت بعدهُ فلقد أستطاع أن يضع حجر الأساس لهذا المفهوم ويقدم لبنتهُ الأولى .

مفهوم الإسلوب في الدراسات الأدبية الحديثة :

---

(398) إعجاز القرآن - أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ، تحقيق ، احمد صقر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣م : ٣٥ .
(399) دلائل الإعجاز: ٤٦٩ .
(400) البلاغة والإسلوبية : ٢٢ .
(401) الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي – دار الكتاب اللبناني – بيروت – ط٥ ، ١٩٨٠م : ١٦٢ .

اعتمدت الدراسات العربية الحديثة للإسلوب على ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة، فمن المعروف أن القرن العشرين قد شهد تطوراً كبيراً في علم اللغة الحديث بعد أن ظهرت آراء عالم اللغة الفرنسي دي سوسير(١٩١١م) ، والتي أستطاع أن يدرس اللغة بوصفها نظماً حاضراً حياً منفصل تماماً عن تأريخه وأصوله[٤٠٢] أي أنه درس اللغة لذاتها ، فأستطاع أن يميز بين اللغة والكلام ، فاللغة عندهُ ((عنصر محدد مستخلص من حقائق لغوية متغيرة الخواص أما الكلام فهو نطق فردي بفعل الإرادة والذكاء ، فاللغة دستور ، والكلام طريقة استعمال هذا الدستور))[٤٠٣] ثم جاءت بعدهُ آراء لعلماء لغة من الشرق والغرب منهم العالم اللغوي (بالي) الذي ((يعد المبتدع الحقيقي لعلم الإسلوب لكنه لم يقصد به دراسة الإسلوب الأدبي))[٤٠٤] وتوالت بعد ذلك آراء العلماء اللغويين فظهرت لنا المدرسة البنائية التي رأت أن كل نص لغوي أساسهُ بنية والبنية هي ((مجموع العلاقة الثابتة التي تميز مجموعة ما بحيث تكون هنالك أسبقية منطقية للكل على الأجزاء ، أي أن أي عنصر من البنية لا يتخذ معناهُ إلا بالوضع الذي يحتلهُ داخل المجموعة وإن الكل يبقى ثابتاً بالرغم مما يلحق عناصرهُ من تغيرات))[٤٠٥] فالنظام اللغوي هو نسق من علاقات بين الألفاظ المكونة له ((إذ يستمد كل عنصر من هذا النسق وجودهُ ووظيفتهُ من العلاقات التي يقيمها مع غيره من العناصر))[٤٠٦] ولذلك أنصبت الدراسات الإسلوبية على الكشف عن هذه العلاقات داخل النص اللغوي ودراستهُ بمعزل عن المؤثرات الخارجية الأمر الذي عد مثلبةً على هذه النظرية لأنها أفرغت اللغة من محتواها الاجتماعي فظهرت لذلك النظرية السلوكية في أمريكا على يد يومفيلد ١٩٣٣م ، ثم ظهرت بعدهُ نظريات جومسكي ١٩٥٧م اللغوية وآراؤه في البنية السطحية والبنية العميقة ، وفي القدرة والأداء ، وكل هذه

---

(402) الإسلوبية والإسلوب : ٣٥ .
(403) م . ن : ٣٥ .
(404) م . ن : ٣٧ .
(405) مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية - د. زكريا إبراهيم ، دار مصر للطباعة – القاهرة : ٣٩ .
(406) البحث الدلالي عند أبن سينا - د. مشكور كاظم العوادي ، دار سلوني – بيروت ، ٢٠٠٣ : ١٩٥ .

النظريات كانت الأساس الذي سارت عليه الدراسات العربية الحديثة للإسلوب ، فظهر لنا كتاب اهتموا بدراسة الإسلوب ونظروا له[٤٠٧].

فعلم الإسلوب وإن بدا حديثاً فأن إجراءُ تطبيقهِ على نص تأريخي ، قد لا يكون ملائماً بالتمام إلا أنه لا يخلو من فائدة ، فالدراسة الإسلوبية على الرغم من حداثتها إلا أنها استطاعت أن تنير للباحث طريقاً يلتمس فيه هداهُ إلى تحليل النص الأدبي الذي هو نص لغوي قديماً كان أم حديثاً ، يتكون من ألفاظ وهذه الألفاظ تستعمل أما لأجل ما توجدهُ من أشارات وأما لأجل المواقف والانفعالات التي تعقب هذه الألفاظ[٤٠٨] التي تتشكل في نسق لغوي يجب أن يدرس وفق المستويات المتحققة فيه ، فكل نص لغوي إذا أريد تحليله للوقوف على قيمته الفنية وجب دراسته ((من خلال المستويات التي يفرضها علم اللغة وهي المستوى الدلالي [المعنوي] والمستوى النحوي والمستوى البلاغي والمستوى الصوتي ...))[٤٠٩] .

سنحاول في هذا الفصل دراسة المستوى النحوي والدلالي للمثل ، في نهج البلاغة وقد قسمنا الفصل إلى مباحث ثلاثة :

المبحث الأول : الأساليب الخبرية للمثل :

تعريف الخبر :

الخبر: لغةً : ((هو العلم بالشيء))[٤١٠]

---

(407) ينظر : الإسلوبية والإسلوب - عبد السلام المسدي . والبلاغة والإسلوبية : د. محمد عبد المطلب . والبلاغة قراءة أخرى - محمد عبد المطلب . والألسنية محاضرات في علم الدلالة - د. نسيم عودة . والبنى الإسلوبية في النص الشعري / دراسة تطبيقية - د. راشد حمد بن هاشل الحسيني – دار الحكمة – لندن – ط١ ، ٢٠٠٤م .

(408) مبادئ النقد الأدبي - ريتشاردز ، ترجمة وتقديم د. مصطفى بدوي ، مراجعة د. لويس عوض – مطبعة مصر ١٩٦٣م : ٣٣٩ .

(409) ينظر : الأسلوب من خلال الألسنية - بحث -عزة أغا ملك – مجلة الفكر العربي المعاصر – مركز الأنماء القومي- سوريا – العدد ٣٨ سنة ١٩٨٦م : ٩٢ .

(410) مقاييس اللغة : ٢ / ٢٣٩ .

الخبر أصطلاحاً : لم يتفق البلاغيون العرب على تعريف واحد للخبر ، ولكن تعريف الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) هو الأكثر شيوعاً ، يقول ((أختلف الناس في أنحصار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب الجمهور إلى أنه منحصرٌ فيهما ، ثم أختلفوا فقال الأكثر منهم : صدقهُ مطابقةُ حكمهُ الواقع ، وكذلك كذبهُ عدم مطابقة حكمهُ له ، هذا هو المشهور وعليه التعويل))[٤١١]

وفي صدق الخبر وكذبه ظهرت آراء أهمها :

١- رأي النّظام بن سيار (ت٢٢١هـ) فهو يرى ((أن صدق الخبر مطابقة حكمهُ لأعتقاد المخبر صواباً كان أو خطأ ، وكذبهُ عدم مطابقة حكمهُ لهُ))[٤١٢] ، أما الجاحظ (ت٢٥٥هـ) فلهُ رأي خالف فيه الجمهور من البلاغيين ((فهو قد أنكر أنحصار الخبر في الصدق والكذب))[٤١٣] وزعم أن الخبر على ثلاثة أقسام ، صادق وكاذب وغير صادق ولا كاذب ، وهذا الأخير ((هو ما طابق الواقع وخالف الاعتقاد أو طابق الاعتقاد وخالف الواقع))[٤١٤] .

أما ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) فقد جعل الكلام أربع مراتب يقول : ((الكلام أربعة ، أمر ، وخبر ، واستخبار ورغبة ، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي الأمر والاستخبار والرغبة ، وواحدٌ يدخلهُ الصدق والكذب وهو الخبر))[٤١٥] ويؤكد هذا الرأي قول فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) الذي يرى ((إن القول بتصريحهِ نسبة معلوم بالنفي أو الإثبات ،

---

(411) الأيضاح في علوم البلاغة : ٨٦ .

(412) ينظر : شروح التلخيص – مسعود بن عمر الهروي التفتازاني (ت٧٩٣هـ)- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه – القاهرة – ١٩٣٧م : ١ / ١٧٦ وما بعدها.

(413) البلاغة والتطبيق : ١٠٤ .

(414) البلاغة العربية فنونها وأفنانها - د. فاضل حسن عباس – دار الفرقان – عمان – الطبعة الثالثة ١٩٩٢م : ١٠٥ .

(415) أدب الكاتب - لإبن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ)- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة – ١٩٥٨م – الطبعة الثالثة :٤.

ومن حدهُ بأنه المحتمل للصدق والكذب المحدودين بالخبر لزمهُ الدور ، ومن حدهُ بأنه المحتمل للتصديق والتكذيب المحدودين بالصدق والكذب لزمهُ الدور مرتين))[٤١٦] .

في حين نظر أبن الأثير (ت٦٣٧هـ) إلى الخبر من زاوية أخرى فهو يقدم لنا تعريفاً للخبر حين قال ((والخبر كل قولٍ أفدت به مستمعهُ ما لم يكن عندهُ))[٤١٧] فهو لا ينظر إلى صدقية الخبر أو كذبه أنما جعل الفائدة هي المرجوة من الإتيان بالخبر .

فيما ذهب الجمهور إلى القول ((أن الخبر يكون صادقاً إذا طابق الواقع ويكون كاذباً إذا لم يكن كذلك))[٤١٨] فيما يرى باحثٌ محدثٌ ((أن الخبر كل كلام يحمل الصدق أو الكذب لذاتهِ أو باعتبار اعتقاد قائلهِ أو باعتبار الواقع الحقيقي أو الفني))[٤١٩] وعلى هذا يكون الخبر هو القول الذي يقدم فائدة للمخاطب أو المتكلم ويتحقق صدقهُ وكذبهُ اعتماداً على اعتبارات عديدة ، ومن أهم هذه الاعتبارات السياق الذي يتمثل بالظروف البيئية والاجتماعية المؤثرة في أنتاج النص وفي منحهِ إيحاءات ومعاني ثانوية تكسب النص دلالات أعمق وأكثر إبلاغاً .

الإسلوب الخبري :

في نهج البلاغة تطالعنا كوكبهُ منيرة من أمثالٍ صيغت بعناية ودقة وجاءت بأخبار قصدهُ المنشيء ، وساعد سياق النص والموقف على ظهوره بهذه الصياغة التي اعتمدت الجملة أساساً تقوم عليه الأمثال وهي تنقل المعنى والدلالة ، لذلك وجب أن نعرف شيئاً بسيطاً عن الجملة التي شكلت البنية الأساسية للأمثال التي جاءت بأسلوب خبري .

---

(416) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز - تأليف الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي(ت٦٠٦هـ) ، تحقيق وتقديم د. إبراهيم السامرائي ود. محمد بركات حمدي أبو علي – دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان ، ١٩٨٥م : ٧١ .

(417) المثل السائر : ٢ / ٢٠٣ .

(418) البلاغة العربية فنونها وأفنانها : ١٠١

(419) جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية) - د.حسين جمعة – منشورات أتحاد الكتاب العرب– دمشق:٢. بحث منشور على شبكة المعلومات العالمية (أنترنيت) على الموقع : www.owu.Dam.

فالجملة عند اللغويين هي ((جماعة كل شيء بكمالهِ من الحساب وغيرهِ وأجملت الحساب والكلام من الجملة))[٤٢٠] وهي في الاصطلاح ((اللفظ المفيد فائدة يحسنُ السكوت عليها ولا تكون الجملة إلا إذا استوفت ركنين هما المسند والمسند إليه))[٤٢١] ، فاشتراط المسند والمسند إليه أمران لا زمان ، لأنه ((لا يكون كلام من جزء واحد وإنه لابد من مسند ومسند إليه))[٤٢٢] تربطهما علاقة إسناد أوجبتها فائدة الخبر ، إذ أن الإسناد ((ليس مطلق التركيب بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لأحدهما تعلق بالأخرى على السبيل الذي يحسن به موقع الخبر وتمام الفائدة))[٤٢٣] وقد يخالف هذا التحديد من نظر إلى الجملة نظرة ألتمس فيها للنفس أثراً واضحاً ، إذ يرى الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) وهو يميز بين نظم الحروف التي عندهُ ((قوالبها في النطق ليس نظمها بمقتضى معنى))[٤٢٤] ما عن نظم الجملة و التركيب ، فإنه يقول ((أما نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك ، تقتضي في نظمها أثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذاً نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضهُ مع بعض وليس معناهُ ضم الشيء إلى الشيء ، كيف جاء وأتفق))[٤٢٥] ولقد أقترب الدكتور مهدي المخزومي (□) في تعريفه للجملة من تعريف عبد القاهر الجرجاني ، فقال ((هي المركب الذي يبين المتكلم به أنّ صورةً ذهنية قد تألفت أجزاؤها في ذهنهِ ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع))[٤٢٦] فنظم الجملة لا يتحقق إلا بعد تحقق المعنى في الذهن الذي يصيغ الألفاظ على وفق متطلبات الحال ، الذي يحدد نوعية وشكل هذه الجمل التي حملت الخبر ، فهي لا

---

(420) كتاب العين : ٦ / ١٤٣ .
(421) شرح إبن عقيل على ألفية إبن مالك - بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ) ، تحقيق متحمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ٢٠٠٢م : ١ / ١٤١ .
(422) دلائل الإعجاز : ٧ .
(423) ينظر:شرح المفصل–موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش(ت٦٤٣هـ)-عالم الكتب– بيروت: ١ / ٢٠.
(424) دلائل الإعجاز : ٤٩ .
(425) م . ن : ٤٩ .
(426) في النحو العربي – نقد وتوجيه - د. مهدي المخزومي – منشورات المكتبة العصرية – لبنان : ٣١ .

تكاد تخرج عن أربعة أضرب عّدها أبو علي الفارسي (ت٣٩٥هـ) وتابعهُ في ذلك الزمخشري (ت٥٣٨هـ) بقوله ((والجملة على أربعة أضرب فعلية وأسمية وشرطية وظرفية))[٤٢٧] .

أما إبن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) فله رأي آخر في أضرب الجملة الخبرية ((فهي عندهُ تقسم إلى ثلاثة أقسام : إسمية ، وفعلية وظرفية ، ثم قسم الجملة إلى جملة صغرى وجملة كبرى ، وأخيراً تحدث عن انقسام الجملة الكبرى إلى ذات وجه إلى ذات وجهين))[٤٢٨] لكن النحاة المحدثين قد سايروا الزمخشري فيما ذهب إليه[٤٢٩] ، غير أن أحد الباحثين المحدثين يطرح تصوراً يخالف تصور القدماء ، فقد قسم الجملة إلى أسنادية وغير أسنادية ، إذ يقول ((إن الجمل التامة هي الجمل الإسنادية التي يكون فيها الإسناد مقصوراً بالذات ويلزم فيها نظام عنصري الإسناد ، ولا يحذف أحدهم إلا إذا دلت عليه قرينة حالية أو مقالية ، بحيث يكون المستمع في حاجة إليه ... أما الجمل غير الإسنادية فهي الجمل التي يمكن أن تعد جملاً اختصاصية ، أي أنها كانت في أول أمرها تعبيراً انفعالياً عبر عن التعجب أو المدح أو الذم ، وغير ذلك من المعاني التي أخذ التعبير فيها صورةً محفوظةً))[٤٣٠] ومهما أختلف النحاة في عدد أضرب الجملة الخبرية ، فإنها تبقى ((وحدة نحوية تتميز برابطة الإسناد بين مكونين أثنين دون غيرهما من الروابط الأخرى كالوصفية والحالية والمفعولية))[٤٣١] .

وعلى وفق تقديم المسند والمسند إليه يحكمُ على الجملة ، فهي أسمية أو فعلية أو ظرفية أو شرطية ((فالجملة الإسمية التي تبدأ بإسم والفعلية هي التي تبدأ بفعل على وفق

---

(427) شرح المفصل – لإبن يعيش : ١ / ٨٨ .

(428) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - عبد الله جمال الدين الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة المدني – القاهرة ،١٩٨٤م: ٤٩٢ .

(429) ينظر : في النحو العربي (نقد وتوجيه) : ٣٠ . ونحو الفعل - د. أحمد عبد الستار الجواري : ١٢ .

(430) العلامة الأعرابية في الجملة بين القديم والحديث - د. محمد حماسة عبد اللطيف – دار الفكر– بيروت: ٩٧ .

(431) ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربي - أ. د. رشيد بالحبيب – ط١- مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء : ٩ .

الرتبة))[٤٣٢] ، وهذا التنوع في الجمل الخبرية نراهُ واضحاً في كثير من أمثال نهج البلاغة ، فقد صيغت الأمثال صياغة خبرية ، تحدد شكلها ونوع الجملة المستعملة في أداء معناها وفق ما فرضهُ سياق الموقف الذي جاء فيه المثل ، فصيغت الأمثال في نهج البلاغة على الصيغ التالية :

أولاً : أمثال جاءت بصيغة جملةٍ إسمية :

توفر الجملة الإسمية للمثل الذي يأتي على صيغتها ، خصائص الثبوت في المعنى والدلالة لأن ((الإسم يدلُ على الثبوت والإستمرار والفعل يدلُ على التجدد والحدوث ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر))[٤٣٣] ، وهذه المزية استثمرت في بعض أمثال نهج البلاغة ، إذ جاءت بعض الأمثال لتدل على وضع ثابت للمعنى وتشير إليه بتركيب لغوي أستند في صياغتهِ إلى هذه الصفة ، يقول الإمام عليّ (□) واصفاً صاحب السلطان ومدلاً على وضعهِ ومكانتهِ ومصوراً ما يعانيه قائلاً ((صاحب السلطان كراكب الأسد))[٤٣٤] فالمثل مصاغ صياغة خبرية اعتمدت الجملة الإسمية تركيباً لغوياً قادراً على نقل الدلالة وإيصال المعنى وتمكينهِ من نفس المتلقي ، فهذه الصياغة قدمت غرضاً من أغراض الخبر ، يسميه البلاغيون بـ(فائدة الخبر) إذ يعد الغرض الأساس من إلقاء أسلوب الخبر ، وهو يتمثل في جميع الأخبار التي يبغي المتكلم من ورائها تعريف من يخاطبهُ بشيء و أشياء يجهلها[٤٣٥] إذا المخاطب في هذا المثل لا يدرك هذه الحالة إدراك المنشيء العالم بأسرار النفس بما أعطاهُ الله جل وعلا من مكرمات وخصال حميدة يضاف إلى ذلك .

كما إن المخاطب هنا خالي الذهن عن الخبر ، فجاء بهذه الصياغة ليدل بها على معنى ثابت ، وحالة يعانيها من يرافق السلاطين والملوك ، فهو في خوفٍ دائم من بطشهم ،

---

(432) في النحو العربي (نقد وتوجيه) : ٣٩ .
(433) الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٢٨٦ .
(434) شرح نهج البلاغة : ١٩ / ٦٨ .
(435) علم المعاني - د. عبدالعزيز عتيق : ٥٣ .

رغم ما يشاهدهُ الناظر من أثر هذه النعمة ، وقد يغبطه عليها غير أن الذي يرافق الأسد أو يمتطيه كما صورهُ المثل ، يظلُ قلقاً ، خائفاً ، لايهنأ ولا يفرح .

وتظلُ الأمثال المصاغة صياغة خبرية اعتمدت الجملة الإسمية اساساً في نقل الدلالة نجدها في قوله (□) وهو يخاطب من مدحهُ وهو له متهم قائلاً ((أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك))[٤٣٦] فالصياغة الخبرية لهذا المثل تميزت باستعمال الضمير المنفصل (أنا) مبتدأ يثير هذا الاستعمال التشويق لدى المتلقي لمعرفة ما يأتي من خبر ، إذ نجد أن المثل قد فرضهُ سياق الموقف ، إذا المادحُ المتهم في شوق لمعرفة رد الإمام عليّ (□) على مقالتهِ ، التي نعتها الإمام عليّ (□) بهذه الصفة ، فصورها ودل على ما في نفس المخاطب من سوءٍ وأشار إلى تدني منزلة هذا المادح ، فجاء المثل ليقدم لنا غرضاً سماهُ البلاغيون بـ((لازم الفائدة إذ المخبر عالمٌ بالحكم))[٤٣٧] وهو غرض ظاهر ، فيما وفر غرضاً مجازياً آخر وهو التوبيخ الذي قصدهُ للمخاطب ، ولقد تضافرت في أداء هذا المعنى وفي الإتيان بهذه الدلالة جملتان خبريتان تم ربطهما بحرف الوصل (الواو) الذي يفيد الجمع والاشتراك في الحكم كي تكتمل الصورة ويتضح المعنى لجأ إلى هذا الاستعمال الموفق للجملتين الخبريتين اللتين وفرتا تقابلاً في الدلالة والمعنى أكسب النص جمالية ، ودل على قدرة المنشيء في إدراك قصد المخاطب وكشف ما أضمرهُ في نفسهِ ، وبذلك لم يترك لهذا المخاطب شيئاً يلوذ به إذا أستطاع أن يكشف ما ظهر منه الذي تمثل بقوله ، وما بطن الذي تمثل بإضمار السوء ، وبهذا يكون المثل قد دل دلالة وافية على القصد الذي سعى إليه .

أن الأسلوب الخبري له القدرة على تصوير الحالات التي عاشها الإمام (□) والتي دل على ثبوتها وتحققها الموقف الذي وردت فيه ، إذ أن أحد الولاة وممن وثق به الإمام

---

(436) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١١٠ . وينظر : مجمع الأمثال : ١ / ٥٣ . والمستقصى : ١ / ٣٧٧ .
(437) البلاغة والتطبيق : ١١٥ .

(□) قد أستأثر بأموال المسلمين وعدها غنيمة لهُ ، لذلك نجد الإمام (□) يصف فعلتهُ واختطافهِ للأموال بـ ((إختطاف الذئبِ الأزلِ دامية المعزى الكسيرةِ))[٤٣٨] ففي هذا المثل الذي جاء بالإسلوب الخبري دلالة على ثبوت المعنى وان جاء من غير تأكيد لأن المخاطب خالي الذهن منه .

نلحظ فيه الاستعمال الدقيق للألفاظ الدالة والموحية بالمعاني إلى قصدها ، فالذئب أبداً هو رمز للغدر ، وسرعة الإختطاف تؤكدها صفة الأزل ، التي تعني ((أنه خفيف الوركين ، وذلك أشدُ لعدوهِ وأسرع لوثبتهِ ، فأن أتفق وان تكون شاةٍ من المعزى كسيرة كان الذئب على إختطافها أقدر))[٤٣٩] فبهذا التمثيل الدقيق ينقل لنا الحادثة ويدلُ على ثبوت تحققها بهذا الأسلوب وليخرج إلى عرض آخر قصدهُ وهو توبيخ من وجهتْ له هذه الرسالة وقصد بهذا التمثيل .

فالأسلوب الخبري الذي لا نجد فيه تأكيداً واضحاً ، كثيرٌ في أمثال نهج البلاغة لأنهُ ينقل لنا أخبارا لم يكن للسامع علم بها ، أما لحداثة وقوعها ، أو لأن الأفكار التي تحملها هذه الأمثال والدلالات التي تريد إيصالها ، أفكار ودلالات جديدة ، فالمخاطب خالي الذهن منها ، وهذه الأمثال كثيرة في نهج البلاغة[٤٤٠] .

أساليب التوكيد :

نلحظ في كثير من امثال نهج البلاغة ظاهرة استعمال أساليب التوكيد المختلفة فعندما يكون المخاطب الذي توجه إليه الخطبة أو الرسالة حاضراً في زمن إنشائها أم غائباً

---

(438) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٩٨ .
(439) م . ن : ١٦ / ٩٨ .
(440) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٧ ، ١ / ٩٦ ، ١ / ١٢٨ ، ١ / ١٦٥ ، ١ / ١٦٦ ، ٢ / ٦٧ ، ٦ / ١٧١ ، ٦ / ٢١٥ ، ٧ / ٦٢ ، ٧ / ٦٤ ، ١٦ / ٥٣ ، ١٦ / ١٠٣ ، ١٨ / ٣٤ ، ١٨ / ٧٣ ، ١٨/ ١٠٢ ، ١٨ / ١٠٨ ، ١٨ / ١٢٥ ، ١٩ / ١٣ ... وغيرها .

وكان شاكاً أو متردداً أو أنه يُعتقد أن يكون كذلك ، فإن الإمام علي (□) يلجأ إلى تأكيد أمثالهِ وبطرق مختلفة من التوكيد يحددها سياق النص والموقف ومن هذه الأساليب :

١) إسلوب التوكيد بأحرف التوكيد ومنها (إن) المشبهة بالفعل المؤكدة .

إذ أن كثيراً من الأفكار التي حملتها الأمثال في نهج البلاغة أفكار تحتاج إلى تأكيد لأن المخاطبين بها قد يشكون في صحتها أو هم مترددين وربما كانوا منكرين ، وقد يوجه الإمام علي (□) كلامهُ إلى من هو موقن به ومعتقد به ، لكن النص موجهٌ إلى غيره ماراً من خلالهِ قصد الإبلاغ وإثارة الإنتباه ، فمن وصية الإمام علي (□) إلى ابنهِ الحسن (□) ذكر فيها ((أن العطية على قدر النية))[٤٤١] فجاء بإسلوب التوكيد وبـ (أن) المشبهة بالفعل ليؤكد المعنى ، لأنه (□) قد تنبه إلى أن بعضا من الناس ربما تردد في قبول قوله هذا لذلك أتبع إسلوب التوكيد هذا وهو ما يسميه البلاغيون بالخبر الطلبي الذي يدلُ على أن المخاطب متردد في قبول الحكم أو مضمون التعبير أو متردداً في ثبوتهِ أو عدمهِ ، فأن هذه الحالة تقتضي تقوية الخبر في تأكيدهِ[٤٤٢] ونجد هذا التوكيد في قوله (□) : ((إنها خدعة الصبي عن اللبن عند أول الفصال))[٤٤٣] جاء هذا المثل ضمن رسالة بعثها الإمام علي (□) إلى معاوية ، ناقضاً فيها ما قدم من آراء حاول معاوية بها أن ينقذ نفسه ويتدارك أمرهِ إذ وعد الإمام بالبيعة أن هو قدم له قتلة عثمان بن عفان ()ٓفجاء هذا القول ليؤكد فيه الإمام علي (□) إن هذه الآراء خدعة ، فاستعمل في صياغة مثله حرف التأكيد (أن) وزادهُ أقترانه بالضمير تأكيداً ((لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام ، إذ أن الشيء إذا أُضمر ثم فُسر ، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة))[٤٤٤] فهذه

---

(441) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٥١ .

(442) في البلاغة العربية – علم المعاني - حسن البنداري – مصر ١٩٩٠م : ٢٦ .

(443) شرح نهج البلاغة : ١٧ / ١٤٥ . مجمع الأمثال : ١ / ٦٠ . وذُكر المثل بصيغة أخرى هي "أنها ليست بخدعه الصبي ..." وقد نسبه الى معاوية .

(444) دلائل الإعجاز : ١٣٢ .

الصياغة استطاعت أن تنقل لنا المعنى وبالأسلوب المؤكد هذا كي يفهم المخاطب بأن الذي أرادهُ عملاً واضح الدلالة ، وقد تأكد فهمهُ .

فالصياغة الخبرية التي تحتاج إلى مؤكدٍ من أحرف التأكيد نجد لها في أمثال نهج البلاغة نماذج أخرى[٤٤٥] .

وقد تدلُ صياغة المثل وبالأسلوب الخبري على تأكيد المعنى ، حين يلجأ الإمام علي (□) إلى استعمال صياغات دقيقة ، تشعر المتلقي بأهمية القصد وهي صادقة التأكيد له ، يقول الإمام علي(□) واصفاً الطريق القويم الذي يجب سلوكه بقوله ((الطريق الوسطى هي الجادة))[٤٤٦] ففي هذا النص ، الذي أعتمد الجملة الخبرية المتكونة من المبتدأ وخبرهُ أداةً لنقل المعنى والدلالة ، قد تكون من المبتدأ المعرف بالألف واللام الجنسية لتدل على الاستغراق فتكون شاملة لما يوصف بها ، ثم وصف المبتدأ بـ((لفظة الوسطى وهي الفضلى ، وجاء بعدها بالضمير المنفصل [هي] الذي يعد أحد مؤكدات الخبر))[٤٤٧] لأن الضمير المنفصل (هي) إذ عد مبتدأ ثانٍ فأنه يفيد التوكيد إذ يصير الإسناد مرتين[٤٤٨] ففي هذا النص غرضٌ قصد إليه وهو الحث على أتباع الطريق الذي جاء به الإسلام ، طريق الإعتدال ، والتأكيد هنا فرضهُ احتياج النص إلى مؤكد لأن حالة المخاطب الشاك في الأمر غير المتيقن له سوغتهُ ، إذ أن التأكيد في بعض الحالات يعدُ إنقاذاً لحيرة المخاطب ، فقد قال السكاكي (ت٦٢٦هـ) ((الحالة التي تقتضي التأكيد هي أن لا يظن بك السامع في حملك ذلك تجوزاً أو سهواً أو نسياناً))[٤٤٩] وهذا التأكيد يتم بإدخال أحدى أدوات التوكيد التي منها ضمير الفصل.

---

(445) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٥ ، ٧ / ١٤٦ ، ٩ / ١٢٤ ، ٩ / ١٥٧ .

(446) شرح نهج البلاغة : ١ / ٦٦ .

(447) ينظر : الكتاب : ١ / ٣٩٥ . والبرهان في علوم القرآن : ٢ / ٤٠٩ .

(448) وجوه بلاغية ودلالية في سورة الكوثر- د. عمر حمدان الكبيسي ، بحث مجلة عجمان للعلوم والتكنولوجيا ، مجلد ٢ / عدد ٢ / ٢٠٠٢ .

(449) مفتاح العلوم - الإمام ابي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٨٣م : ١٨٩ .

غير أن هنالك من ينظر إلى مثل هذا التركيب اللغوي نظرة أخرى فللشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) رأي وجيه ، إذ عدّ هذا النوع من التأكيد بمثابة القصر الذي ((تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة))[٤٥٠] ففي هذا المثل ، قُصرت الجادة على الطريق الوسطى كي يبالغ في أهميتها ويحثُ على سلوكها .

وهذه الصياغة الدقيقة قد وفرت للمثل قيمتين ، قيمة تعبيرية مثلها التركيب اللغوي الذي حمل دلالة الثبوت ، وقيمة جمالية تحققت من خلال التوظيف الدقيق للألفاظ داخل النص .

وقد تأتي الأمثال في نهج البلاغة بالإسلوب الخبري المؤكد بالقصر .

٢- إسلوب القصر :

يعد إسلوب القصر واحداً من أساليب التوكيد كونه ((تخصيص شيء بشيء عن طريق مخصوص ، ويقال أثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداهُ))[٤٥١] .

وللقصر أدواته وطرقه ، ومما لمسناه في أمثال نهج البلاغة هو أن الإمام علي (□) قد صاغ بعض أمثاله باستعمال أداة القصر (إنما) التي ((تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره))[٤٥٢] ومن ذلك قوله (□) واصفاً من تعلق بالدنيا وسكن إلى ملذاتها واستهوتهُ ببهرجها ، فسلك طريقاً وأتصف بصفة لا يتفقان مع الصفات الإنسانية التي يريد الإسلام أن يعمقها في النفس البشرية ، لذلك قال عنهم الإمام علي (□) : ((إنما أهلها كلابٌ عاوية وسباعٌ ضارية))[٤٥٣] والذي نلمسهُ من هذا الأسلوب ، دلالة الاختصاص ((لأن [إنما] إذا جاء بعدها المبتدأ والخبر ، كان الاختصاص في الخبر))[٤٥٤] الذي جاء جملة أسمية تمتاز بثبوت المعنى الذي تحملهُ، والذي أكد باستعمال أداة القصر (إنما) وتعضد

---

(450) دلائل الإعجاز : ٢٣٢ .
(451) والإيضاح في علوم البلاغة : ١ / ٢١٣ .
(452) دلائل الإعجاز : ٢٣٥ .
(453) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٥٣ .
(454) دلائل الإعجاز : ٣٤٥ .

بالتشبيه البليغ الذي أستطاع أن يقرب الدلالة إلى ذهن المتلقي ، إذ أستطاع أن يصور أهل الدنيا بصورة يعرفها المخاطب ولها دلالة واضحة وهي قادرة على نقل المعنى بأيسر الطرق وأوكدها ، لأن المخاطب ربما شك أو تردد في قبول الدلالة والمعنى الذي جاء به المثل لذلك لجأ الإمام علي (□) إلى استعمال القصر وسيلة لتأكيد قوله .

وعلى وفق هذا الإسلوب من توكيد المعنى باستعمال أداة القصر (إنما) نجد قوله (□) ((إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قومٍ سفر))[٤٥٥] ففي هذا النص يأتي التأكيد من مصدرين هما (إنما) وهي أداة القصر والتشبيه الذي أحدث مقارنة يستوعبها إدراك السامع فهي تقرب المعنى الذي يسهم في إيصال الدلالة ورسوخها عند المتلقي وهو ما يسعى له منشيء النص . ونجد التأكيد في أمثال نهج البلاغة يتخذ إسلوباً آخراً ، وهو أسلوب النفي والإستثناء ، ولا يستعمل هذا الإسلوب إلا عندما يكون المخاطب منكراً للخبر إذ ((أن الخبر بالنفي والإثبات يكون للأمر ينكرهُ المخاطب ويشك فيه))[٤٥٦] إذ أن إنكار المخاطب لحقيقة التباين بين الحق والباطل هو الذي سوغ صياغة المثل ((ليس بين الحق والباطل إلا أربعة أصابع))[٤٥٧] وأوجب استعمال هذا الأسلوب من التوكيد الذي ((قصُر فيه خبر [ليس] وهو [بين] على أسمها [أربع] توكيداً للإسناد بينهما))[٤٥٨] وهذه الصياغة قد حققت غرضاً مجازياً إضافة إلى ما وفرتهُ من قيمة جمالية ، إذ تمثل هذا الغرض في التحذير من سماع الأقوال غير الموثوقة وهذا التحذير لا يشمل كل المسموعات فهو ((ليس في المتواترات من الأخبار ، وإنما في الأقوال الشاذة الواردة عن طريق الآحاد))[٤٥٩] .

---

(455) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٤٩ .
(456) دلائل الإعجاز : ٣٣٢ .
(457) شرح نهج البلاغة : ٩ / ٤٥ .
(458) الجملة الخبرية في نهج البلاغة – دراسة نحوية - رسالة ماجستير ، علي عبد الفتاح الشمري – كلية التربية – جامعة بابل - بإشراف د. علي ناصر غالب ٢٠٠١م : ٢٨٠ .
(459) شرح نهج البلاغة : ٩ / ٤٥ .

ويظل السياق الذي وردت فيه الأمثال في نهج البلاغة يؤثر في اختيار التراكيب النحوية إذ قد يفرض السياق شكلاً محدداً من أشكال التأكيد للمعنى الذي يحمله التركيب اللغوي المصاغ بإسلوب خبري أعتمد الجملة الخبرية وسيلة لنقل الدلالة وإثبات المعنى في إدراك المتلقي وإشعارهِ بأهمية الفكرة التي أُخبر بها.

وقد يأتي القصر عن طريق التقديم للالفاظ على بعضها، لان التقديم يعد من طرق القصر التي تفيد توكيد المعنى وان اختلف الاسلوب وتغيرة التراكيب من مثبتة الى منفية اذ نجد ان امثالا في نهج البلاغة قد اتخذت اسلوب النفي طريقة لتحقيق المعنى ومن ذلك قوله (□) "لا رأي لمن لا يُطاع"[٤٦٠] ، جاء هذا النص ضمن خطبة وجهها إلى أصحابهِ وهو يرى تقاعسهم ، وعدم امتثالهم لرأيهِ السديد فهو يصور حال الذي لا يُطاع بمنزلة من لا يمتلك الرأي ، فأستعمل لذلك الألفاظ والتراكيب المناسبة القادرة على نقل الدلالة وإيصال المعنى ، إذ جاء بحرف النفي (لا) وهي أداة (نافية للجنس) وأتبعها بالنكرة (رأي) فحقق بذلك تركيب جاءت فيه النكرة في سياق نفي فهي تدلُ على العموم ، للأنه أراد أي رأي ، ثم عضد هذا النفي العام باستعمال الفعل الماضي المبني للمجهول (يُطاع) الذي يحملُ دلالة العموم ، إذ أن الفاعل مجهول وهو مسبوق بأداة النفي (لا) وبهذا التركيب أحدث تقابلاً جميلاً فهو عندما نفى الرأي قابله بنفي الطاعة ، كما أن تقديم النكرة المنفية (لا رأي) قد وفر تأكيداً للخبر ((لأن تقديم المحدث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقهُ له))[٤٦١].

فالصياغة هذه استطاعت أن توفر للمعنى أداء بياناً جميلاً ، يضاف إلى ذلك أن النص قد خرج إلى غرض مجازي هو توبيخ من لم يطع الإمام علي (□) من أصحابه في رأيه الذي رآهُ في معركة صفين ، لأن السياق الذي ورد به هذا النص ، هو خطبة له في أيام معركة صفين .

---

(460) م . ن : ٢ / ٤٥ .
(461) دلائل الإعجاز : ١٣٣ .

وعلى وفق إسلوب النفي ورد مثلين آخرين في نهج البلاغة[٤٦٢].

ثانياً : أمثال جاءت بصيغة جملة فعلية :

لما تنوعت الظروف التي أحاطت بإنتاج نصوص خطب الإمام علي (□) ورسائلهِ وما ورد فيها من أمثال تباينت تبعاً لذلك الصياغات التي جاءت بها ، إذ لكل مقام مقال ، فتراهُ مرة يصيغ أمثالهِ صياغة خبرية يعتمد فيها الجملة الإسمية أساساً لنقل المعنى وتحقيق الدلالة ، وتارة أخرى يلجأ إلى استعمال الصياغات الفعلية لأداء المعنى ، أو يلجأ أحياناً إلى الجملة الشرطية والتي سنتناولها لاحقاً .

فالأمثال المصاغة وفق بناء أعتمد الجملة الفعلية أسلوباً لنقل الدلالة والمعنى كثيرة في نهج البلاغة ، لأن الجملة الفعلية التي ((يكون المسند فيها دالاً على التغير والتجدد أو بعبارة أخرى هي التي يكون فيها المسند فعلاً ، لأن الفعل بدلالتهِ على الزمان هو الذي يدلُ على تجدد الإسناد وتغيرهِ))[٤٦٣] ، قد وفرت مناخاً مناسباً لظهور هذه الأمثال التي حملت دلالات زمنية ماضية أو مستقبلية ، فمن الأمثال التي حملت دلالة على حادثةٍ ماضية قوله (□) واصفاً ما جرى لآدم (□) حين أغواهُ الشيطان فأبدل يقينهُ بالشك ، فأخرجهُ من الجنة ، عندما ((باع اليقين بشكهِ والعزيمة بوهنهِ))[٤٦٤] وفي هذا المثل نلحظ أن السياق هو الحديث عن حادثةٍ مرت فهي ماضية لذلك أستعمل الإمام علي (□) الأفعال الماضية لنقل المعنى الذي قصدهُ ، فأسند الفعل الماضي (باع) إلى اليقين فحقق بذلك إسناداً مجازياً ، فالبيع يعني المبادلة ، أي أن آدم (□) أبدل ما عندهُ من يقين بما جاء به إليه الشيطان من شك ، كما أبدل عزمهُ الراسخ بالوهن المتوصل من خلال الشك ، لأن من يشك في شيء تهتز عزيمتهُ ويضعف ، وفي النص يتحقق مستويان للدلالة ، المستوى الحقيقي والمستوى المجازي والذي يتمثل في استعمال اللغة استعمالاً مجازياً تخرج فيه الألفاظ عن دلالتها

---

(462) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١٨/ ٥٩ ، ١٨ / ١٧٩ .

(463) في النحو العربي – نقد وتوجيه : ٧٦ .

(464) شرح نهج البلاغة : ١ / ٦٨ .

الوصفية والإصطلاحية الثابتة يمنحها هذا الخروج شحنات دلالية وقيماً جمالية من خلال معاني العلاقة الجديدة[٤٦٥] إذ لا بد لأي نص أدبي من أن يتحقق فيه نوعان من الدلالة ، هما الدلالة الصريحة والدلالة الضمنية ((وهاتان الدلالتان متلازمتان ، فالدلالة الصريحة جوهرية ومحددة ويندرُ أن يختلف فيها إنسان عن آخر ، وتكفي فيه المعرفة الأولية في اللغة بينما الدلالة الضمنية تحتاج إلى معرفة ذهنية (ذوقية) في اللغة وآدابها كي يتمكن المرء من إدراكها))[٤٦٦].

إذ إن هذا المثل قد حقق دلالة حقيقية هي الأخبار عن حالة مرت ، ذكرها القرآن الكريم بقوله تعالى﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[٤٦٧] كما أنه أستطاع أن يوفر غرضاً آخر وهو غرض التحذير من حبائل الشيطان ومكائدهِ والدعوة إلى أن يكون الإنسان على وعي بذلك ، كي لا يُخدع ، فتكون عاقبتهُ الخسران والخيبة في الدنيا والآخرة.

وفي مثل آخر للإمام علي (﵇) يصف فيه حالة من تصدى لحكم الأمة وليس لذلك بأهل ، فيسوق له عدة أوصاف ، يكاد بعضها يؤكد بعضاً ، يقول ((أن أبغض الخلائق عند الله رجلان ، رجل وكلهُ الله إلى نفسهِ ، فهو جائرٌ عن قصد السبيل ... ورجلٌ قمش جهلاً ... وأرتوى من أجن، ولبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت ، جاهل خباط جهالات ، لم يعض على العلم بضرس قاطعٍ ، يذري الرويات إذراء الريحُ الهشيم))[٤٦٨] فهذه الأقوال هي أمثال جاءت بصيغة الجملة الفعلية الماضية والمضارعة إلا انه (﵇) في قوله (يذري الروايات إذراء الريح الهشيم) أستعمل الفعل المضارع (يذري) ليدل به على التجدد والحدوث ، إذ نلحظ أن هنالك تدرجاً زمنياً من الماضي إلى المستقبل مثلتهُ جمل النص ،

---

(465) البحث الدلالي عند إبن سينا : ٢٠٠ .
(466) الخطيئة والتكفير : ١١٤ .
(467) سورة طه / الآية : ١٢١.
(468) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧١ .

وهذا يؤكد أن من كان في الماضي على سوءٍ وجاهلة وقلة علم ، فأن أفعاله ، ستكون أفعالاً غير متزنة ، متناثرة ، مشتتة ، وهذا ما صورهُ بقوله (إذراء الريح الهشيم) فأختار هذه الصورة الحسية أداة لتقريب المعنى كي يضمن رسوخه في نفس المتلقي وإدراكهِ ، رغم خلو هذا النص من المؤكدات إلا أنه قد عطف على أمثالٍ سبقتهُ فهي مؤكدة بطرق متعددة ، كالتقديم لما حقهُ التأخير أو باستعمال الحروف المؤكدة ، وهذا يشعر بتأكيد المثل .

ولكننا في أمثال أخرى نجد الإمام علي (□) يلجأ إلى تأكيد أمثالهِ المصاغة بصيغة الجملة الفعلية ، وبطرق متعددة ، قد يتكرر التأكيد إذا كان المتلقي منكراً لقولهِ ، ومن ذلك قوله (□) واصفاً أصحابهِ فقال عنهم ((سيرعف بهم الزمان))[٤٦٩] أي سيولدون وهم أقدر على حمل أفكارهِ وإطاعة أمرهِ وأصلب في مواجهة أعدائه ممن خاطبهم .

نلحظ في هذا النص الذي تكوّن من جملة فعلية ، فعلها مضارع سُبق بحرف السين الذي يخلص المضارع الى الاستقبال وهو حرف تنفيس[٤٧٠] إذ أكد الفعل المضارع (يرعف) الذي أسند مجازياً إلى الزمان ، وفي النص تقديم للجار والمجرور (بهم) على الفاعل (الزمان) إذ وفرت الباء دلالة أخرى للتأكيد فأجتمع في النص ثلاث مؤكدات هي السين والباء والتقديم الذي أفاد الإختصاص ((لأن تقديم المحدّث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له))[٤٧١] ، كما أن صياغة هذا المثل تدلُ على ان المتلقي منكراً للخبر لذلك أوكد الخبر بأكثر من مؤكد .

هذه الصياغة وفرت استثماراً دقيقاً لخصائص التراكيب والعلاقات القائمة بين الألفاظ ومنها علاقة الإسناد المجازي الذي ((وفر معاني عظيمة زيادة على ما يفهم من التركيب النحوي))[٤٧٢] من دلالات ومعاني ، كما أنه يستشف من هذه الصياغة غرضاً

---

(469) م .ن : ١ / ١٥١ .

(470) ينظر : شرح الرضي على الكافية رضي الدين الاستربادي(ت ٦٨٦هـ) تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر جامعة قاريونس١٩٧٨ :٢/٢٥٧

(471) دلائل الإعجاز : ١٣٣ .

(472) ينظر : التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني - د.عبد الفتاح لاشين:٢١٣.

مجازياً هو التهديد والوعيد لمن أنكر النصرة ، وتهاون في أداء واجبهِ الذي فرضتهُ عليه البيعة التي أقرها للإمام علي (□) .

ونجد التأكيد في مثل آخر للإمام علي (□) ففي خطبة له عندما بويع بالمدينة المنورة قال محذراً الناس من الفتن وحاثاً لهم على الألتزام بالطريق القويم ، مهما اشتدت المحن ((لتُساطنّ سوطَ القِدرِ))[٤٧٣] ، هذا النص قسم مضمر تدلُ عليه اللام الموطئة للقسم في قوله (لتسلطنّ) وهذا أسلوب من أساليب التوكيد ، يضاف إليه استعماله لنون التوكيد الثقيلة ، فأجتمع في النص مؤكدان ، لأنه (□) نظر إليهم نظرة المنكرِ للخبر ، وفي هذه الصياغة وقعٌ مؤثر في نفوس المتلقين ، وإبلاغ لما يريد بطريقة أوجز ، ففي هذا النص تحقق مستوين من الدلالة حقيقي ومجازي تمثل الأول في الإخبار عن حالة ستصيب القوم ومحنة ستواجههم ، وفي مستواهُ الثاني تحذيرٌ لهم ، وشحن لهممهم لمواجهة هذه المحن حتى يكونوا على بينةٍ من أمرهم لا تستهويهم النفوس الضعيفة ، ولا يأخذ الخوف منهم مأخذهُ .

وقد تأتي أمثال نهج البلاغة مؤكدة بإسلوب النفي والإستثناء ، فمن ذلك قولهُ (□) : ((ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانهِ وصفحات وجهه))[٤٧٤] ففي هذا المثل نلحظُ أنه قد تكون من (ما) وهي ((حرف نفي له دلالة على النفي في أزمنة مختلفة))[٤٧٥] ، أي لا تختصُ بزمان معين ((ومهما يكن الزمان الذي تفيدهُ [ما] أو البناء الذي تدخل عليه في تحقيق معنى النفي فأن لـ[ما] وظيفة واحدة هي نفي نسبة الفعل إلى الفاعل))[٤٧٦] ، ففي نص هذا المثل نفي للإضمار أي أن الإضمار لا يتحقق يؤكد ذلك استعمال أداة الإستثناء (إلا) هذه الطريقة تسمى طريقة القصر بالنفي والإستثناء وهي ((طريقة من طرق التوكيد

---

(473) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٥ .
(474) م . ن : ١٨ / ٦٨ .
(475) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ١ / ٣٣.
(476) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم- د.سناء حميد البياتي،داروائل للنشر،عمان،٢٠٠٣م: ٢٨.

يُراد بها قصر ما قبل [إلا]على ما بعدها))[٤٧٧] ، ولا يكون القصر بهذه الطريقة ((إلا في المواضع التي يكون فيها المخاطب منكراً للشيء أو منزلاً منزلة المنكر ، أو أن الشيء نفسهُ مما يُشك فيه))[٤٧٨] وهو ما يسمى بالخبر الإنكاري ، الذي يكون تركيبهُ النحوي من (ما) النافية التي نفت نسبه فعل (أضمر) إلى فاعله النكرة (أحدٌ) واستعمال النكرة هنا جاء ليدل على العموم ، وكذلك كان مفعول الإنكار نكرة أخرى هي (شيئاً) تحقيقاً للمساواة بين الفاعل ومفعولهِ في الصفة ، هذا النفي أكد بالإستثناء ، وبذلك توفر للنص دلالة مؤكدة إضافة إلى الدلالة المجازية التي خرج لها هذا النص التي هي التنبيه على إن إضمار الشيء لا يمكن أن يتحقق ، لأن النفس أن تخفيه في جانب ظهر في جانب آخر وعلى هيئة وصورة أخرى .

ووفق هذا الأسلوب في التأكيد نجد قولهُ (□) : ((لا يُرى الجاهل إلا مفرطاً أومفرّطاً))[٤٧٩] قد جاء بطريقة النفي والإستثناء ، مستعملاً أداة النفي (لا) التي دخلت على الفعل المبني للمجهول الذي يوحي بالعموم ، ثم جاء بعد الفاعل بأداة الإستثناء (لا) ليؤكد مانفاهُ ، ثم يعطف على ما أستثنى بأداة العطف (أو) التي تفيد التخيير محققاً بذلك أداءً بيانياً جميلاً .

أن أمثال نهج البلاغة جاءت لتمثل أحداثاً تصفها أحياناً أو تشير إليها من بعيد فهي تخبر عن أمر ما أو حادثة أو موقف وهذا الأخبار عن الموضوع الذي نقلتهُ لنا الجملة الفعلية ((لا يعدو أن يكون من قبيل أثبات صفة إليه أو نفي صفة عنه ، ولهذا فأن الجملة منفية كانت أم مثبتة لابد ن تتضمن ثلاثة أمور : شيئاً مثبتاً أو منفياً ، ومثبتاً إليه أو منفياً عنهُ وعملية أثبات))[٤٨٠] نجدها واضحة في قوله (□) نافياً القياس على أهل بيتهِ لأنه ((لا

---

(477) خطب نهج البلاغة - بحث في الدلالة رسالة ماجستير : ١٨٦ .
(478) دلائل الإعجاز : ٣٣٢ .
(479) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٠٣ .
(480) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية - عند عبد القاهر الجرجاني : ٢١٣ .

يقاس بآل محمدٍ من هذه الأمة أحدٌ))[٤٨١] ففي هذا المثل نلحظ الصياغة التي اعتمدت الجملة الفعلية المنفية إذ جاءت مسبوقة بأداة النفي (لا) التي يقول سيبويه (ت١٨٠هـ) فيها ((وتكون لا نفياً لقولهِ يفعل ولم يقع الفعل فتقول لا يفعل))[٤٨٢] غير أن هذا المعنى يختلف تبعاً لما تدخل عليه (لا) ((فإذا دخلت [لا] على إسناد فعلي الفعل فيه على بناء [يفعل] فأنها حينئذ نافية لحدوث حدث الفعل بشكل مطلق))[٤٨٣] وعلى هذه الحالة جاءت في قولهِ (لا يقاس ...) فقد نفت حدوث القياس الذي هو في اللغة ((عبارة عن التقدير وهو عبارة عن رد الشيء إلى نظيرهِ))[٤٨٤] فهم كالرسول (□) ((لا يسبقهم سابق ولا يلحق بهم لاحق ، فلا يقاس بهم أحد))[٤٨٥] ، فيما يرى أبن أبي الحديد أن هذا المثل ((فيه تعريض بمن قدم عليه))[٤٨٦] .

نلحظ في هذا التركيب النحوي الدقة في الاختيار ، إذ قدم المتعلق (الجار والمجرور) على نائب الفاعل ، وهذا ما يؤكد المعنى لأنهم يقدمون الذي أهم ، والذي هم به أعنى ، إذ العناية هنا والإختصاص هو الذي فرض تقديم المتعلق على نائب الفعل ، تأكيداً للمعنى الذي يوحي بأنه أذا كانت هذه الأمة وهي أفضل الأمم ، لا يوجدُ فيها أحدٌ يقاس بآل محمد (□) فكيف بباقي الأمم؟!.

ثالثاً : أمثال جاءت بصيغة جملة شرطية :

أي أن هذه الأمثال جاءت بإسلوب الشرط أداة لنقل المعنى ، وإيصال الفكرة التي سعى منشيء المثل من أجل أبلاغها ، ولابد ونحن نحاول أن نحلل بعض الأمثال التي

---

(481) شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٩ .
(482) الكتاب : ٤ / ٢٢٢ .
(483) قواعد النحو في ضوء نظرية النظم : ٢٧٨ .
(484) التعريفات : ١٨١ .
(485) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة- محمد الغروي،مؤسسة النشر الإسلامي– قم: ٣/ ٢١٠.
(486) شرح نهج البلاغة : ١ / ٩٠ .

وردت على وفق هذا الإسلوب من أن نلقي نظرة سريعة على آراء النحاة في الجملة الشرطية .

فقد عد أبو علي الفارسي (ت٣٩٥هـ) الجملة الخبرية أربعة أضرب وتابعهُ في ذلك جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) إذ يقول ((الجملة أربعة أضرب ، فعلية وإسمية وشرطية وظرفية))[٤٨٧] فيما أنكر ذلك أبن يعيش (ت٦٤٣هـ) : ((حين عدّ جملة الشرط مبتدأ وجملة الجواب خبراً))[٤٨٨] أما الباحثون المحدثون فيرى أحدهم ((أن جملة الشرط تستحق أن تعد قسماً قائماً بذاتهِ بين الجمل، لأن في طبيعة صيغتها ، وفي أداء معناها ما يميزها عن جملتي الخبر والإنشاء والجملة الفعلية والإسمية))[٤٨٩] ، فالجملة الشرطية ذات صيغة ، تعتمد أساساً على ((فكرة التعليق))[٤٩٠] الذي يقوم بتعليق عبارتين غالباً ما تكون الأولى سبباً للثانية أو مرتبطة بها على معنى من المعاني ، فهي متكونة من ركنين متعلق أحدهما بالآخر مما حدى بالشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) أن عد الشرط هو مجموع ركنيه ، حين قال ((الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين ، لا في كل واحدة منهما على الإنفراد ولا في واحدة منهما دون الأخرى))[٤٩١] وهذا يدل على أن الفكرة التي يدلان عليها الشرط والجزاء هي فكرة واحدة يحملها تركيب لغوي لا يتم له التحقق إلا باستعمال أداة من أدوات الشرط المختلفة ، فقد تكون هذه الأدوات ((ظرفاً كأين ، ومتى ، وحتى ، وأنى ، أو أسماً نحو من ، ما ، أي ، أو حرفاً نحو أذا ، وإذا ما))[٤٩٢] وهذه الأدوات تدخل على جملتين الأولى أن تكون فعلية ، وأما الثانية فالأصل فيها أن تكون فعلية ويجوز أن تكون أسمية[٤٩٣] وهذا التركيب اللغوي نجد له مصاديق كثيرة في أمثال

---

(487) شرح المفصل : ١ / ٨٨ .
(488) م . ن : ١ / ٨٩ .
(489) نحو المعاني - د. أحمد عبد الستار الجواري – مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٧م : ١١٦ .
(490) خطب نهج البلاغة - بحث في الدلالة - رسالة ماجستير : ١٦٤ .
(491) دلائل الإعجاز : ٢٤٦ .
(492) ينظر : في النحو العربي - نقد وتوجيه : ٢٨١ .
(493) شرح إبن عقيل : ٢ / ٣٧٠ .

نهج البلاغة ، إذ أن الإمام علي (□) قد صاغ كثيراً من الأمثال على وفق هذا الأسلوب ، فمن ذلك قوله (□) : ((من وثق بماءٍ لم يظمأ))[٤٩٤] جاء هذا المثل في سياق خطبة له بعد معركة الجمل ابتدأها بقوله ((بنا أهتديتم بالظلماء ... إلى أن قال : من وثق بماءٍ لم يظمأ ، اليوم أفصح الحق والباطل فعرفناهما نحن وأنتم))[٤٩٥] ، ففي هذا النص ((جاء المثل بتركيب شرطي أستعمل أداة الشرط [من] التي تفيد ربط وتعليق وتدلُ على ذي العقل من الأشياء))[٤٩٦] ، وهي من حيث الزمان تدل على العموم ، إذا لم يقيدها النص بقرينة فهي في هذا النص أشترط الإمام علي (□) الوثوق ، فكانت عبارة الجواب هي ((عدم الظمأ ، والظمأ الذي يقصدهُ هو الذي يكون عند عدم الثقة بالماء وليس يريد النفي المطلق))[٤٩٧] ، وجملة الشرط هذه منحت دلالة مجازية هي ما نسميه بالمستوى المجازي للنص ، إذا مثل الماء أو الوثوق بالماء هو الوثوق بأقوال الإمام علي (□) لأنها وحدها القادرة على أرواء من عطش إلى المعرفة والعلم والرأي السديد كما أن النص قد خرج إلى الحث والإرشاد على سلوك الطريق الواضح والأخذ بالأمور من أوثق المصادر وأكثرها أحكاماً وسداد ، وهذا الأسلوب الشرطي أسلوبٌ يمكن أن يُطرح من خلالهِ ((قضايا ثابتة ومفاهيم عامة تصلح للتداول في كل زمان ، وهذا ما يفسر شيوعه في خطب نهج البلاغة))[٤٩٨] .

وليست جميع أمثال نهج البلاغة التي جاءت وفق أسلوب الشرط تتخذ نوعاً واحداً أو أداة معينة في أقامة هذا الضرب من التراكيب ، فقد نجد أن أسلوب الشرط قد تكون من جملة للشرط فيها فعل شرط ، وجواب الشرط جملة أسمية ، ومن ذلك قوله (□) : ((من ضاق عليه العدلُ فالجورُ عليه أضيق))[٤٩٩] فجاء هذا المثل وفق تركيب أعتمد أداة الشرط

---

(494) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٥٣ .
(495) م . ن : ١ / ١٥٣ .
(496) ينظر : في النحو العربي - نقد وتوجيه : ٢٩٢ .
(497) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٥٣ .
(498) خطب نهج البلاغة - بحث في الدلالة - رسالة ماجستير : ١٧٢ .
(499) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٤ .

(من) مصدراً بها جملتهِ ، فيما جاءت جملة جواب الشرط وهي مقترنة بالفاء ، وهذا المثل جاء في سياق خطبة للإمام علي(□) في المدينة المنورة وفيها يصف العدل ، فقد قيل ((أن في العدل سعة ، فمن ضاق عليه القيام بالحكم الذي أقتضاهُ العدل ، فالجور الذي أقدم عليه بمقتضى هوى نفسهِ ، وميل طبعهِ أضيق عليه في الدنيا والآخرة))[٥٠٠] وفي هذا النص نلتمسُ غرضاً آخر غير الأخبار الذي جاء به، وهو غرض مجازي تمثل في الإرشاد للناس لعلهم يتخذون العدل طريقة في حياتهم .

والذي يتضح لنا أن أمثال نهج البلاغة التي جاءت وفق هذا الأسلوب الشرطي كانت تصدر غالباً بأداة الشرط (من) لأنها ((تدل على ذي العقل من الأشياء))[٥٠١] والإمام علي (□) مهتم بتوجيه الأنسان وصلاحهِ لذلك أكثر في خطابهِ هذا النوع ضمن هذا الأسلوب ، حيث الأمثال الكثيرة الهادفة[٥٠٢] .

لكننا نجدُ أمثالاً أخرى في نهج البلاغة صيغت بأسلوب الشرط وباستعمال أدوات الشرط الأخرى ، فمن ذلك قوله (□) ((إذا لم يكن ما تريد فلا تبل كيف كنت))[٥٠٣] ، فجاء هذا المثل مصدراً بأداة الشرط (إذا) ثم بأداة النفي (لم) والفعل المنفي (يكن) والاسم الموصول وصلتهِ ، ثم الفاء وهي رابطة بين العبارتين إذا ربطت عبارة الشرط بالجزاء المتكونة من (لا) الناهية أداة للجزم والفعل المضارع المجزوم (تبل) ، فمجيء (الفاء) بين العبارتين ضرورة لأنه ((إذا كان جواب الشرط [الجزاء] أمراً أو نهياً أو ماضياً صحيحاً أو مبتدأ وخبر ، فلا بد من الفاء))[٥٠٤] ، يقول أبن أبي الحديد (ومرادهُ إذا لم يكن ما تريد ، فلا تبل بذلك أي لا تكترث بفوت مرادك ولا تبتئس بالحرمان) ولعله أخذ قوله تعالى

---

(500) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٣ / ١٩٢ .
(501) في النحو العربي - نقد وتوجيه : ٢٩٢ .
(502) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٥ ، ١ / ١٦٦ ، ١٦ / ٥٧ ، ١٨ / ٧٠ ، ١٨ / ١٧٧ ... وغيرها .
(503) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٥٣ .
(504) شرح المفصل : ١ / ٨٨ .

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[٥٠٥] ، والمثل قد خرج الى غرض مجازي وهو الحث والإرشاد على ترك التعلق بإمور الدنيا التي يراها الإنسان في صالحهِ ولا يعلم ما ورائها ، وفيه أيضاً الحث على عدم اليأس والقنوط ، وعلى وفق هذا النوع من أسلوب الشرط وردت أمثال عديدة في نهج البلاغة[٥٠٦] .

وقد يرد أسلوب الشرط خالياً من أداة الشرط الظاهرة في النص إذ قد يشعرُ التركيب اللغوي بذلك الشرط ، فمن ذلك قول الإمام علي (﴿) لإبنهِ محمد بن الحنفية حين أعطاهُ الراية في معركة الجمل يحثهُ بقوله ((تزول الجبال ولا تزل))[٥٠٧] فالعبارة تحمل إضمار أداة الشرط إذ التقدير إن زالت الجبال فلا تزل ((وهو خبرٌ فيه معنى الشرط والمراد المبالغة))[٥٠٨] كما يرى ذلك أبن أبي الحديد ، فيما يرى صاحب كتاب منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، أن التقدير هو ((لو زالت الجبال عن مواضعها لا تزل وهي نهي عن الزوال مطلقاً ، لأن النهي عنه على تقدير العدم بالطريق الأولى))[٥٠٩] ، وأياً كانت الصياغة وأياً كانت أداة الشرط ، فأن الغرض الذي قصدهُ هذا المثل هو غرض الحث على الثبات والصمود في ساحة المعركة ، يؤيد ذلك السياق الذي جاءت به هذه الصياغة ، حين قدمت امراً بالثباتِ وطلب التقيد بها من أجل النصر والغلبة .

---

(505) سورة الحديد / الآية : ٢٣ .
(506) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٥٧ ، ١٨ / ٥٢ ، ١٨ / ١٠٣ .
(507) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٤٨ .
(508) م . ن : ١ / ١٤٨ .
(509) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٣ / ١٤٥ .

المبحث الثاني : الأساليب الإنشائية :

الإنشاء : لغة : ((هو الإبتداء والإبتداع))[٥١٠] .

إصطلاحاً : هو ((كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاتهِ ، لأنه ليس للفظهِ قبل النطق به واقعٌ خارجي يطابقهُ أو لايطابقهُ))[٥١١] .

والإنشاء ينقسم إلى قسمين : القسم الأول : الإنشاء الطلبي : ((وهو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب))[٥١٢] فأن أستعمل الإنشاء الطلبي لمطلوب حاصل وقت الطلب أمتنع إجراؤهُ على معناهُ الحقيقي[٥١٣] وهو على خمسة أنواع هي ((الأمر والنهي والإستفهام والتمني والنداء))[٥١٤].

أما القسم الثاني : فهو الإنشاء غير الطلبي : ((وهو الذي لا يستدعي مطلوباً ويأتي على أنواع هي: التعجب ، القسم ، الترجي ، صيغ المدح والذم ، والعقود))[٥١٥] وسنبدأ بدراسة الأمثال التي جاءت على وفق أساليب الإنشاء الطلبي ، مبتدئين :

١- إسلوب الأمر :

الأمر في اللغة والإصطلاح : ((الأمر نقيض النهي))[٥١٦] ((وهو قول القائل لمن دونهِ إفعل))[٥١٧] والعرب تعدُ المأمور عاصياً إذا لم يفعل ما يؤمر به ، لأنه ((إذا لم يفعلهُ المأمور سمي عاصياً))[٥١٨] ولأن الأمر عندهم يحملُ دلالة الإستعلاء ، يقول السكاكي (ت٦٢٦هـ) أن ألفاظ الأمر((لينزل ، أنزل ، نزال ، صه ، موضوعة على سبيل الإستعلاء

---

(510) لسان العرب - مادة (نشا) : ١ / ١٦٥ .
(511) الأيضاح : ٢٣٠ .
(512) البلاغة والتطبيق : ١٢١ .
(513) ينظر : علم المعاني - درويش الجندي : ٣٣ .
(514) البلاغة والتطبيق : ١٢١ .
(515) م . ن : ١٢١ .
(516) لسان العرب مادة (أمر) : ٥ / ٨٦ .
(517) التعريفات : ٣٨ .
(518) مقاييس اللغة : ١ / ١٣٧ .

على الأظهر))[٥١٩] ولقد ساير العلوي(ت٧٤٩هـ) السكاكي في رأيه هذا فقال ((الأمر صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبيء عن أستدعاء الفعل من جهة الأستعلاء))[٥٢٠] أما من حيث دلالة فعل الأمر على الزمن ، ((فأن فعل الأمر ، هو فعل غير واقع في زمن محدد ، ولأن الأمر ليس فعلاً واقعاً في الماضي ولا الحاضر ولا المستقبل ، إنما هو فعل يطلب وقوعه بهذا الأسلوب))[٥٢١] إذ أن الآمر الذي صدر منه فعل الأمر لا يُحَددّ لفعلهِ زمن ليتحقق ، إلا إذا ذكرت له قرينة تدل على الزمن وتحددهُ .

وللأمر في العربية خمسة صيغ منها[٥٢٢] :

أ- صيغة (إفعل) ويسمي النحاة هذه الصيغة بـ(فعل الأمر)[٥٢٣] .

وردت أمثال عديدة على هذه الصيغة في نهج البلاغة منها ما جاء في رسالةٍ للإمام علي (□) إلى معاوية ينقض فيها أدعاءاتهِ ، ويظهر بطلانها ، فيذكرُ فيها أولاً فضله وسابقتهُ ، فيقول ((لولا ما نهى الله من تزكية المرء نفسهِ لذكر ذاكرٌ فضائل جمة ، تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجها أذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية))[٥٢٤] جاءت صيغة هذا المثل بأسلوب الأمر حين أُستعمل فعل الأمر (دع) ليؤدي دلالة الطلب المتمثل في ترك من مالت به الرمية ، وهي كناية عن الذي مال الى الدنيا حين غرتهُ بمحاسنها فمالت به إلى حيث ألغوايه والأبتعاد عن الطريق القويم ، ويبدو لنا أن أستعمال هذا المثل وبهذا الأسلوب له دواعٍ لعل منها ما يستشف من المعنى اللغوي للأمر وهو الصدورعلى سبيل الأستعلاء الموحي بالتوبيخ لكي يشعر المخاطب (معاوية) بأنه في مستوى أدنى وأن الأمر يأتيه وعليه أن يستجيب له ويذعن له ، وهذه الصياغة أستوجبتها حالة السياق وهو

---

(519) ينظر : مفتاح العلوم : ٣١٨ .
(520) الطراز : ٣ / ٢٨١ .
(521) نحو التيسير - أحمد عبد الستار الجواري : ١١٦ .
(522) ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ١١٣ .
(523) م. ن : ١١٣ .
(524) شرح نهج البلاغة : ١٥ / ١٠٥ .

الرد على رسالة معاوية وتفنيد دعواهُ وأشعارهُ بمنزلتهِ التي أقتضت أمرهِ وتوبيخهِ كما أن المثل قد خرج الى غرض مجازي هو الحث والأرشاد على سلوك طريق الأسلام المستقيم والأبتعاد عن الدنيا ومغرياتها ومن ركن إليها .

ويأتي الأمر مرة أخرى في مثل للإمام علي (□) حين يقول وهو يحث أصحابه على الجهاد ويوصيهم به ((فشدوا عقد المآزر وأطووا فضول الخواصر))[٥٢٥] يريد بهذا المثل من أصحابه ((أن يشمروا عن ساق الإجتهاد ، ويقال لمن يوصي بالجد والتشمير أشدد عقد أزرك ، لأنه إذا شدها كان أبعد عن العثار وأسرع للمشي))[٥٢٦] ولما كان الجهاد فريضة على المسلم ، نرى الإمام علي (□) يأمر أصحابه بها ويحثهم عليها ويريدهم أن يكونوا متهيئين للجهاد ، وهناك أمثال أخرى وردت على صيغة (أفعل) في نهج البلاغة[٥٢٧] .

ب- صيغة الفعل المضارع المقترن بـ(لام) الأمر (ليفعل) :

وتكون هذه الصيغة بإستعمال أداة الأمر (اللام) التي تدخل على الفعل لتؤذن إنه مطلوب للمتكلم[٥٢٨] وهذه اللام التي تدخل على الفعل المضارع فتنسخهُ الى الأمر وهي في الأمر للغائب ولكل من كان غير مخاطب[٥٢٩] ، كما أن زمن فعل الأمر (ليفعل) هو ((الإستقبال))[٥٣٠] .

---

(525) م . ن : ١٥ / ١٠٥ .
(526) م . ن : ١١ / ٨٢ .
(527) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٦٧ ، ١٨ / ١٠٨ ، ١٩ / ٧١ .
(528) ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ١٤٣ .
(529) المقتضب – أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت٢٨٥هـ) – تحقيق محمد عبد الخالق عظيمه – بيروت – ١٣٩٩هـ : ٢ / ٤٢ .
(530) ينظر : الدلالة الزمنية في الجملة العربية - د. علي جابر العصفوري – مطبعة الجامعة – بغداد ، ١٩٧٤م : ١١٩ .

وعلى هذه الصيغة وردت أمثال في نهج البلاغة ، فقد ذكر الإمام علي (□) في خطبة له ذكر فيها الملاحم ، وبصّر مخاطبيه بمخاطر ما يلقاهم ، ثم أمرهم ومن جاء بعدهم بالصدق حين قال ((ليصدق رائد أهلهُ))[٥٣١] ، فجاء بالفعل (ليصدق) على صيغة فعل الأمر (ليفعل) ، لينقل الأمر من الحال إلى الإستقبال ، فالصدق مطلوب في كل زمان ، ولا يقتصر على زمن محدد ، ثم ذكر (الرائد) وأراد به الذي ((يتقدم المنتجعين لينظر لهم الماء والكلأ))[٥٣٢] وفي هذا المعنى دلالة إجتماعية وصورة من صور الحياة الإجتماعية للعرب ، تتمثل في أرسالهم لرائد يهديهم إلى أماكن الماء والكلأ الذي يبحثون عنه ، وفي هذا دلالة أجتماعية لظاهرة ألفها العرب في حياتهم وبيئتهم ويستشف من النص ان الإمام علي (□) قد قصد(بالرائد) المتقدم والمتبصر الذي عرف الأمور وخبرها ، وفيه حث على الأخذ بما جاء في كتاب الله العزيز وعلى الصدق والأمانه.

جـ - الأمر بإضمار الفعل :

قد يأتي فعل الأمر مضمراً ، إذا كان في سياق التحذير والأغراء ((حيث يرى البصريون أن هذا الأضمار من الأحكام المختصة بأسلوب الأمر ، حيث أنه يستغنى فيه عن ذكر ألفاظ أفعالهِ ، فيترك أظهارها ، لأن الكلام محمول على الأمر ، فيحذف لفظ الفعل أستغناءاً بشواهد الحال))[٥٣٣]، ومن الفاظ التحذير وردت لفظة (إياك) في العديد من أمثال نهج البلاغة وهو منصوبة على التحذير وليس في اللفظ فعل ينصبها إلا أن هناك من يوجب تقدير الفعل[٥٣٤] .

---

(531) شرح نهج البلاغة : ٧ / ١١٣ ، وينظر : جمهرة الأمثال : ١ /٤٧٤ ، فقد ذكر هذا المثل بنص آخر هو ((الرائد لا يكذب أهله)) .

(532) م . ن : ٧ / ١١٣ .

(533) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ١١٣ .

(534) أساليب الطلب في نهج البلاغة - رسالة ماجستير - عدوية عبد الجبار الشرع ، كلية التربية / جامعة بابل ، أشراف د. علي ناصر غالب ٢٠٠٠م : ٢٦ .

ومن هؤلاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) إذ قال : ((فإذا رأيت الكلام مستمراً على أن لا يكون له عامل ، نحو قولك : رأيت زيدً ، ثم وجدتهُ في موضع من غير عامل يظهر في اللفظ ، وجب عليك تقديرهُ نحو أن تقول [إياك باعد]))[٥٣٥] وقد وردت لفظة (إياك) تتصدر أمثالاً عديدةً للإمام (□) وخاصة الأمثال الحكمية منها ، وجاءت على نمطين من البناء:

أ-إياك + المصدر المؤول (أن + الفعل أو ما + الفعل) وعلى هذه الصيغة جاء المثل ((إياك وما يُعتذر منه))[٥٣٦] في رسالة له إلى عامله على مكة قثم بن العباس (ؤ) ينصحهُ فيها ويحذرهُ من الإقدام على أعمال يندم عليها ويعتذر منها فجاء بهذا المثل بعد أن أضمر الفعل (أحذرك) على التقدير لأنه للتحذير ، يقول أبن أبي الحديد واصفاً هذا المثل ((إن هذه من الكلمات الشريفة الجليلة الموقع وقد رويت مرفوعة))[٥٣٧] .

ب- صيغة إياك والمصدر الصريح :

على هذه الصيغة جاءت أمثل عديدة في نهج البلاغة منها :

((إياك ومصادقة الكذاب ، فأن مصادقة الكذاب كالسراب))[٥٣٨] .

صيغة هذا المثل تخبرنا أن فعلاً مضمراً قد سبق لفظة إياك فنصبها على التحذير ، وعطفت على المصدر الصريح (مصادقة) بحرف العطف الواو الذي فيه معنى المشاركة لأن الفاعل يشارك الفعل في الأداء ، ولكي يؤكد هذا المعنى وهو التحذير ، جاء بالجملة الخبرية المؤكدة بحرف التأكيد (إن) معطوفة على المصدر وهي متضمنة لتأكيد آخر حققهُ التشبيه بالصورة التي أظهرها، لأن التشبيه قد أضفى على الجملة ((طابعاً من التهويل

---

(535) المقتصد في شرح الإيضاح - عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق كاظم بحر المرجان ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام – العراق ، ١٩٨٢م :٢ / ١٤٧ .

(536) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٨٢ .

(537) م . ن : ١٦ / ٨٢ .

(538) م . ن : ١٨ / ٧٦ .

والتعظيم والمبالغة ، وبالتالي تقنع المحذر بفداحة هذا الخطأ كي يتجنبهُ ويبتعد عنه))[٥٣٩] هذا هو ما قصدهُ النص وما سعى إليه من الحث على تجنب الكذب ومصادقة الكذاب .

وفي نهج البلاغة أمثال عديدة على هذه الصيغة[٥٤٠].

٢- إسلوب النهي :

النهي : لغةً : ((النون والهاء والياء أصلٌ صحيح يدلُ على غاية وبلوغ ، ونهاية كل شيء غايتهُ ، ومنه نهيتهُ عنه ، وذلك لأمرٍ يفعله ، فإذا نهيتهُ فأنتهى عنه فتلك غاية ما كان وآخرهُ))[٥٤١] أو هو ((قول القائل لمن دونه لا تفعل))[٥٤٢] .

إصطلاحاً : يرى النحاة أن النهي (نفي الأمر) ، يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ) : ((لا تضرب نفي لقوله [أضرب]))[٥٤٣] في حين يرى السيوطي (ت٩١١هـ) ((أن النهي ينزل من الأمر منزلة النفي من الأيجاب))[٥٤٤] .

أما البلاغيون فأنهم يشترطون الأستعلاء في صيغة (لاتفعل) لأجل تسميتها نهياً وأن لم تستعمل على سبيل الأستعلاء ، سموها (دعاءاً) أو (إلتماساً) فعندما تصدر من الأدنى الى الأعلى وعلى سبيل التضرع تسمى دعاءاً ، وإن أستعملت في حق المساوي في الرتبة سميت إلتماساً[٥٤٥] .

---

(539) أساليب الطلب في نهج البلاغة : ٢٩ .
(540) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٥٧ ، ١٦ / ٦٢ ، ١٦ / ٨٢ ، ١٨ / ٧٦ .
(541) مقاييس اللغة : ٥ / ٢٥٩ .
(542) التعريفات ٢٤٣ .
(543) الكتاب : ١ / ١٧٦ .
(544) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي (ت٩١١هـ) - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد – القاهرة ، ١٩٧٥م :٢/ ٣٠٤.
(545) ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ٤٦٦ .

ولما كان لكل أسلوب أدواته التي يتحقق بها ، فأن للنهي أداة واحدة فقط هي (لا) الناهية وهي التي يطلب بها ترك الفعل والنحاة يجمعون على إن (لا) الناهية تختص بالدخول على الفعل المضارع فتقتضي جزمهُ[٥٤٦] .

وعلى هذا الأسلوب الإنشائي جاءت أمثالٌ عديدة في نهج البلاغة ، منها قوله (□) ما جاء في وصيةٍ لأبنهِ محمد بن الحنفية (□) ، يحثهُ فيها على الصمود في الحرب ويُبديَّ له إرشاداتهُ يقول ((تزول الجبال ولا تزل))[٥٤٧] فالنهي جاء ضمن صياغة لجملة شرطية ، أداة الشرط فيها مقدرة ، حيث التقدير (لو أن الجبال تزول فلا تزل) فهي تبدو فريضة غير مباشرة ، وصياغتها خالية من الأداة ((والفرضية هذه تتمثل في أحداث علاقة بين طرفين من خلال جعل أحداهما يفترض حصول شيء لم يحدث واقعاً))[٥٤٨] فهذا الأستخدام لأسلوب النهي فرضهُ السياق الذي جاء ضمنهُ المثل فالسياق هو توجيه وأرشاد وأصدار أوامر وأسلوب النهي صالح لمثل هذه الأمور .

مما جاء على إسلوب النهي قوله (□) ((لاتستح من أعطاء القليل ، فإنَّ الحرمان أقل منهُ))[٥٤٩] وهذا المثل أبتدأ بأداة النهي (لا) دخلت على الفعل المضارع (يستحي) فجزمتهُ ، ونهت عن الإستحياء من أعطاء القليل ، فحذف الموصوف وأبقى الصفة (القليل) حيث التقدير (المال القليل) ثم عطف على هذه الجملة الإنشائية جملة خبرية مؤكدة بـ(أن) وهي جملة أسمية تحمل دلالة الثبوت في أداء المعنى ، وكان الغرض هو النهي وتثبيتهُ في النفس يتطلب أن يؤكد ؛ لأن التوكيد هو تثبيت الشيء في النفس وإزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك ، وأماطة ما خالجهُ من شبهات[٥٥٠] لذلك لجأ إلى عطف الجملة الإسمية بحرف

---

(546) م . ن : ٤٧٢ .

(547) شرح نهج البلاغة : ١ /١٤٨ . وقد سبق دراسة هذا المثل كونه أسلوباً شرطياً ، أما هنا فندرسهُ مرة أخرى لكون جواب الشرط فيه جاء بأسلوب النهي .

(548) الإسلام والأدب : ١٧٢ .

(549) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٠٢ .

(550) ينظر : النحو العربي ، نقد وتوجيه : ٢٣٤ .

العطف (الفاء) الذي يوجب ((الترتيب من غير تراخٍ))[٥٥١] وهذا العطف بالفاء على النهي الذي هو طلب عدم الفعل ليوحي بدلالة التفكير قبل الإقدام على الإمتثال له لذلك يحتاج إلى فسحة من الزمن حققتها (الفاء) حين ربطت بين الجملتين وأوفت بالدلالة كاملة ونلحظ أن هذا المثل قد خرج إلى غرض مجازي هو الحث والإرشاد على الإعطاء والبذل وإن إشاعة مثل هذه الفضيلة هي ما يدعو له الدين الإسلامي الحنيف .

وعلى إسلوب النهي جاءت أمثال حكمية للإمام علي (□) حين ضمنها حكمتهُ وصاغها على إسلوب النهي يقول (□) ((لا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا))[٥٥٢] في هذا المثل جاء النهي عن خصال وصفات غير مرغوبة في المسلم فهو يحثهُ على عدم سلوك من بطر بنعمتهِ أو من فشل عندما أشتدت به البأساء فهو يدعو إلى التوازن ، يدعو إلى الإعتدال ، وهي حكمة تحمل من المعاني الجميلة ما يمكن أن يعمم على كل حالةٍ يمر بها الإنسان ، فالأعتدال وعدم التهور ،وسلوك الطريق الذي يوازن بين الأمور فيتخذ أحسنها ، ولا يغتر حين تغرهُ الدنيا بنعمة مُنحت له ، أوحين تصيبهُ مصائب الدنيا فيفشل ويخسر وهذا الفشل هو الإخفاق الذي يصاحبه اليأس والقنوط والإستسلام ، وتلك هي الأمور التي قصدها المثل ودعا لها .

وهذا ما نجدهُ في مثلين آخرين من أمثال نهج البلاغة[٥٥٣] .

٣- إسلوب الإستفهام :

الإستفهام : لغة : ((جاء في لسان العرب ، أستفهمتهُ أن يفهمهُ ، وقد أستفهمني الشيء فأفهمتهُ وتفهمتهُ تفهماً))[٥٥٤] .

الإستفهام : إصطلاحاً : ((هو طلب الفهم))[٥٥٥] .

---

(551) البلاغة والأسلوبية : ٢٨٥ .
(552) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٨٢ .
(553) ينظر : م . ن : ١٦ / ٦٣ ، ١٨ / ١٠٣ .
(554) لسان العرب ، مادة (فهم) : ١٢ / ٤٥٩ .
(555) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ١ / ١٣ .

أو هو ((حصول صورة الشيء في الذهن))[٥٥٦] .

ولا يتم الإستفهام إلا بوساطة أدوات الإستفهام وهي على نوعين :

(١) حروف : مثل ((الهمزة ، وهل ؛ والهمزة تستعمل لطلب التصديق وهو أدراك النية أي تعيينها وكذلك التصور أما هل فلا يطلب بها غير التصديق))[٥٥٧] .

(٢) أسماء : مثل كيف و أنى و إيان .... ولكل منها إستعماله الخاص به .

وهذه الأدوات لها الصدارة في الكلام ((لأجل أن تفيد معنى الإستفهام شأنها في ذلك شأن أدوات المعاني الأخرى ، لأنها إذا تقدم عليها شيء من الجملة فقدت الدلالة على الإستفهام))[٥٥٨] ، ويختلف الإستفهام تبعاً للمستفهم عنهُ والذي يأتي بعد الأداة مباشرةً ، فقد يكون الإستفهام عن النسبة ((أي المستفهم عنه هو نسبة المسند الى المسند إليه ، أو هو مضمون الجملة))[٥٥٩] وهو ما يسمى ((بالإستفهام التصديقي))[٥٦٠] أما إذا تحققت النسبة فأن الإستفهام سيكون عن المفرد وهذا ما أصطلح البلاغيون على تسميتهِ ((بالإستفهام التصوري))[٥٦١] .

أما الدلالة الزمنية للإستفهام فهي تتوافق مع ((الصيغة حرفياً ونحوياً ، فيدل فيها (فعل) على الماضي ويدل [يفعل] على الحال والإستقبال بحسب الضمائم والقرائن ، فالإستفهام من جملة الأثبات يتم بوضع الأداة قبلها ، والإستفهام من جملة النفي يتم بوضع الأداة قبلها كذلك ، وتبقى كل الجملتين بعد أن توضع الأداة ، على حالها التي كانت عليها ، قبل وضع الأداة من حيث الدلالة الزمنية))[٥٦٢].

---

(556) ينظر : حاشية الدسوقي في شرح السعد - محمد بن عرفه الدسوقي – مطبعة البابي الحلبي وشركاه – مصر : ٢ / ٢٤٦

(557) البلاغة والتطبيق : ١٣١ .

(558) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ٣١٠ .

(559) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم : ٣٢٠ .

(560) ينظر : مفتاح العلوم : ٣١٨ .

(561) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم : ٣٢٢ .

(562) اللغة العربية ، معناها ومبناها : ٤٢٨ .

وعلى أسلوب الإستفهام وردت أمثال في نهج البلاغة ، فمن خطبة له (□) ذكر فيها فضله وآل بيته (□) وإنهم هم الذين أخرجوا الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام حين خاطبهم بقوله ((بنا أنفجرتم عن السرار)) وعندما لم يجد من يسمع دعوتهِ ونداءهُ إلى الحق ، دعا عليهم بقولهِ ((وقر سمعُ لم يفقه الواعية)) ثم أستدرك وعطف على دعائه بجملة إستفهامية إنكارية فقال ((وكيف يراعي النبأة من أصمتهُ الصيحة))[٥٦٣] فإستخدم أداة الإستفهام (كيف) وهي أسم إستفهام، يقول عنها عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ((أما كيف فليس يتعلق بفعل ، إنما هو أسم قد أشتمل على الأحوال))[٥٦٤] ، وهي تعني ((بأي حال))[٥٦٥] ، وهي ليست بظرف إنما ((سميت ظرفاً لأنها تأول إلى الجار والمجرور وأسم الظرف يطلق عليها مجازاً))[٥٦٦] و (كيف) في هذا المثل قد دخلت على الفعل المضارع (يراعي) فأفادت الإستفهام عن الحال ((لأنه إذ دخلت كيف على إسناد ذكر طرفاه (الفعل والفاعل) فالإستفهام سيكون عن الحال ، ولا غرابة في كونها يستفهم بها عن الخبر وعن الحال ، لأن الحال أنما خبر في المعنى لكنه يأتي بعد تمام الإسناد))[٥٦٧]، فالإستفهام في هذا المثل عن حال هؤلاء الذين صموا آذانهم عن سماع صوت الحق الذي عبر عنهُ ((بالصيحة وهي كناية عن صوت الرسول الأكرم (□) ، فمن صم أذنيه عن سماع هذه الصيحة لا يسمع النبأة وهي صوته (□)))[568] ، ولعل هذا النفي الذي حملتهُ أداة الإستفهام (كيف) هو ما ذكرهُ أبن فارس (ت ٣٩٥هـ) إذ قال ((أن الإستفهام بكيف قد

---

[563] شرح نهج البلاغة : ١ / ١٣٠ .
[564] المقتصد في شرح الأيضاح - للجرجاني: ٢٢٦/١ . وينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين- قيس الأوسي : ٣٩٩ .
[565] الصاحبي في فقه اللغة : ١٥٩ .
[566] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ١ / ٢٠٦ .
[567] قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم : ٣٣٢ .
[568] ينظر : الإسلام والأدب : ٣٧٢ .

يراد به معنى النفي))[٥٦٩] وهو ينظر في قوله تعالى ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [٥٧٠] حين عد دلالة (كيف) في هذه الآية الشريفة ((هو النفي))[٥٧١] ، فالإمام علي (﵇) نفى حدوث المراعاة من هؤلاء لندائه ، لأنهم لم يراعوا (الصيحة) التي هي أعظم وأجل.

كما أن هذا المثل قد خرج إلى غرض مجازي هو واحد من أغراض الإستفهام إلا وهو (الإستبعاد) حيث ذكر اللغويون دلالة الإستفهام على الإستبعاد بشكل عام [٥٧٢] فالدلالة التي يوحيها هذا المثل تؤكد هذا الأسلوب بصورة جلية .

كما نجد مثلاً آخر في نهج البلاغة جاء على إسلوب الإستفهام هو ((ما عدا مما بدا))[٥٧٣] ورد هذا المثل في سياق كلامهِ (﵇) للزبير بن العوام قبل معركة الجمل يقول له ((عرفتني بالحجاز وأنكرتني في العراق فما عدا ممابدا))[٥٧٤] ، فالمثل هذا مصاغ بإسلوب الإستفهام وبأداتهِ (ما) التي هي ((مبهمة تقع على كل شيء))[٥٧٥] وهذا الإبهام الذي نص عليه سيبويه (ت١٨٠هـ) جعلها للإستفهام عن الجنس ومعناها في الإستفهام هو ((أي شيء))[٥٧٦] ، وعن معنى هذا المثل يقول أبن منظور (ت٧١١هـ) : ((معنى قوله [فما عدا مما بدا] أي ما عداك مما كان بدا لنا من نصرك أي ما شغلك ، أي ما الذي منعك مما كان

---

(569) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة : ١٥٩ .
(570) سورة آل عمران / الآية : ٨٦.
(571) ينظر : الصاحبي : ١٥٩ .
(572) خطب نهج البلاغة- بحث في الدلالة:٢٣.وينظر:قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم :٣٣٢.
(573) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٩٦ .
(574) م . ن : ٢ / ٩٦ .
(575) الكتاب : ١ / ١٢٧.
(576) ينظر : المقتضب : ١ / ١٨٠.

قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة))[٥٧٧] وكلمة (من) في قوله (ممابدا) بمعنى (عن) لأنه قد جاءت (من) في القرآن الكريم بمعنى (عن) قال تعالىفَوَيۡلٌ ۭ لِّلۡقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي ضَلَـٰلٖ مُّبِينٖ ۭ[٥٧٨] أي عن ذكر الله تعالى .

ولقد عرّف الشريف الرضي هذه الكلمة بأنها ((أول ما سمعت منه هذه الكلمة))[٥٧٩] يقصد الإمام علي (ع) كما قال الميداني (ت٥١٨هـ) : ((أنهُ لم يسبق إليه أحد))[٥٨٠] والذي نراهُ في هذا المثل هو الإنكار الذي أرادهُ الإمام علي (ع) للتغيير الذي أصاب موقف الزبير فقد بايع الإمام (ع) في الحجاز ونقض بيعتهُ في العراق))[٥٨١] فهذا التغيير هو الذي أستدعى هذا المثل واوجب صيغة الإستفهام الإنكاري ، ولعل غرض الإستغراب الذي بدا من هذا القول هو الغرض المجازي الذي أوحى به المثل .

٣-إسلوب التمني :

ذكر أبن منظور في لسان العرب ((إن التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون .. تمنيتُ الشيء أي قدرتهُ وأحببتُ أن يصير إلي من (المني) وهو القدر ... وتمنى الشيء أرادهُ))[٥٨٢] .

والتمني ((قسم من أقسام الإنشاء الطلبي))[٥٨٣] والتمني يستعمل في الممكن والمحال وذلك ((لأن التمني هو حصول الشيء سواء كنت تنتظرهُ وترتقب حصولهُ أم لا))[584].

---

(577) لسان العرب : ٢ / ٩٦ .
(578) سورة الزمر ، الآية : ٢٢.
(579) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٩٦ .
(580) مجمع الأمثال : ٣ / ٥٠٣ .
(581) ينظر الصفحة ٦٠ من البحث .
(582) لسان العرب ، مادة (مني) : ١٥ / ٢٩٢ .

وإشترط البلاغيون في وقوع التمني في (الممكن والمستحيل) هو ((إذا كان مستعملاً في الممكن أن يكون لك توقع أو طمع في وقوعه))[٥٨٥] ويؤدى معنى التمني في اللغة بأدوات منها ((ليت ، لعل ، لو ، ألا ... هل ...)) فوجودها شرط لتحقق أسلوب التمني ، ومن الأمثال التي جاءت على هذا الأسلوب في نهج البلاغة قول الإمام علي (□)في خطبة له أبتدأها بالحمد ثم قال ((أما بعدُ، فأن معصية الناصح الشفيق والعالم المجرب ، تورث الحسرة وتُعقب الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ... لو كان يُطاع لقصير أمر))[٥٨٦] فأستخدم أداة التمني (لو) وهي حرف من الحروف غير العاملة وفيه معنى الشرط ، ومعناه إمتناع الشيء لإمتناع غيرهُ ولا يليه إلا الفعل مظهراً أو مضمراً[٥٨٧] والبلاغيون يرون ((أن [لو] المستعملة في التمني هي في الأصل [لو] الشرطية الإمتناعية))[٥٨٨] لقد جاء المثل في سياق كانت جملهُ جملاً خبرية مؤكدة ، فرضها الموقف الذي صدرت عنه وعبرت عن صورهِ ودلالتهِ ، لأن هذا المقام هو الذي أوجب هذا المثل كي يضع في أذهان من خالف أمرهُ صورة من خالف (قصير) ذلك الأعرابي الذي لم يسمع رأيهُ فكان ما كان ، والمثل سيق لغرض آخر إلا وهو توبيخهم على فعلتهم ، في عدم طاعة الإمام علي(□) .

ثانياً : أساليب الإنشاء غير الطلبي :

يعرف الإنشاء غير الطلبي بأنه ((ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب))[٥٨٩] وأغلب هذا النوع من الأنشاء ((أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء))[٥٩٠] لذلك لم

---

(583) مغني اللبيب : ١ / ٢٨٧ .
(584) التعريفات : ٦٩ .
(585) الأيضاح في علوم البلاغة : ١٢٧/١. وينظر : أساليب العرب عند النحويين والبلاغيين : ٥٢١ .
(586) شرح نهج البلاغة : ٢ / ١٢١ .
(587) حروف المعاني - أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٦هـ) ، تحقيق عبد الفتاح شلبي – مكتبة الطالب الجامعي – مكة المكرمة - ط٢ - ١٩٨٦م : ١٠١ .
(588) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ٥٣٣ .
(589) البلاغة والتطبيق : ١٢١ .
(590) الأساليب الأنشائية - عبد السلام هارون : ١٣ .

تحظ بدراسة البلاغيين ولم يعتنوا بها كثيراً ((أللهم إلا صيغة القسم))[٥٩١] ويتحقق هذا النوع من الإنشاء بعدة أساليب هي ((القسم والتعجب ، وصيغ الذم والمدح ، وصيغ البيع ...))[٥٩٢] .

وقد وردت أمثال في نهج البلاغة بهذه الأساليب وأولها :

١- إسلوب القسم :

هو إسلوب من أساليب الإنشاء غير الطلبي ، تستعمل فيه أدوات القسم وهي على نوعين:

أ) حروف القسم : وهي ((الواو ، والباء ، والفاء ، والهاء [وإن الباء] هي أصل أدوات القسم))[٥٩٣] وذلك لكونها ((موصلة القسم الى المقسم عليه ولأنها على المضمر والمظهر))[٥٩٤].

ب) النوع الثاني من أدوات القسم هي (إما أفعال أو أسماء) مثل (أقسم ، أحلف ، يمين الله ، لعمري ...) .

ذكر أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في كتابه (الفروق اللغوية) الفرق بين القسم والحلف فقال ((أن القسم أبلغ من الحلف لأن معنى قولنا أقسم بالله إنه صار وأقسم بالله ، والحلف من قولك، سيف حليف ، أي قاطع ماضٍ ، فإذا قلت حلفتُ بالله ، فكأنك قلت قطع المخاطبة بالله ، فالأول أبلغ لأنه يتضمن معنى الأمر))[٥٩٥] ، ولا يتحقق القسم إلا بثلاثة أركان هي:

(١) أدوات القسم.

---

(591) البلاغة العربية فنونها وأفنانها : ١٠٣ .

(592) البلاغة والتطبيق : ١٢١ .

(593) الكتاب : ١ / ١٣٠ .

(594) الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) - تحقيق محمد علي النجار،ط٢، المكتبة المصرية–القاهرة،١٩٥٥م : ٢ / ١٨٧.

(595) الفروق في اللغة - أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق عادل نويهظ – دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط٣ ، ١٩٧٩م : ٤٧ .

(٢) المقسم به ((وهو دائماً أمرٌ جليلٌ ومقدّسٌ))[٥٩٦] وإلا لما جاز القسم به .

(٣) شيء مقسم عليه .

والقسم لا يأتي إلا لتأكيد الدلالة حيثُ يعدُ أفضل أنواع المؤكدات وأهمها وأقواها[٥٩٧] .

وجاءت بعض الأمثال في نهج البلاغة بأسلوب القسم لتوكيد مضامينها والقسم فيها على نوعين: الأول : قسمٌ ظاهر : أي أن أدوات القسم ظاهرة جلية وهي أما حروف أو سم أو فعل ، ومن أمثلة ذلك قوله (□) في آخر خطبة له بعد معركة صفين ((وأيم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرتهِ))[٥٩٨] ، أستعمل في أداء هذا الأسلوب (واو القسم) ولفظة (أيم الله) وهي ((جمع يمين وتعني البركة))[٥٩٩] فقد أقسم الإمام علي (□) ليؤكد خبرهِ في كونهِ مستمراً على طريق الجهاد ومحاربة الناكثين والمارقين والضالين ، وفيه أيضاً دلالة أخرى مجازية تتحقق في أدانتهِ وتوبيخه لكل من ظن من المسلمين أن الإمام علي (□) بعد معركة صفين ربما وهن عزمهُ وقلت قدرتهُ وإصرارهُ على الجهاد متذرعين بقضية التحكيم وما آلت إليه من نتائج حين أبعدت النصر الذي كان قاب قوسين أو أدنى .

فجاءت صياغة هذا المثل المتمثلة في إستعمال واو القسم (أي أداته) ولفظة ((أيم الله التي هي جمع يمين ، واليمين أسم للقسم مستعار ، أنهم كانوا إذا تقاسموا على شيء تصافقوا بأيمانهم ، ثم كثر ذلك حتى سمي القسم يميناً))[٦٠٠] ، وأزدادت كثافة التأكيد حين أضاف إلى القسم (لام التأكيد) ، تعاضدت مع صورة التشبيه التي جاء بها ، كل هذه المؤكدات أملاها السياق والمقام حين شك من شك فأحتاج إلى هذه الصياغة كي تأتي متناغمة مع

---

(596) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم : ٣٩٥ .

(597) القسم في القرآن الكريم - د. حسين نصار – مكتبة الثقافة الدينية ، ط١ ، ١٤٢١هـ : ١١٨ .

(598) شرح نهج البلاغة : ٧ / ٦ . ومجمع الأمثال : ٢ / ٤٢٩ .

(599) القاموس المحيط - للفيروز أبادي : ٤ /٢٧٩ . وينظر : شرح المفصل - لأبن يعيش : ٨ / ٣٥ .

(600) الفروق في اللغة : ٤٧ .

الغرض الذي قصدهُ والخبر الذي أراد إيصاله إلى مخاطبيه المنكرين الشاكين بقدرتهِ وعظمتهِ (□) .

الثاني : قسم مضمر : ((وهو ما لم يُذكر معه القسم صريحاً أو ظاهراً))[٦٠١] وهذا النوع من القسم يأتي على نوعين ((أولهما : مادلت عليه اللام سواء أكانت مقترنة بأداة الشرط أو [قد] أو مقترنة بالفعل المضارع المتصل بنون التوكيد . والثاني : ما دلّ عليه المعنى أو كانت ألفاظه جارية مجرى القسم))[٦٠٢] والدليل على هذا النوع من القسم هو من جملة القسم حيث ((يأتي بعدهُ بجواب القسم)) ويسمى العلماء هذا النوع من القسم ((بالقسم الإستعطافي))[٦٠٣] .

ولم نجد في أمثال الإمام علي (□) مثلاً على إسلوبه ، أنما أمثاله جاءت على الأسلوب الأول وهو ما دلت عليه اللام سواء كانت مقترنة بأداة الشرط أو (قد) أو ما أقترن بالفعل المضارع المتصل به نون التوكيد ، ومن ذلك قوله (□) من خطبة له يومئ فيها إلى الملاحم ، نجد القسم المضمر الذي دلت عليه اللام الموطئه ، ونون التوكيد إذ يقول (□) : ((ليُشحذنَّ فيها قومٌ شحذ القين النَصل))[٦٠٤] ففي هذا النص لا نجد أداة من أدوات القسم ، لكننا نجد ما يدلُ عليها وهي اللام الموطئة للقسم ، وهذا الإستعمال لا يأتي إلا لتأكيد معنى قصدهُ النص ، وكان المتلقون منكرين له أو مترددين في قبوله ، لذلك لجأ إلى هذا الإستعمال حين وصف شحذ عزائم هؤلاء القوم بشحذ القين للنصل عندما يرقق حده ، ((وأن إستعمال القسم المضمر في النص يكون أقل من القسم الظاهر في قوة الأداء إذ أن التفاوت في القوة يرجع إلى تفاوت المثيرات والدوافع))[٦٠٥] والمثل بهذه الصياغة قد خرج إلى غرض مجازي هو التحذير من التهاون في الدين ، لأن للدين أهلاً قادرين على حمله

---

(601) التراكيب اللغوية في العربية - دراسة وصفية تطبيقية - هادي نهر – بغداد ، ١٩٨٧م : ٢٤٠ .
(602) ينظر : التراكيب اللغوية : ٢٤١ .
(603) ينظر : المحيط في أصوات العربية ونحوها - محمد الأنطاكي : ٢ / ٨٦ .
(604) شرح نهج البلاغة : ٩ / ٧٤ .
(605) بلاغة الكلمة والجملة - منير سلطان – منشأة المعارف الأسكندرية – مصر ، ١٩٨٨م : ١٣٧ .

وأداءهِ فهم الذين ستشحذهم الحياة والمصائب ، حتى يكونوا أشد عزماً وأقوى على سلوك طريق الحق والعدل ، إذ أنهم ممن سيقيمون للدين دعائمه ، فكونوا منهم وألتزموا طريقهم ، فهذا حثٌ واضح ، وأرشادٌ أتخذ أسلوب القسم أداة لإيصال الغرض وأداء المعنى .

٢- إسلوب التعجب :

يُعد إسلوب التعجب ((واحداً من أساليب الإنشاء غير الطلبي ، وللتعجب في اللغة العربية، صيغتان أحداهما [ما أفعلهُ] والثانية [أفعل به]))[٦٠٦] ، وهنالك صيغ أخرى غير قياسية ، كقولهم (لله درهُ فارساً) أو (سبحان الله) وغيرها من التراكيب التي يراد بها التعجب وقد يدلُ السياق على أن تركيباً ما أريد به التعجب .

ومما جاء على الصيغة القياسية (ماأفعلهُ) من أمثال الإمام علي (□) قوله ((ما أنقض النَّوم لعزائم اليوم))[٦٠٧] جاء هذا المثل ضمن كلام له (□) يحثُ فيه أصحابه على الجهاد حين أمرهم فقال ((شدوا عقد المآزر)) أي تهيئوا للجهاد ولعل من دواعي هذا التهيأ هو نبذ الغفلة والإبتعاد عنها ، واليقظة وسلوكها لذلك جاء المثل على صيغة التعجب لمن أراد أن يحقق هدفاً أو أمتلك عزيمة فلا يدعُ للغفلة أو النوم شيئاً يستطيع أن يقضي على عزيمتهِ وهمتهِ ، ولعل المثل قد خرج إلى غرض مجازي وهو غرض الحث والإرشاد الذي سعى إليه حين وظف هذه الصيغة ((لأن الغرض الذي من أجلهِ ورد التعجب هو تعظيم الأمر وتهويلهِ))[٦٠٨] ومن أمثال الإمام علي (□) الحكمية قوله : ((ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى))[٦٠٩] ففي هذا المثل إنكار لصفتين هما صفة التذلل أو الخضوع عند الشدة والعوز وصفة الجفاء ونكران الجميل إذا ما ظرف رخاء ألم به ، فأستكبر ولم يشكر ، ولعل هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى□ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي

---

(606) ينظر : شرح أبن عقيل : ٣ / ١٤٧ .
(607) شرح نهج البلاغة : ١١ / ٨٢ .
(608) الدرس البلاغي في كتاب فتح الباري للعسقلاني (رسالة ماجستير): ١١٥ .
(609) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٦٧ .

ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ [610] ولعل هذا المعنى كان حاضراً عندما صار هذا الكلام وبصيغة التعجب مثلاً للإمام(□) أستوعب الفكرة وحضيَ بالإنتشار والذيوع .

ولم تقتصر أمثال الإمام علي (□) التي جاءت على أسلوبا التعجب على الصيغتين القياسيتين بل وردت أمثال على صيغ غير قياسية ، ومن ذلك قوله (□) : ((ويل أمهِ كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء))[611] ، وكلمات هذا المثل تحمل دلالة التعجب إذ ((عدّ [الويل] للتعجب ، وقيل ويل، مفردة ولأمهِ مفردة ، وهي كلمةٌ تفجع وتعجب ، وحذفت الهمزة من أمهِ تخفيفاً وألقيت حركتها على اللام فيقل [ويله] ، ونصب ما بعدها على التمييز))[612] .

فالإمام علي (□) حين لم يجد من أصحابهِ وعاءاً صالحاً أو به فسحةٌ لحمل علمهِ الجم، تعجب لحالهم هذه فأستعمل الصيغة غير القياسية في التعجب ، حيث دل بالضمير (الهاء) الذي في (ويل أمه) على المكذب له ((فيكون تعجباً (هذا أحتمال) من قوة جهلهم وإستعطافاً لمقالتهم ، أو أنه راجع الى نفس العُلم فيكون وارداً مقام الإستجادة والإستعظام

---

[610] سورة يونس / الآية : ٢٢- ٢٣ .
[611] شرح نهج البلاغة : ٦ / ٧٩ .
[612] النهاية في غريب الحديث والأثر : ٥ / ٢٣٦ .

والتعجب ، فكأنهُ يتعجب من علمه حيث يكال كيلاً بلا ثمن لو كان له واعياً))[٦١٣] ولعل قوله (□) هذا نظير قوله ((ها أن بين جنبي علماً جماً لو أجد له حملة))[٦١٤] ، وقد يحمل هذا المثل على أسلوب الدعاء حيث أن لفظة ((ويل أمهِ ، تحمل معنى الدعاء أي عذبهُ الله وقاتلهُ لأني أكيل العلم لهم كيلاً بلا ثمن لو وجدتُ له حاملاً))[٦١٥] غير أن السياق الذي جاء به هذا المثل هو ذم أهل العراق والتعجب من حالتهم التي هم عليها ، حيث دلت الآية الكريمة التي جاءت بعد مثلهِ والتي ختم بها خطبتهِ إنهم لا يعلمون ، فهم في موضع جهالة حين ذكر قوله تعالىَّ□ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ □[٦١٦] ، فهم على حالهم هذه لا يعلمون شيئاً أو هم منكرين ، وسوف يعلمون هذا النبأ بعد حين من الزمان ، أي بعد أن يمتلكوا قدرة الإستيعاب وقابلية الفهم والتصور لحديثهِ ولعلمهِ الذي هو حديث المصطفى(□) .

المبحث الثالث : أحوالُ الجملةِ في أمثالِ نهج البلاغةِ :

للغة العربية قوانينها ومعاييرها التي تُسير عليها في بناء الجملةِ ، فلا جملة إلا إذا أستوفت ركنين هما : ((المسند والمسند إليه))[٦١٧] ولكل منهما مرتبة وموقعٌ في تركيب الجملةِ ، وتمثل هذه المعايير عند تطبيقها خلقاً لجملةٍ مثاليةٍ مستوىً مثالياً من التركيب النحوي ، وليس من الضروري أن يستخدم دائماً بهذه الصياغة ، كما أن كونه مستوىً مثالياً ، لا يعني ذلك أن يكون مثالياً في المعنى والدلالة ، وإنما تتحددُ الدلالة بمجموعة من العوامل والمؤثرات اللغوية وغير اللغوية ، تؤدي إلى تغير في الصياغةِ أو تحولٍ من المثالية إلى نمطٍ آخر من التركيب ، قد يكون زيادةٍ أو نقصان أو تغيير في مواضع الألفاظ

---

(613) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٥ / ١٥١ .
(614) شرح نهج البلاغة : ٦ / ٨٤ .
(615) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٥ / ١٥١ .
(616) سورة ص / الآية : ٨٨ .
(617) شرح أبن عقيل : ١ / ١٤ .

داخل التركيب مما يؤدي هذا إلى تغير في المعنى ، ولا يحدث هذا التغير إلا نتيجة لعوامل ومسبباتٍ من داخل النص أو من خارجه ((لأن كل نص يعتبر مكوناً من مكونات سياق ظرف معين))[٦١٨] لذلك لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال ((نكران تأثير دلالة السياق اللغوي وسياق الموقف الملابس لهُ على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف ومن حيث التقديم والتأخير والتعريف والتنكير))[٦١٩] .

وسنحاول في هذا البحث تناول هذه التغيرات التي تحدث على صياغة الجملة ، فتحولها من تركيب الى آخر منتجة تغيراً في الدلالة والمعنى ، لأنه ((لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر أو فصلٍ من النثر ، فتؤديهِ بعينهِ وعلى خاصيتهِ وصنعتهِ بعبارة أخرى ، حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك ، لا يخالفهُ في صفةٍ ولا وجهٍ ولا أمرٍ))[٦٢٠] وهذا الأمر تؤكدهُ الدراسة اللغوية الحديثة يقول بلو مفيلد (ت ١٩٣٣م) : ((إنها لفرضية موثوقة في الألسنيةِ إن التغيرات إذا أختلفت شكلاً فإنها دائماً تختلف معنىً أيضاً))[٦٢١]

هذه التغيرات أحدثت ظواهراً في بناء المثل ، ومن هذه الظواهر ، التقديم والتأخير ، الذكر والحذف ، والفصل والوصل والتعريف والتنكير ، فلكل منها مصاديق في أمثال الإمام علي(□) وسنبدأ بذكر :

١- التقديم والتأخير :

---

(618) اللغة والمعنى والسياق - جون لاينز - ترجمة د. عباس صادق الوهاب - مراجعة د. عمونوئيل عزيز– در الشؤون الثقافية – بغداد – ١٩٨٧م : ٢١٥ .

(619) ينظر : أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى - أ.د رشيد بالحبيب (بحث) – مجلة اللسان العربي ، العدد ٤٩ ، سنة ١٩٩٩م . منشور على شبكة المعلومات العالمية وعلى الموقع:www.alarabiyah.ws

(620) دلائل الأعجاز : ٢٦١ .

(621) الأسلوب والأسلوبية : ٢١ .

لما كان لكل من المسند والمسند إليه موضعٌ في الجملةِ ورتبة خاصة ، فأن حدوث أي تغير في هذه المواضع ضمن تركيب الجملة لابد أن يكون هذا تقديماً أو تأخيراً ((قائم على نظرة عميقةٍ إلى عنصرين قائمين في الصياغة هما الثابت والمتغير ، يتمثل الثابت في تواجد أطراف الإسنادِ وما يتصل بها من متعلقات ، أما المتغير فيتمثل في تحريك بعض هذه الأطراف من أماكنها الأصلية التي أكتسبتها من نظام اللغة إلى أماكن جديدة ، ليست لها في الأصل ، كما يتمثل هذا التغير أحياناً في تثبيت أحد الأطراف في مكانهِ وإعطائهِ حتمية ، يمتنع معها نقلهُ وتحريكهُ وهذا يمثل تغيراً))[622] وللتقديم والتأخير محاسن ذكرها عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) فقال ((هو بابٌ كثيرُ الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعةٍ ويفضي بك إلى لطيفةٍ ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعهُ ويلطف لديك موقعهُ ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان))[٦٢٣] .

وجاء السكاكي (ت٦٢٦هـ) ليضع لهذه الظاهرة تقسيماً ضمن تقسيماتهِ للبلاغة إذ أكد أن التقديم والتأخير قسمان : الأول : أن يكون أصل ما تقدم في الكلام . والثاني : أن تكون العناية والإهتمام بشأنهِ هي السبب في ذلك[٦٢٤] ، وكانت آراء القدامى تنحو هذا المنحى .

أما المحدثون فيرون أن التقديم والتأخير يكون على قسمين :

الأول : تقديم اللفظ على عاملهِ ، ويضم تقديم المسند إليه والمسند وتقديم متعلقات الفعل ، والثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض ولأسباب كثيرة منها ((الأهتمام ، السببية ، التفضيل ، السبق بالزمان ، الشرف ...))[٦٢٥] .

---

(622) البلاغة والإسلوبية : ٣٣٣ .

(623) دلائل الأعجاز : ١٠٦ .

(624) ينظر : مفتاح العلوم : ٣٣٥. والقزويني وشروح التلخيص - د. أحمد مطلوب - بغداد ، ١٩٦٧م .

(625) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها : ١٥٧ . والتعبير القرآني – فاضل صالح السامرائي - جامعة بغداد – بيت الحكمة – ١٩٨٧م : ٤٨ . والبلاغة والأسلوبية : ٢٧٣ .

وهذه الظاهرة موجودة في أمثال الإمام علي (□) ومن أمثلتها قوله (□) في خطبة له في أيام صفين يحث بها أصحابهِ على الثبات ويصور حالة عدوهم القلقة ، غير المطمئنة ، قائلاً ((قدم للوثبة يداً وآخر للنكوص رجلاً))[٦٢٦] ، جاء هذا المثل في سياق الحث على الثبات الذي قدم لهُ كي يحققهُ في نفوسهم إرشاداتٍ ونصائح فهو يقول لهم ((عضوا على النواجذ وقلقلوا السيوف في أغمادها)) ثم يخبرهم بأنهم ((بعين الله ومع إبن عم رسول الله)) كي يوطد في قلوبهم الأيمان ، فإذا ما أطمئن لحديثهِ هذا أنتقل إلى وصف عدوهم فهو منهزم ، غير مستقر ، وكأنه (□) يقول لهم ((أن جبنتم وثب وإن شجعتم نكص أي تأخر وفر))[٦٢٧] .

والذي نلحظه في هذا المثل أنه (□) قدم متعلقات الفعل على المفعول به وهي (للوثبة) ، و(للنكوص) وهما الصورتان التي وصف بهما حال العدو ، فكلا اللفظتين ، أخبر عنها بالفعلين (قدم) و (أخر) والمثل يريد أن يؤكد هاتين الصورتين فهما يدلان على حالة القلق ، وعدم الإطمئنان ، وهذا ما سعى له المثل ، لذلك وجب التقديم وحسن ((لأن تقديم المحدث عنهُ يفيد التنبيه له))[٦٢٨] فأفاد من توظيف هذا التقديم أن قرن الوثبة باليد وهي القوة ، وأسند النكوص إلى الرجل وفيها دلالة توحي بمعنى الهرب ، لأن الذي يثبتُ يستعمل يدهِ ، ومن يهرب يستعمل رجله، وبذلك أحدث هذا الطباق دلالة أعمق ، فأكد المعنى الصمود والهرب ، وهذه الصورة يتمناها المقاتل لعدوهِ لذلك أشار إليها المثل ،فصور حالهم بأحسن تمثيل قادرٍ على أداء المعنى وإيصالهِ لمخاطبيهِ .

ومن خطبة له (□) في خلق آدم (□) يمثل فيها توارد الأنبياء والرسل إلى الأرض فيقول ((وعلى ذلك نسلت القرون))[٦٢٩] أي ((ولدت وأسرعت))[٦٣٠] في هذا المثل نلحظ

---

(626) شرح نهج البلاغة : ٥ / ٩٥ .
(627) شرح نهج البلاغة : ٥ / ٩٧ .
(628) دلائل الأعجاز : ١٣١ .
(629) شرح نهج البلاغة : ١ / ٧٦ .
(630) م . ن : ١ / ٧٦ .

تقديم متعلقات الفعل وهي (الجار والمجرور) على الفعل ((لينبه إلى هذه الحالة ، لأن تقديم ذكر المحدث عنه بالفعل أكد لإثبات ذلك الفعل له))[٦٣١] وما كان تقديم (على ذلك) في نص المثل على الفعل إلا لغرض إبلاغ رسالة فحواها أن هذه الحالة ((سنةٌ الله عز وجل في أن لا تخلو الأرض والخلق من الأنبياء والحجج))[٦٣٢].

فتقدم متعلقات الفعل يأتي لأغراض ذكر البلاغيون[٦٣٣] منها الإختصاص أي أن هذه الصفة التي أشار إليها المثل ، حين قدم متعلقات الفعل (الجار والمجرور) هي صفة مختصة بالسنين والقرون، فهي أبداً تتوالد وتستمر وهي الفطرة التي فطر الله عليها الحياة والوجود ، أن هذا التقديم ما كان ليأتي على هذه الصياغة (من التركيب النحوي إلا بسبب مؤثرات السياق اللغوي ، الذي كانت جملهِ جملاً فعلية ، تتحدث عن زمن مضى ، جاءت به رسل الله إلى الأرض ، فهي تتوارد حيناً بعد حين ، أما الصياغة فهي متوازنة ودليل هذا التوازن أن الجملة التي جاءت بعد هذا المثل هي (ومضت الدهور) فالتركيب المتشابه أوجب الصياغة المتشابهة ، وهذا هو أثر السياق اللغوي في صياغة المثل .

كما أفاد السياق هذا ، تكرير القصد الذي كان المخاطب بحاجةٍ إليهِ لأن المخاطب كان أحوج إلى الإرشاد والنصح ، هذا مؤثر آخر هو مؤثر سياق الموقف ، كل هذه المؤثرات كانت حاضرة عند صياغة المثل بهذه الصياغة من التقديم والتأخير الذي أوجبه المقال والمقام .

وأن ظاهرة التقديم والتأخير في التركيب النحوي نجدُ لها مصاديق أُخر في أمثال الإمام (□) ، فمن كلامٍ له يصف فيه حال من يتصدى للحكم وليس لذلك بأهل يقول عنه واصفاً أعمالهُ بأنها ((تصرخُ من قضائهِ الدماءُ وتعجُ منه المواريث))[٦٣٤] ، حيث نسب الصراخُ

---

(631) دلائل الأعجاز : ١٣٢ .
(632) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٢ / ١٣٢ .
(633) ينظر : مفتاح العلوم : ٣٣٥ . والأيضاح في علوم البلاغة :٢٠٥ .
(634) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧١ .

إلى الدماء والعجيج إلى المواريث ، والعجيج (هو إرتفاع الصوت) فجاء بهذه الصياغة على تقدير ((أي تصرخُ أولياءُ الدماء وتعجُ مستحقوا المواريث أو من قبيل المجاز في الإسناد))[٦٣٥] .

وما هذا العجيجُ إلا نتيجةً متحصلةً للأحكام الباطلة التي يصدرها من هو غير أهل للحكم، والذي نلحظهُ في صياغة هذا المثل ، أن هنالك تقديماً وتأخيراً ، فقد قدم الإمام علي (□) الجار والمجرور (منهُ) على الفاعل (المواريث) ، وهذا التغير في بنية التركيب ، أوحى بدلالات أعمق ((لأن تحولات الصياغة ذات أثر هام في تغير المعنى وإكتسابه دلالاتٍ جديدة أو إيماءاتٍ جديدة، فالأصلُ أن يكون المقدم مقدماً والمؤخر مؤخراً ، ولكن دواعي فكرية ونفسية كثيرة تطرأ على كيان المنشيء فتجعلهُ يقدم مؤخراً ويؤخر مقدماً))[٦٣٦] ، ومن هذه الدواعي التي نعتقدها هي الرغبة في تأكيد المعنى ، وفي إفادة الإختصاص ، إذ أن العجيج من هذا الحاكم الجاهل لا من غيره ، فلو جاء المثلُ على صيغتهِ المثالية من تقديم الفاعل على متعلقات الفعل (الجار والمجرور) لكان المعنى أن العجيج يصدرُ منه ومن غيره من الحكام ، وهذا ما لايريدهُ منشيء النص حتماً لأنه يريد أن يؤكد على هذه الصفة وخصوصيتها لذلك ((لجأ إلى إحداث تغيير في التركيب النحوي كي ينبيء عن غرضٍ قصدهُ ، ومعنى أراد التأكيد عليه ، حين أثار إلتفات السامع بهذا التغير في التركيب))[٦٣٧] فأستطاع من خلال هذا التقديم ، أن يؤدي الدلالة بصورة أدق وأجمل .

---

(635) م . ن : ١ / ١٧١ .

(636) أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم - د. شلتاغ عبود ، دار المحجة البيضاء ، الطبعة الأولى ، بيروت ، سنة الطبع ٢٠٠٣م : ٥٤ .

(637) ينظر : البنية الأسلوبية في التراكيب النحوية : ٢٠١ .

وقد يحدث التقديم والتأخير في النص سمة بارزة ، تكسبهُ قوةً في أداء المعنى ، وجمالية في الأسلوب ، إذا ما أعتمدت على نقل أو تغير اللفظة المحورية في النص[٦٣٨] والتي تحمل المعنى وتكثفهُ .

ومن أمثلة هذا التغيير في تركيب نص المثل ، قول الإمام علي (□) : ((لا يهلك على التقوى سنخُ أصلٍ))[٦٣٩] والسنخُ هو من كل شيء أصلهُ[٦٤٠] .

نلحظ في هذا المثل حدوث تغير في تركيبهِ النحوي ، عندما غير موضع اللفظة المحورية (التقوى) والتي جاءت مجرورة بحرف الجر (على) فأبرزها في النص حين قدمها على الفاعل ، عنايةً واهتماماً[٦٤١] لأن تقديم الألفاظ بعضها على بعضٍ له أسباب عديدة يقتضيها المقال وسياق المقام ، يجمعها قولهم ((إن التقديم إنما يكون للعناية والإهتمام فما كانت عنايتك به أكثر قدمتهُ في الكلام ، والعناية في اللفظة لا تكون من أنها لفظة معينة ، بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال))[٦٤٢] فتقديم لفظة (على التقوى) جاء إنسجاماً مع مقتضيات الحال والتي فرضت في النص تأثيراتها ، لأن لفظة التقوى تثير في نفس المتلقي دلالات ومعاني أسلامية ، فهي ربما ذكرتهُ أو أوحت لهُ بذلك التركيز الذي حظيت بِه هذه اللفظة في الخطاب الإسلامي لأنها من صفات المسلم، والإشارة إليها وتقديمها في النص يؤكد مرة أخرى على أهميتها ، ويؤكد إن الهلاك الذي قصدهُ المثل لا يتم لمن أتخذ التقوى أساساً له في حياتهِ ، وبهذا التقديم تحقق أشارة أنتباه السامع وإلتفاتهِ إليها ، كي يؤدي القصد الذي سعى إليه ، بأفضل طريقة في الأداء ، حين عدل عن التركيب النحوي

---

(638) ينظر : علم اللغة العام (الأصوات) - د. كمال محمد بشر : ٢١٦ .
(639) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٦ .
(640) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٣ / ٢٠٥ .
(641) ينظر : الكتاب : ١ / ١٤ ، دلائل الأعجاز : ١٠٧ ، وحسن التوسل : ١٥٠ .
(642) التعبير القرآني : ٥٠ .

المثالي "فخلق بذلك بنية جديدة لها وقع جديد في نفس المتلقي لأنها مثلت إتصالاً مع المتلقي ، عضدتهُ الروابط الأخرى للنص الحاصلة من أرتباط المتقدم بالمتأخر))[٦٤٣] .

كما نلمس هذا التقديم والتأخير واضحاً في أمثالٍ أخرى للإمام علي (□)[٦٤٤].

٢- الإيجاز :

لغة : التقصير : ((نقول أوجزتُ الكلام أي قصّرتهُ))[٦٤٥] .

إصطلاحاً : ((وهو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير أخلال))[٦٤٦] وهذا المعنى يعبر عنه قول عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) بأنه ((لا معنى للإيجاز إلا أن يدلُ بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى))[٦٤٧] .

فالإيجاز قسمان هما :

أ- إيجاز حذف :

وهو ما يكون بحذف كلمةٍ أو جملةٍ أو أكثر مع قرينة تعيين المحذوف[٦٤٨] .

جاءت أمثال عديدة في نهج البلاغة موجزةً إيجازاً يُشعرك بأن حذفاً في نص المثل قد حدث ، وهذا الحذف قد يكون حرفاً أو كلمةً أو جملةً .

فقد تجيء الكلمةُ فاعلاً أو مفعولاً به ، أو هي من متعلقات الفعل ، ولكنها في الدلالة لا تكاد تقصرُ عن غيرها من أقسام الجملة[٦٤٩] ، لكن حذفاً حدث لها حين دلت على ذلك

---

(643) البنية الأسلوبية في التراكيب النحوية : ٢٠٠ .

(644) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٩ ، ١ / ٩٦ ، ١ / ١٢٨ ، ١ / ١٦٤ ، ١ / ١٦٥ ، ٢ / ٤٥ ، ٦ / ٢١٥ ، ٦ / ٤٩ ، ٧ / ١١٣ ، ٩ / ١٣٨ ، ٩ / ١٦٩ ، ١٥ / ١٠٥ ، ١٨ / ١٢٤ ، ١٩ / ٢٠ ... وغيرها.

(645) لسان العرب مادة (جوز) : ٥ / ٣٢٦ .

(646) نهاية الأيجاز في دراية الأعجاز : ١٤٥ .

(647) دلائل الأعجاز : ٣٥٦ .

(648) ينظر : البلاغة والتطبيق : ١٨٢ – ١٨٥ .

قرائن السياق اللغوي ، وحين أوجبت هذا الحذف سياقات المقام ، فكلاهما قد ترك أثراً واضحاً في صياغة المثل وكان سبباً في ظهور المثل بالصيغة التي جاء بها .

ومن أمثلة الحذف في أمثال الإمام علي (□) قولهُ ((بعد اللُتيا واللتي))[٦٥٠] أي أبَعْدَ الداهية الصغرى والكبرى أجزع ! فالحذف هنا حذف جملة ((وحذف الجملة هو من أحسن المحذوفات وأدلها على الإختصار ولا نكادُ نراهُ إلا في كتاب الله تعالى))[٦٥١] والى هذا الحذف في هذا المثل أشار السكاكي (ت٦٢٦هـ) بقوله ((حذفت الصلةُ من قولهم [بعد اللتيا واللتي] أي المشار إليه بهما وهي المحنة والشدائد ، قد بلغت شدة وفضاعة شأنها مبلغاً بهت الواصف معهُ حتى ليحير ببنت شفة))[٦٥٢] .

وما مجيء هذا المثل بهذه الصياغة إلا زيادةً في الإبلاغ عن القصد الذي من أجله جاء المثل ، وهو التشديد على أن الإمام علي (□) لا تغيرهُ المصاعب والمحن .

ومن أمثال الإمام علي (□) الأخرى التي جاءت على أسلوب الإيجاز بالحذفِ قوله ((قد يرمي الرامي وتخطيء السهام))[٦٥٣] ، نلحظ في هذا المثل أن حذفاً قد حدث للمفعول به ، وما كان ذلك ليتم إلا بعد أن أستغنى بالقرينة عن ذكر المحذوف حين دلت عليه لفظة (السهام) ، فقال (قد يرمي الرامي) ولم يذكر أي شيء يرميه (أي المفعول به) ، فيما جاءت السهام في الجملة الثانية المعطوفة على الجملة الأولى بـ(واو) العطف التي أشركتها في الحكم والأعراب ، فكانت هذه القرينة كافية للدلالة على المحذوف ومغنية عن الذكر ((لأن

---

(649) ينظر : دلائل الأعجاز : ١٢١ .

(650) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٣٣ . فصل المقال :١/ ٣٧٠ . وقد أرجع هذا المثل الى قول الشاعر سُلَميّ بن ربيعة الضبي وهو شاعر جاهلي :

ولقد رأبتُ ثأي العشيرة بينها ... وكفيتُ جانبها اللُتيا واللتي

وصفحتُ عن جهلها ومنحتها ... حلمي ولم تصب العشيرة زلتي

ينظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط٤ ، ٢٠٠٠م : ٨ / ٤٩ . ولقد نسب المفضل الضبي هذا البيت الى الشاعر علباء بن أرقم بن عوف بن بكر بن وائل وهو شاعر جاهلي كان معاصراً للنعمان بن المنذر ، ينظر : المفضليات : ١٦٢ .

(651) البلاغة والتطبيق : ١٢٥ .

(652) الأيضاح في علوم البلاغة : ١٠٨ .

(653) شرح نهج البلاغة : ٩ / ٤٥ .

الإستغناء عن الذكر لا يتم إلا من خلال الإرشارات الدالة عليه عبر تقنيات خاصة يوجدها منشيء النص كي يُحقق عرضاً معنوياً كان أم جمالياً ، ولا يأتي هذا الحذف إلا بعد أن تتوفر مسوغات ومنها "مشاركة المتلقي في إستخلاص دلالة النص))[٦٥٤] ، عندما توفر له أمتاعاً عقلياً وجمالياً ، وعندما يكون المثلُ ضمن نصٍ قد تطرز بأهلةِ البلاغةِ ، وأزدان بوشاحٍ من البيان العلوي الساحر ، فهو بذلك بؤرة ضوئية ساطعة تتلألأ في أثناء النص ، لأنه لابد للمثل أن يسطع من خلال النص ((بأن يكون اللفظ مقتضباً والحذف محتملاً والصورة محفوظة ، والتلويح كافياً ، والإشارة مغنية والعبارة سائرة))[٦٥٥] وهذه السمات هي سمات وفرتها أمثال الإمام علي (□) .

إن ظاهرة الإيجاز في أمثال الإمام (□) لا تقتصر على أيجاز الحذف لكلمة جاءت فعلاً أو فاعلاً أو مفعولاً به ، وإنما قد يأتي الحذف ، حذف حرف كما في قوله ((تزول الجبال ولا تزل))[٦٥٦] ، فحذف أداة الشرط والتقدير (لو تزول الجبال لا تزل أنت) وفي هذا الحذف جمالية تحققت من خلال مراعاة الإيقاع المتمثل في الجناس ، الذي جاء بلفظتين في أول الكلام وفي آخرهِ متجانستين ، فحققت إيقاعاً جميلاً ، تمثل في أثارة أنتباه السامع وجذب اهتمامه بما ياتيه من تعبير وصياغة موجزة .

وهذا الحذف الذي أعترى المثل كان حذفاً لأداة الشرط ، وحذفاً لفاعل (تزل) ، وكلاهما قد وفر للمثل تركيباً بلاغياً جميلاً ، حين قلل الألفاظ وكثف المعنى حول لفظة الزوال ، فأحدث بهذا الحذف تركيباً نحوياً مصاغاً بدقة روعت فيه الجوانب الفنية الأخرى .

ونلحظ ظاهرة الإيجاز بالحذف واضحة في أمثال أخرى للإمام علي (□) فهو حين يصف من تصدى للحكم وليس أهلاً لذلك ، بأنه ((بكرّ ، فاستكثر من جمع ما قل منه خيرٌ

---

(654) الإسلام والأدب : ١٠٩ .

(655) الإمتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي (ت٤٢١هـ)- صححه وظبطهُ وشرح غريبه - أحمد أمين وأحمد الزين - لجنة التأليف والترجمة والنشر – مصر – ١٩٣٩م : ٢ / ١٤١ .

(656) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٤٨ .

مما كثر))[٦٥٧] ففي المثل (ما قل منه خير مما كثر) حذفٌ لمتعلق ، الجار والمجرور (منه) الذي نقدره إستناداً على القرينة المذكورة في الجملة التي سبقتهُ ، التي أغنت عن الإعادة ، ويحدث هذا النوع من الحذف إذا لم يؤدِ إلى إلتباسٍ في المعنى عند المخاطب ، إذ أن ذكر عنصر لغوي في الجملة الأولى هو الذي أزال هذا الإلتباس ((لذكرك إياه في أول الكلام وقلة إلتباسه على المخاطب))[٦٥٨] .

ووفق هذه الطريقة في الحذف جاء قوله (□) : ((الدهرُ يخلق الأبدان ، ويجدد الآمال))[٦٥٩] ففي هذا المثل حذف لعنصر لغوي جاء مبتدأ في الجملة الأولى ولم يذكر في الجملة الثانية المعطوفة بحرف العطف (الواو) الذي يفيد المشاركة في الحكم ، وما تقديم الدهر إلا لغرض تأكيد الإختصاص ، فحين عطف ولم يذكر الدهر ، واستغنى بذلك عن التكرير وحقق إيجازاً في اللفظ ولم يؤثر ذلك في الدلالة على القصد الذي سعى إليه المثل قد وفر جمالية في الأداءِ ودقة في إصابة المعنى .

ومن أنواع الحذف حذف الموصوف وإبقاء الصفة ، وعلى هذا جاء المثل ((وارتوى من آجن))[٦٦٠] ، جاء هذا المثل في معرض حديثهُ (□) عن صفة من يتصدى للحكم وليس أهلاً لذلك.

ففي هذا المثل حذفٌ للموصوف وهو الماء وإبقاء صفته (الآجن) أي فاسد ، لأن لفظة (آجن) هي صفة تُشعر وتدل على الموصوف ، فلا آجنٌ إلا الماء ، فالمخاطب فهم المعنى الذي قصدهُ المثل ولم تكن هنالك حاجة لذكر الموصوف ، لأن الصفة أغنت عنه فهي صفة جاءت بصيغة اللفظة (النكرة) لقصد يريدهُ الإمام عليّ (□) وهو إضفاء صفة العموم وبالإشارة هذه ، يكون المثل قد تنبه إلى شيءٍ من طباع النفس البشرية وهو ميلها الدائم

---

(657) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧١ .
(658) الكتاب : ١ / ٦٦ .
(659) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٠٤ .
(660) م . ن : ١ / ١٧١ .

وشغفها بالأشياء التي تومض ولا تتجلى، ففي ذكر الصفة وحذف الموصوف ، ومضةٌ تقدحُ في ذهن المتلقي تنبههُ وتزيل له غفلةً ، وتوقظ في ذهنهِ إتقاداً ، فتشركهُ الإشارة هذهِ في أنتاج النص ، أو إعادة أنتاجه ، وعند ذلك يكون القصد قد تحقق .

كما أن لفظة (آجن) دلت على معنى مجازي ، هو أن المتصدي للحكم لم يرتوِ من نبعٍ صافٍ عذبٍ وليس أعذبُ من نبع الإسلام شيئاً ، إنما كان إرتواءهُ من مصدرٍ فاسد ، لذلك فسدت قدرتهُ على الحكم وإدارة شؤون البلاد .

وقد يأتي الحذف في أمثال الإمام علي (□) حذفاً للمفعول به من نص جملة المثل ، ولا يحدث هذا المثل إلا ليحقق غرضاً كأن يكون ((بيان حال الفعل والفاعل فقط))[٦٦١] وهذا ما نلمسهُ في قوله (□) لمن مدحهُ وهو له متهم ((أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك))[٦٦٢] . فحذف المفعول به المقدر (مدحاً) أو إطراءاً ، وفوق ما في نفسك (ذماً) أو بغضاً أو كرهاً ، فقد أستطاع أن يشخص حالة هذا المادح الذي يظهر المدح ويخفي الذم ، فأضمر الإمام علي (□) المفعول به ولم يذكرهُ في النص حتى يكون الغرض من ذلك بين حال الفعل الصادر عن هذا المادح الذام وبهذا الحذف قد ركز المعنى وكثفهُ حول العمل الذي صدر من هذا الرجل فأراد فضح عمله لأنه عمل رياء ، والإمام (□) ينهى عن مثل هذه الأعمال وهو لا يحب المدح لأن المدح قد يورث في النفس شيئاً من كبرٍ وحاشا للإمام (□) أن تمس نفسه مثل هذه المظاهر .

وفي نهج البلاغة وردت أمثال عديدة موجزة ، إيجازها جاء بطريقة الحذف لبعض الألفاظ من الجملة[٦٦٣] .

٢- إيجاز القصر :

---

(661) البلاغة والتطبيق : ١٨٨ .

(662) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١١٠ . فصل المقال : ٣٣ . مجمع الأمثال : ١ / ٥٣ .

(663) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٥ ، ١ / ١٦٦ ، ٢ / ٩٦ ، ٦ / ١٦٤ ، ٩ / ٩٣ ، ١٨ / ١٠٤ ، ١٨ / ١٨٥ ، ١٨ / ١٧٧ ... وغيرها .

القصر : لغة : جاء في لسان العرب ((أن القصر في كل شيء خلاف الطول ، وفي الحديث إن أعرابياً جاءهُ ، فقال : علمني عملاً يدخلني الجنة ، فقال : لأن كنت أقصرت الخطبة ، لقد أعرضت المسألة ، أي جئت بالخطبةِ قصيرة وبالمسألة عريضة ، والقصر : الغاية ، يقال قصرك أن تفعل كذا أي حبسك ، لأنك إذا بلغت الغاية حبستك))[٦٦٤] .

إصطلاحاً : هو ((تضمين العبارات القصيرة معانيّ كثيرة من غير حذف))[٦٦٥] ، وهذا يدلُ على أن هذا النوع من الإيجاز هو الذي يستطيع ((إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ))[٦٦٦] أو كلما كان اللفظ أوجز وأدق في التعبير عن المعاني كان ((أوقع في القلب وأسرع في الحفظ ، وكان صاحبها أبلغ وأوجز))[٦٦٧] .

وقد جاءت على هذا النوع من الإيجاز أمثال عديدة للإمام علي (□) منها قوله ((الناس أعداء ما جهلوا))[٦٦٨] بهذه الألفاظ الموجزة أستطاع أن يوصل إلينا المعنى بأقصر الطرق ((فإذا كان طريقان يوصل كل واحد منهما إلى المقصود على السواء من السهولةِ ، إلا أن أحدهما أخصر وأقرب من الآخر ، فلابد من أن يكون المحمود منهما هو أخصرهما وأقربهما سلوكاً إلى المقصد))[٦٦٩] ولأن الإنسان كلما كان جاهلاً بشيء كان يخافه ويحذرهُ وتلك فطرته التي فطر عليها ، وما هذه العداوة إلا نتيجة لعدم وضوح الرؤية أمامه ، لأن الجهل ظلام ، والظلام مخيف ، لا يُعلم ما فيه لذلك يحذرُ منهُ ، فهو بمنزلة العدو .

---

(664) لسان العرب : مادة (قصر) : ٥ / ٩٥ .
(665) الطراز : ٢ / ١٣ .
(666) سر الفصاحة - إبن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ)- تحقيق عبد المتعال الصعيدي – مكتبة محمد علي صبيح وأولاده– مصر ، ١٩٦٩م : ٢٠٣ .
(667) البين والتبيين : ١ / ٨٦ . الصناعتين : ١٧٤ .
(668) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٨٥ . الأيجاز والأعجاز - أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)– دار الزند العربي – بيروت ، ١٩٨٣م : ٢٧ .
(669) سر الفصاحة : ٢٠٦ .

وبهذه الكلمات الموجزة تتجلى القدرة على تصوير النفس البشرية وتشخيص تصرفاتها وأفعالها ، في أي زمان كانت وفي أي مكان وجدت ، فلا الزمان قادرٌ على أن يرفع هذه الصفة عنها ولا المكان قادر على تحديدها أو تحجيمها .

ونجد هذا النوع من الإيجاز متحققاً في قوله (□) ((قيمةُ كل أمريءٍ ما يحسنهُ))[٦٧٠] .

يقول الجاحظ (ت٢٥٥هـ) عن هذه الكلمة ((فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة ، لوجدناها كافية مجزيةً مغنيةً ، بل لوجدناها فاضلةً عن الكناية ، وغير مقصرة عن الغايةِ ، وأحسنُ الكلامِ ، ما كان قليله يغنيك عن كثيرهِ))[٦٧١] .

فيما وصفها إبن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) بقوله ((إن هذه الألفاظ على غاية من الإيجاز وإيضاح المعنى ، وحسنها يغني عن وصفه))[٦٧٢].

وهذا شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني يشير إلى قيمة هذه الكلمة ودقة إيجازها ، حين يتحدث عن المعاني الجليلة النادرة في المنثور من الكلام ، يقول ((فأنك تجدُ فيه متى شئت فصولاً تعلم أن لن يستطاع في معانيها مثلها ، فما لا يخفى أنه كذلك قول أمير المؤمنين علي أبن أبي طالب(ؑ [قيمة كل أمريء ما يحسنهُ]))[٦٧٣] .

فإذا كنت قد نقلت هذه الأقوال والشهادات في حق هذا القول ، فما عساني أن أقول عن هذا الإيجاز غير أن الإنسان بطبعهِ يحب التوسع والإستزادة من كل شيء ، فإذا ما صادفهُ لفظٌ موجز ، أثار في نفسهِ هذه الغريزة ، فدعتهُ إلى التعلق بأستار هذا النص الموجز ، محاولاً أن يجد له تفسيراً أو تأويلاً ، ومحاولاً توسيع هذا الإيجاز ، وفك رموزهِ ، فهو مشارك

---

(670) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٠٩ . مجمع الأمثال : ٢ / ٤٥٥ . الأيجاز والأعجاز : ٢٧ .
(671) الحيوان : ٣ / ١٨٩ .
(672) سر الفصاحة : ٢٠٣ .
(673) دلائل الأعجاز : ٦٠٤ .

وفاعل في أيجاد الدلالة للنص وفي إكتشاف المعنى ، وفضح الدلالة عن الخفي في هذا الإيجاز فهذه الكلمات القليلة حملت معنى عظيماً أجادت في إيصالهِ وأحسنت في أدائهِ .

وفي مثل آخر للإمام علي (□) يقول ((الحكمةُ ضالةُ المؤمن))[٦٧٤] إن صيغة هذا المثل المكتفية بالألفاظ الثلاثة وبالإسمية طريقاً للأخبار كي تدلُ على ثبوت المعنى وديمومتهِ ، وبالتعريف الذي قصر الحكمة على المؤمن ، لأن الحكمة هي التي ((تجمعُ كلَ ما يتصل بالعادات والتقاليد والأقوال السائرة والعبارات النادرة ، فهي تعبير عن خبرات الحياة))[٦٧٥] ، وسمةُ المؤمن أنه مشغول الفكر دائم البحث عن الأفكار العظيمة ، وفي البحث عن أسرار هذا الوجود الذي تختزلهُ الحكمةُ ، حيث تصنعُ منهُ أفكاراً مجردةً ، قادرة على الدلالة وحاوية للشمول والأنفتاح ، ولعل هذا البحث شابه بحث العربي في صحرائه عن ضالتهِ فهي صورة مختزنة في مخيلة المتلقي عندما يسترجع صورة البدوي باحثاً عن جملهِ الضال ، لكن للمؤمن ضالة أخرى وما أعظمها من ضالة ، وفي هذا المثل معانٍ تستشف من خلال الإيحاء الذي تحدثهُ الألفاظ في نفس المتلقي لأن هذا الإيحاء الذي نراهُ في هذا النص ((ينزلُ على أطراف المعاني ضلالاً خفيفة يشغلُ بها الذهن ، ويعملُ فيها الخيالُ ، حتى تبرز وتتلون ، وتتسع وتتشعب إلى معاني أخرى ، يتحملها اللفظ بالتفسير والتأويل))[٦٧٦] الذي يدعونا الى القول إن هذا المثل قد خرج إلى غرض مجازي أراد به الإمام علي (□) حث المسلمين على الأيمان والألتزام ، لأنه أستطاع أن يصور لهم المؤمن بأجمل صورة عندما أتاح لهم هذا الوصف الذي يدل على أن رجلاً ترك كل شيء مادي تلهث الناس حوله ، وحول بحثه وهمهُ إلى ضالة الحكمة ، فما أتقى هذا الرجل ، وما أجملهُ ، عارياً من أدران الحياة وبهرجها الزائف الزائل .

---

(674) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٠٨ .
(675) الأمثال العربية والعصر الجاهلي : ٣٢ .
(676) المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم – عبد الفتاح لاشين – دار المعارف – بيروت – ط٣ ، ١٩٧٨م : ٣٤٤ .

يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) (□) : ((رووا أن أمير المؤمنين علياً [رضوان الله عليه] ، كان يفطر الناس في شهر رمضان فإذا فرغ من العشاء ، تكلم فأقل وأوجز وأبلغ))[٦٧٧] وعلى وفق هذا السبيل وردت أمثال عديدة في نهج البلاغة موجزة أما بالحذف أو بإيجاز القصر الذي شمل أغلب أمثال الإمام علي (□)[٦٧٨].

٣- التعريف والتنكير :

يعد التعريف والتنكير إسلوباً من أساليب إداء المعنى ، نلمسُ له أثراً واضحاً في صياغة أمثال نهج الإمام علي (□) فهو يستعمل اللفظة النكرة في المحل الملائم لها في التركيب وكذلك يفعل باللفظة المعرفة ، وأن أختلفت أوجه تعريفها ، فإذا كانت النكرة هي الأصل وهي ((عبارة عما شاع من جنس موجود أو مقدر))[٦٧٩] فهي موجودة في أمثال الإمام علي (□) وبالموضع الذي فرضهُ التركيب ، وحددته مسوغات المقام .

سنحاول في هذا المبحث أن نتبين كيف جاء إستعمال الألفاظ النكرة والمعرفة في الأمثال وما وفر هذا الإستعمال من دلالات وأفرز من معانٍ ، وقدم من صور جمالية .

ومن ذلك قوله (□) : ((نحن النمرقة الوسطى))[٦٨٠] جاء هذا المثل بصيغةٍ خبرية ، أستعمل فيها الضمير المنفصل (نحن) مبتدءاً والضمير هو أعرف أقسام المعرفة[٦٨١] قاصداً به أهل بيتهِ (□) لأن السياق كان سياق إبراز مكانتهم في الأمة الإسلامية ، ليحقق غرضاً أراد به أن يلزم الناس بالطاعةِ والإمتثال لهم ، فجاء بلفظة الضمير المنفصل (نحن) وأخبر عنه بألفاظٍ معرفة بـ(الألف واللام) وهي النمرقة ، أي الوسادة التي يتكيء عليها ويستقر عليها من أجهدهُ التعب أو غالبهُ القلق وعدم الأستقرار وهذه معاني مجازية

---

(677) ثلاث رسائل في أعجاز القرآن الكريم – الرسالة الشافية - عبد القاهر الجرجاني- حققها محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام – دار المعارف – مصر : ١٣٠ .

(678) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧٦ ، ١ / ١٢٨ ، ١ / ١٦٥ ، ١ / ١٣٠ ، ١ / ١٦٦ ، ١٠ / ١٢٢ ، ١٦ / ٥١ ، ١٨ / ٥٩ ، ١٨ / ١٢٥ ... وغيرها.

(679) شرح قطر الندى ويل الهدى : ٩٣ .

(680) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٢٥ .

(681) شرح قطر الندى ويل الصدى : ٩٤ .

تستشف من هذه الألفاظ ولما كان الخبر معرفة موصوفة ، وجب عدم العطف عليه[٦٨٢] ، فهم وحدهم النمرقة الوسطى ولا يشرك معهم أحد ، لأن العطف هو أشراك في الحكم ، يقول الجرجاني ((إذا نكرت الخبر جاز أن تأتي بمبتدأ ثانٍ على أن تشركهُ بحرف عطف في المعنى الذي أخبرت به عن الأول ، فإذا عرفت لم يجز لك ذلك))[٦٨٣] .

لذلك لم يجز أن يشرك معهم (□) أي إنسان في هذه الصفة ، فهي خاصة بهم وهي مثل لهم ، وما مجيء هذا المثل بهذه الصيغة الخبرية التي تحملُ دلالات الثبوت إلا ليؤكد معنى ، رأى أن بعض الناس قد أصابه شيء من شك وداخل نفسهُ ظن ، أفرزتهُ الحوادث وتقلب الظروف ، التي عاشها المسلمون بعد وفاة الرسول (□) لذلك أستعمل الألفاظ المعرفة ، كي يحدث في نفوس مخاطبيه تأكيداً للمعنى الذي قصدهُ ولكي يبعد عنهم الشك والتردد .

وعلى وفق هذه الطريقة في إستعمال الألفاظ المعرفة والدلالة بها على المعاني التي يريدها ويسعى لإيصالها الى مخاطبيه ، نراه (□) يقول : ((الخطايا خيلُ شمسٍ حُمِلَ عليها أهلها))[٦٨٤]، أن صياغة هذا المثل هي صياغة الجملة الخبرية التي أتخذت الجملة الإسمية أداة لإيصال المعنى ، إذ نلحظ الإبتداء بالمعرفة (الخطايا) التي شبهت بـ(خيل) يصعبُ ركوبها ، وهذا الوصف للخيل أعطى لها نوعاً خاصاً يعرفه العربي وهو المتلقي الأول .

وهذا التشبيه قد قرب له المعنى وزاد في أبلاغهِ طريقة أدائه التي أعتمدت التشبيه البليغ أداة لنقل الصورة وإيضاحها ((لأن التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً ولهذا أطبق عليه جميع المتكلمين من العرب والعجم ولم يستغنِ أحد منهم عنه))[٦٨٥] ، فعندما قدم جنساً معيناً من الخيل يمتاز بصفات خاصة ، إذ أن ((من شأن الأجناس إذا

---

(682) ينظر : دلائل الإعجاز : ١٧٧ .
(683) م . ن : ١٧٨ .
(684) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٥ .
685) الصناعتين : ٢٤٣ .

وصفت أن تتنوع بالصفة))[٦٨٦] ، وهذا التنوع هو تعريف لها وتميزاً عن غيرها ، مما جعل المثل يمتاز بوضوح الإستعمال للألفاظ المعرفة فـ(الخطايا) معرفة بالألف واللام الجنسية والتي تحمل معنى الإستغراق والخيل وصفت فعرفت بالوصف ، وبذلك يكون المثل قد أستثمر خصائص وميزات المعرفة في نقل المعنى وإيصال الدلالة إلى المتلقي ، ناهيك عن التشبيه الذي وفر مناخاً ساعد على تقريب الدلالة إذا قدم المعنى العقلي بمجسدٍ حسي له حضور متميز واضحٌ في بيئة العربي ، فهو قادر على فهم هذا الإقتران والتشبيه وإستيعاب القصد الذي سعى إليه النص.

وهذا الإستعمال الدقيق والموفق للألفاظ المعرفة نلمسهُ في كثير من أمثال نهج البلاغة[٦٨٧].

اما إستعمال الألفاظ المنّكرة في أمثال الإمام علي (□) فهي إستعمالات كثيرة ، جاءت لأغراض معينة ، ساعد السياق على تقديمها بهذه الصورة أو تلك .

ونلحظ ذلك في قوله (□) : ((شقشقة هدرت ثم قرَّت))[٦٨٨] وإذا كنا قد تناولنا هذا المثل بالتحليل في الفصل الأول من بحثنا هذا ، لكننا نود أن نضيف شيئاً في هذه الفقرة من البحث ، إذ نرى إنّ إستعمال الألفاظ بصيغة النكرة ، إستعمالاً أستدعاهُ سياق الموقف أي الحال ، فالإمام علي (□) حين طُلب منه أن يفيض من حيث أنتهى حديثهُ ، قال هيهات يا إبن عباس : وعد حديثهُ شقشقة هدرت ، فأستعمل اللفظة النكرة (شقشقة) لأنه في حالٍ لا يقتضي التأكيد على الصورة التي طرحها ، إنما أشار إليها ، حتى لاتنسى ولا يندثر الحال التي وصفتهُ ، والدليل على ذلك عدم إستعماله لأي مؤكد ، كما أنه أتبع الوصف هذا بالأخبار بفعل ماضٍ ثم أستعمل حرف العطف (ثم) من دون أحرف العطف الأخرى لكي

---

(686) دلائل الأعجاز : ١٩٢ .

(687) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ٥٧ ، ١ / ١٦٥ ، ١ / ١٦٦ ، ٢ / ١٦٦ ، ٣ / ٧٠ ، ٦ / ٨٥ ، ٦ / ٢١٥ ، ٧ / ٦٤ ، ٧ / ١١٣ ، ٨ / ١٥٥ ، ٩ / ١٣٨ ، ١٥ / ١٠٥ ، ١٦ / ٩٨ ، ١٨ / ١٠٨ ، ١٨ / ١١٠ ، ١٩ / ١٣ ، ١٩ / ٦٨ ... وغيرها .

(688) م . ن : ١ / ١٢٨ .

يعطي فسحةٌ من التأثير لهذه الشقشقة كي يسمعها الناس ، لأن العطف بـ(ثم) التي تفيد الإشراك مع تراخٍ[٦٨٩] ، لذلك لجأ إلى إستعمال هذا العطف دون غيرهِ لينتهي ذلك الهديرُ الى السكون والإستقرار ، ولعل السياق قد أثر تأثيراً واضحاً في هذه الصياغة ، وهو تأثير غير خافٍ عمن عرف حال الأمة وما أصابها من فتن ومحن .

إنّ إستعمال الألفاظ المنّكرة كان إستعمالاً موفقاً في أمثال الإمام علي (□) ومن هذا الاستعمال قوله ((اليمين والشمال مضلّة))[٦٩٠] المبتدأ في هذه الجملة الخبرية معرف بالألف واللام وهو مضاف إلى مبتدأ ثانٍ كي يشركهُ في الخبر الذي أخبر به عنهما ، فهما مشتركان في الصفة التي وصفتهما وهي لفظة (مضلة) وهي لفظة نكرة أستطاعت أن تسمح بورود مبتدأ ثانٍ وتشركهُ مع الأول وتخبر عنه لأنهُ ((أذا نكرت الخبر جاز أن تأتي بمبتدأ ثانٍ ، على أن تشركهُ بحرف عطف في المعنى الذي أخبرت عنه به عن الأول))[٦٩١] ، لأن النكرة تحملُ من الإتساع والإبهام ما تعجزُ المعرفة عن الإتيان به ، فلما أراد الإمام علي (□) أن يبعد الناس عن سلوك الطريق ، جاء بوصف لهذين الطريقين وأدل عليهما بالضلالة ، وبذلك أوحت هذه الألفاظ أن طريقاً ثالثاً هو الطريق السوي إلا أنه (الطريق الوسطى) طريق الإعتدال .

كما نلمسُ من هذا المثل أن إستعمال لفظة (مضلة) من دون أن تخصص أو تضاف ، كان القصد منها أن تدل على العمومِ لأن الإنحراف والزيغ عن كل جادة سوية وفي أي عمل أنساني ، هو مضلة وضياعٌ في الضلالة لا يوصل إلى هدف ولا يحقق غاية ، وهذا ما نعتقدهُ من معنى أو دلالة لهذا المثل ، ولعل لسياق الموقف الذي ورد فيه المثل أثراً جلياً في هذه الصياغة أو في أستدعاء هذا المثل ، لأن الأمة قد حدث فيها أنحراف واضح ،

---

(689) دلائل الأعجاز : ٢٢٤ .
(690) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٦ .
(691) دلائل الأعجاز : ١٧٨ .

ففريق من الأمة غالى وفريق جحد ،وكلا الطريقين لا يوصلان سالكهما إلى الطريق السليم .

ونلمسُ هذا الإستعمال للألفاظ النكرة ، في قوله (□) : ((ولا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحدٌ))[٦٩٢] ، فجاء بلفظة (أحد) نكرة ليحقق العموم في نفيهِ لهذا القياس لأنه قياس باطل ، فلا أحد من هذه الأمة التي هي أفضل الأمم يقاس بآل النبي (□) ، فكيف بالأمم الأخرى ، لذلك لجأ إلى إستعمال لفظة نكرةٍ كي يحقق النفي العام لهذه الحالة ، ولكي يعرض بمن دعتهُ نفسهُ أن يقيسها بأهل النبي (□) وكما نلحظ أمثالاً أخرى تحمل هذا النوع من الألفاظ النكرة في نهج البلاغة[٦٩٣] .

٤- الفصل والوصل :

وهو ((العلمُ بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيه والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى))[٦٩٤] وعدّ عبد القاهر الجرجاني معرفتها من أسرار البلاغة[٦٩٥] .

إذ يعتبر الفصل والوصل مبحثاً مهماً من مباحث علم البلاغة ، حتى لنجد أن العرب قد عدوا معرفة الفصل والوصل هي البلاغة ، فقد ذكر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) إنه ((قيل للفارسي : ما البلاغة؟ قال معرفة الفصل والوصل))[٦٩٦] ، فيما يعتبر عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) معرفة الفصل والوصل سبيلاً إلى معرفة سائر معاني البلاغة ، يقول ((بأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلا كمل لسائر معاني البلاغة))[٦٩٧] ، فيما عدّ السكاكي (ت٦٢٦ هـ) قصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل من قبيل التنبيه على

---

(692) شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٩ .
(693) ينظر : م . ن : ١/ ١٥٣ ، ١ /٨٦٥ ، ١ / ١٧١ ، ١٠ / ١٢٢ ، ١١ / ٨٢ ... وغيرها .
(694) دلائل الأعجاز : ٢٢٢ .
(695) م . ن : ٢٢٢ .
(696) البيان والتبيين : ١ / ١١١ .
(697) دلائل الأعجاز : ٢٢٢ .

غموض هذا الفن ، ((إذ أنها لمحك البلاغة ... وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى))[٦٩٨] .

فإذا كان هذا الفن بهذه المنزلة الرفيعة لدى علماء البلاغة ، فأنا نجد له مصاديق في أمثال الإمام علي (□) ومن ذلك قوله ((باع اليقين بشكهِ والعزيمة بوهنهِ))[٦٩٩] ، نلحظ في هذا المثل وصلاً بين الجملتين بوساطة حرف العطف (الواو) الذي أشرك الجملتين في الحكم الأعرابي لأنه ((ليس للواو معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الأعراب))[٧٠٠] .

والجملتان إشتركتا في أداء معنى مجازي واحدٍ منحتهُ لفظة (البيع) هذه الدلالة المجازية ، فهو في النص مبادلة بين اليقين والشك والعزيمة والوهن ، ولا يكون أشراك جملتين في حكم أعرابي حتى يكون هنالك معنى يقع ذلك الإشراك فيه[٧٠١] ، وهذا النوع من العطف هو ((عطف جملة حالها مع التي قبلها حال الإسم يكون غير الذي يتبعهُ إلا أن يشاركهُ في الحكم ويدخل معه في معنى))[٧٠٢] ويتجلى لنا الوصل في مثل آخر للإمام علي (□) يقول ((عالمها ملجم ، وجاهلها مكرّم))[٧٠٣] جاء هذا المثل في خطبة وصف فيها حال الأمة عند مجيء الإسلام ، فصور حال الناس ، ومنها صورة العالم ((أي من عرف صدق محمد (□) وآمن به عن تقيةٍ ، وجاهلها مكرّم ، أي من جحد نبوتهِ وكذبه فهو في عز ومنعة))[٧٠٤] ، فالوصل بين الجملتين في هذا المثل له مسوغ أسماهُ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) بـ ((معنى الجمع))[٧٠٥] الذي هو مبدأ مجوز للعطف معنوياً حين كان ممتنعاً

---

(698) مفتاح العلوم : ٢٤٩ .
(699) شرح نهج البلاغة : ١ / ٦٨ .
(700) دلائل الأعجاز : ٢٢٤ .
(701) دلائل الأعجاز: ٢٢٤ .
(702) م .ن : ٢٢٤ .
(703) شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٧ .
(704) م . ن : ١ / ٨٧ .
(705) دلائل الأعجاز : ٢٢٤ .

معيارياً ، أي ليس هناك حكم أعرابي يجمعهما أو القيد المجوز هنا أن يكون الخبران شبيهين أو نقيضين أو نظيرين[٧٠٦] ، ففي مثلنا هذا جاء الخبران نقيضان لأن العلم نقيض الجهل ، وهما مقترنان في ذهن المخاطب ، وهذا الإقتران هو صفة معنوية جمعتهما لذلك جاز العطف بين الجملتين .

وعلى وفق هذا المجوز أو المسوغ للعطف أي الوصل نجد مثلاً آخر للإمام علي (□) يقول فيه ((قلما أدبر شيء فأقبل))[٧٠٧] ، جاء هذا المثل في خطبة له لما بويع بالمدينة بالخلافة ، نلحظ في هذا المثل الوصل بين جملة (أقبل شيء) وجملة (أدبر) إذا تم وصلها بالفاء ، وهي أداة ربط تفيد الإشراك مع الترتيب ، وجاء هذا الوصل تلبيةٌ لحاجة السامع الذي أقترنت في ذهنهِ لفظتا (الإقبال والأدبارُ) بحيث إذا ما سمع أحداهما أوحت إليه بالأخرى وأن كان ذلك بعد زمن أي أن العطف قد راعى الزمن لذلك جاء العطف بالفاء دون غيرها من حروف العطف ، وأن الخبر الثاني جاء مضاداً للخبر الأول لذلك أقتضى العطف وفق معنى الجمع .

ومثلما وجدنا الوصل في أمثال الإمام علي (□) نجد الفصل متحققاً في بعضها ، ومن ذلك قوله:((الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك))[٧٠٨] .

في هذا المثل نجد فصلاً بين الجملتين الخبريتين ، وهذا الفصل ما كان ليحدث إلا بعد أن تحققت للنص مسوغات أوجبت الفصل ومنها :

إن نص المثل يوحي عند سماع الجملة الأولى منه سؤالاً ، تقديرهُ : فما هما ؟ . وهذا السؤال لابد له من إجابةٍ أستدعت الإستئناف في الكلام ، فقال (□) يوم لك ويوم عليك ، ((لأنه من دواعي فصل كلام عن كلام آخر سابق وجود سؤال مقدر غير متجلٍ في سطح

---

(706) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب - محمد خطابي - المركز لثقافي العربي – الطبعة الأولى – بيروت ، ١٩٩١م : ١٠٣ .

(707) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٥ .

(708) م . ن : ١٨ / ٣٢ . مجمع الأمثال : ٢ / ٤٥٤ .

الخطاب))[٧٠٩] ، فالسؤال يتطلب إجابة والإجابة هي إستئناف للكلام لذلك حدث الفصل بين الجملتين ، كما أن هنالك مسوغاً آخر للفصل ، وهو أن الجملة الثانية كانت بمثابة التفصيل للجملة الأولى .

ومن أمثال الإمام علي (□) الحكمية التي يظهر فيها الفصل قوله ((أمحض أخاك النصيحة : حسنة كانت أم قبيحة))[٧١٠] ، يقول أبن أبي الحديد ((ليس يعني (□) بقبيحة النصح الذي يستحق به الذم والعقاب ، وإنما يريدُ نافعة في العاجل كانت أو ضارة له في الأجل ، فعبر عن النصح والضرر بالحسن والقبيح كقوله تعالى □ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ □[٧١١]))[٧١٢] في هذا المثل فصلٌ بين الجملتين ، إذ أن الجملة الثانية كانت وصفاً للجملة الأولى وفي هذه الحالة يكون الفصل هو الواجب لأن ((كل جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف و التأكيد مع المؤكد ، فلا يكون فيها العطف البته ، لشبه العطف فيها لو عطف بعطف الشيء على نفسهِ))[٧١٣] ، لذلك جاءت الجملة الثانية منفصلة عن الأولى وذلك لحدوث كمال الإتصال بين الجملتين.

الفصل الثالث

القيم التصويرية والموسيقية في أمثال نهج البلاغة

---

[709] لسانيات النص : ١٠٩ .
[710] شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٦٠ .
[711] سورة الروم / الآية : ٣٦ .
[712] شرح نهج البلاغة ١٦ / ٦٤ .
[713] دلائل الأعجاز : ٢٤٣ .

المبحث الأول : القيم التصويرية .

الصورة لغة .

الصورة إصطلاحاً .

أهمية الصورة .

أساليب بناء الصورة في أمثال نهج البلاغة :-

أولاً : إسلوب التشبيه والوصف المباشر .

ثانياً : إسلوب تبادل المدركات :-

١– التجسيد .

٢ – التشخيص .

ثالثاً : إسلوب التقابل .

المبحث الثاني : القيم الموسيقية في أمثال نهج البلاغة.

روافد القيم الموسيقية :-

١. الجناس .

٢. السجع .

٣. الإزدواج .

٤. التكرار .

المبحث الأول :القيم التصويرية :

لم تكن أمثال نهج البلاغة إلا أمثالاً عربية صيغت بدقةٍ وحذقٍ تمثل في قدرتها على تصوير الحدث الذي ولدت فيه أو جاءت من خلالهِ ، فهي موضحة ومبينة ، وكاشفة بالصورةِ الحسية والعقليةِ من خلال الألفاظ المنتقاة والتراكيب المختارة ، ما كان خافياً ، مراعيةً السياق الذي أستدعاها ، وأثر في صياغتها .

فكانت صوراً قربت البعيد بتشبيهٍ دقيقٍ ، أو إستعارةٍ موفقةٍ أو كنايةٍ مصيبةٍ وتلك من مزايا الكلام الفصيح كما يقول عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) : ((وأعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين قسم تعزى المزية والحسنُ فيه الى اللفظ ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم ، فالقسم الأول: الكناية، والإستعارة والتمثيل الكائن على حد الإستعارة ، وكل ما كان فيه على الجملة مجاز وأتساع وعدول باللفظ عن الظاهر))[٧١٤] وهذه هي أسس بناء الصورة ، عليها تقوم ومن خلالها تتضح ، فهي عندما تصف تبلغُ في الوصف ، مانحة التركيب قدرةً على الإيحاءِ ومورثةً في النفس دلالة على رمز أو تلويحاً إلى معنى ، لما أوغلت في شعاب المعاني ، تكشف عن مكنونها ، وتفضحُ مستورها ، متخذةً قدرتها على إثارة الأحاسيس هدفاً يوفر جمالاً في الأداء ، ومتعة تثير في نفس المتلقي قابلية المشاركة ولذة الإكتشاف ، فما هي الصورة ؟ .

الصورة : لغةً : ((هي من صور فتصور ، وتصورتُ الشيء ولا أتصور ما تقول ، ومن المجاز هو يصور معروفه إلى الناس))[٧١٥] وإن من تصرفات (صور) المصور

---

(714) دلائل الأعجاز : ٢٧٩ .
(715) أساس البلاغة : ٢ / ٣١٠ .

وهو من أسماء الله الحسنى ((وهو الذي صور جميع المخلوقات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة منفردة ، يتميز بها على إختلافها وكثرتها))[٧١٦] .

وقد يأتي معنى الصورة لتدل على ((الشكل والهيئة والحقيقة والصفة والنوع))[٧١٧] ، وهذه الدلالات تكاد لا تخفي ما لحسن الصورة من أثر في معناها ، فقد نقل عن الفراء (ت ٢٠٧هـ) إنه قال ((رجل صيّر شيّر أي حسن الصورة والشارة))[٧١٨] .

ومما سبق يمكن أن نستشف أن الصورة تعني الهيئة أو الشكل بما قد يحملان من حسن وجمال أو يكونان مجردين منهما .

الصورة إصطلاحاً : مر مصطلح الصورة في التراث العربي بمراحل عديدة وأكتسب فيها جزءاً من معناه الذي صار إليه ، فالصورة عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تردُ في معرض حديثه عن الشعر حين عدّ الشعر ((صناعةٌ وضربٌ من النسيج وجنسٌ من التصوير))[٧١٩] ، فهو يعتمدُ في نظرتهِ الى الشعر على التصوير والصياغة ليميز بين الجودة ونقيضها ، ولقد ساير أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) أقوال الجاحظ ، فهو يؤكد أن ((ليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً ولا يقتنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناهُ من نعوتهِ التي تقدمت))[٧٢٠] وهي نعوت الجاحظ التي ذكرها .

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فقد تحدث عن الصورة بشكل أدق وأوسع إذ أستطاع أن يقترب من صياغة المصطلح الدقيق لها ، فهو يذكر من سبقوه فيقول ليس

---

(716) لسان العرب - مادة (صور) : ٢ / ٤٩١ .
(717) تاج العروس - مادة (صور) : ٧ / ١١٠ .
(718) لسان العرب - ماد ة(صور) : ٢ / ٤٩١ .
(719) الحيوان - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون – مطبعة عيسى البابي الحلبي – مصر – ط١ ، ١٩٤٥م : ٣ / ١٣٢ .
(720) الصناعتين : ١٣ .

العبارة عن ذلك بالصورة في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ :((إنما الشعر صناعة وضربٌ من التصويرِ)) ويضيف إلى ذلك ((وأعلم أن قولنا الصورة ، إنما تمثيل وقياس لما نعلمهُ بعقولنا على الذي نراهُ بأبصارنا ، ولما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة ، فكان بين إنسان وإنسان ، وفرس من فرس مخصوصة في صورة ذلك وكذلك كان الأمر في المصوغات ، وكان بين خاتم وخاتم وسوارٍ عن سوارٍ))[٧٢١] فالصورة عندهُ تمثيلٌ وقياس ولا يحدث ذلك إلا من خلال الإدراك ، إذ أن الصورة شيءٌ له كيانه الخاص به الذي أستمد عناصر وجودهِ من التمثيل والقياس ، وإن له في المواقع حقيقة وفي الذهن دلالة مفهومة .

أما عند حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) فهو ما نستخلصه من قولهِ ((أن محصول الأقاويل الشعرية تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود ، وتمثيلها في الأذهان))[٧٢٢] يستدلُ من هذا على أن قيمة الشعر تكمن في تصوير يلتقط من الوجود ويتمثل في الذهن والمخيلة ، وهذا ما يترك تأثيراً نفسياً في المتلقي .

وقد ظلت هذه الأقوال والآراء التي قيلت في الصورة تتأرج بين التأصيل والتدقيق ولم تعتمد الصورة وسيلة في فهم النص الأدبي وتحليله .

أما دراسات العرب المحدثين عن الصورة فقد كانت تعتمدُ كثيراً على ما توصلت إليه الدراسات الغربية في مجال الصورة الشعرية ، وما ظهرت من تعريفات للصورة في كتب النقد الأدبي الحديث فهي تختلف بإختلاف وجهات نظر قائليها ، وتنوع المذاهب التي سايروها ، فمنهم من يرى إن الصورة تستعمل ((للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي ، وتطلق أحياناً مرادفة للأستعمال الإستعاري للكلمات))[٧٢٣] ، فيما نظر آخر الى

---

[721] دلائل الأعجاز : ٣٣ .

[722] منهاج البلغاء وسراج الأدباء - أبو الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) ، تحقيق محمد الحبيب خوجه – المطبعة الرسمية – تونس ، ١٩٦٦م : ١٢٠ .

[723] الصورة الفنية معياراً نقدياً : ١٣٣ .

الصورة على إنها ((كل محاولة يحاولها الشاعر في أبراز معنى أو حدث سواءٌ أكان ذلك عن طريق الإستعارة أو التشبيه أو الحديث المطال ، أو غير ذلك من وسائل الإبانة عن أمر من الأمور على وجهٍ من وجوه القول))[٧٢٤] .

ومهما أختلفت تعريفات الصورة ، تظل الصورة عبارة عن ((تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي وعاطفي متخيل لعلاقة بين شيئين يمكن تصويرهما ، إما عن طريق المشابهة أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل))[٧٢٥] .

وأرى إن هذا التعريف قادرٌ على أن يكون منهجاً صالحاً لدراسة الصورة في أمثال نهج البلاغة، ولكن قبل أن نبدأ بدراسة الصورة في المثل لا بد لنا من أن نعرف ما للصورة من أهمية وأين تكمن تلك الأهمية .

أهمية الصورة :

لما كان الكاتبُ أو الشاعرُ مهتماً بإيصال أفكارهِ ومعانيه وأنفعالاته الى المتلقي وجب أن يثير فيه أحساساً ما أتجاه ما يقول ويكتب ، وهذا الإحساس لا يتم إلا بإثارة أحد الحواس لديه ، لذلك لجأ الى الصورة كونها أثراً خلقهُ الإحساس على نحو ما يمكن تفسيرهُ[٧٢٦] وتؤدي هذا الغرض على أحسن وجه ، فهي القادرةُ على أيقاظ الإحساس بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وتقديم الفكرة من خلال إيحاء وتركيز بهدف التأثير ولا يتحقق هذا التأثير والنجاح للصورة إلا من خلال ((قدرة الكاتب على إستيعاب الموضوع أو الموقف الذي يعالجهُ بدقةٍ وحيويةٍ))[٧٢٧] ، تجعل من المتلقي مشاركاً في أنتاج هذا التأثير ومتفاعلاً معهُ ، إذ إن ((فاعلية الصورة تكمن أساساً في تمثيلها للإحساس))[٧٢٨] .

---

[724] أبو تمام حياته وحياة شعره - نجيب البهيتي – دار الفكر - ١٩٧٠م : ٢٢٧ .

[725] الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة - د. صالح أبو أصبع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت – الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م: ٣١ .

[726] ينظر : مبادئ النقد الأدبي - ريتشاردز : ٦٥ .

[727] الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة : ٣٢ .

[728] نظرية الأدب - أوستين وارين - ترجمة محي الدين صبحي – دمشق ، ١٩٧٢م : ٢٤١.

كما أن للصورة أهمية أخرى تتجلى في قدرتها على أثراء اللغة ، إذ تعد ((من أهم المصادر التي تقف ببراعة عاملاً نشطاً في أثراء اللغة))[٧٢٩] ، لأن اللغة في النص الأدبي، لغة مبدعة ، تلجأ الى شحن الكلمات بطاقات تعبيرية وإيحائية لا تمتلكها وهي في المعاجم .

يضاف إلى ذلك أن أهمية الصورة تحدد من خلال السياق الذي ترد فيه ، فلا يمكن فهمها إلا من خلال أدراك معطيات السياق ((لأن الصورة جزء من عملية الخلق الفني وينبغي أن تحلل في إطاره))[٧٣٠] فلا يمكن التوصل الى الدلالة التي جاءت بها الصورة إلا من خلال السياق الذي وردت فيه ((لأن مهمتها الدقيقة هي كشف وتنوع العمل الأدبي من حيث هو كل من خلال ثرائها في المدلول وترابط هذا المدلول بسائر الجوانب))[٧٣١] .

ولذلك سندرس الأمثال وفق السياق الذي جاءت به ، كما أننا قد نضطر أن نكرر بعض الأمثال لأنها تصلحُ أن تكون شاهداً على ظواهر فنية ، نحاول كشفها وإيضاحها وبيان أساليب بناء الصورة فيها .

أساليب بناء الصورة في أمثال نهج البلاغة :

من خلال البحث في أمثال نهج البلاغة ، ودراسة الصور التي وردت فيها ، وجدنا أن الصورة في هذه الأمثال قد جاءت على أساليب عديدة هي :

أولاً : إسلوب التشبيه والوصف المباشر :

يعدُ التشبيه واحداً من الأساليب البلاغية التي عرفها الأدب العربي ، وكثر إستعماله وتداولهُ ، حتى قال عنه المبرد (ت ٢٨٦هـ) : ((إن التشبيه جارٍ كثيراً في الكلام ، أعني كلام العرب ، حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد))[٧٣٢] وكثرة إستعمالهم للتشبيه ،

---

[729] شعر الشريف الرضي – الفن والإبداع – د.حافظ المنصوري– ط١– النجف الأشرف،٢٠٠٧م :٩٤.

[730] الصورة الشعرية - كمال أبو ديب - بحث - مجلة مواقف – بيروت ، العدد ٢٧ سنة ١٩٧٤م.

[731] مشكلة المعنى في النقد االحديث - د. مصطفى ناصيف - القاهرة ، ١٩٦٥م : ٨٨ .

[732] الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف-: الإمام أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تحقيق أحمد محمود شاكر – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط١ – مصر ، ١٩٣٧م :٣ / ٨١٨ .

قادهم الى وضع حدٍ جامعٍ مانعٍ له ، يقول الرماني (ت٣٨٦هـ) : ((التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسدُّ مسد الآخر في حسٍ أو عقلٍ ، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو النفس))[٧٣٣] ، ويبدو أن التعريف قد أستنفذ جوانب التشبيه كلها ، وأستطاع أن يقدم لنا تعريفاً دقيقاً له ((إذ أبان فيه الإلتقاء بين المشبه والمشبه بهِ في العقل والحس وهما اللذان يحكمان في المشاركة بين الشيئين في أمر ما، وهذا التشبيه أما أن تدل عليه دلائل قولية أو إيماءات نفسية))[٧٣٤] .

كما أن مفهوم التشبيه عند البلاغيين العرب يعتمدُ على المقارنة بين الأشياء ويتم ذلك من خلال الربط والجمع بأداة ((هذه الأداة تبقى الحد الفاصل بين الطرفين يمنع من إتحادهما أو تخييل أن أحدهما هو الآخر))[٧٣٥] ، وقد تكون أداة الربط (أداة التشبيه) ظاهرة أو مقدرة ، كما في التشبيه البليغ حيث لا نجد للأداة مظهراً في التركيب فهي محذوفة لفظاً ((أما من حيث المعنى فهي مقدرة مضمرة))[٧٣٦] وإنما تحذف من أجل أغراض يتطلبها السياق أو رغبة من المنشئ في المبالغة .

ومهما أختلفت طرق التشبيه ومظاهرهِ يظل التشبيه متصدراً أساليب بناء الصورة في أمثال الإمام علي (□) إذ يلجأ إليه عندما يريد أن يحقق غرضاً ما ، لا يتم كمال بيانه إلا بهذا الأسلوب ، وبكل أشكاله المعروفة كتشبيه بليغ أو ضمني أو تمثيلي .

ومن هذه الأمثال التي أتخذت أسلوب التشبيه طريقة لتقديم الصورة الفنية قولهُ (□) يصف الناس وهم يبايعونهُ بالخلافة في المدينة المنورة : ((فما راعني إلا والناسُ مُجتَمِعِينَ حولي كَرِبيضَة الغَنَمِ))[٧٣٧] ، في هذا المثل نلمسُ صورة حسية أستطاعت أن تنقل لنا حالة

---

(733) النكت في أعجاز القرآن : ٧٤ .

(734) أصول البيان العربي – رؤية بلاغية معاصرة - د. محمد حسين الصغير – دار الشؤون الثقافية – بغداد ، ١٩٨٦م : ٦٢

(735) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية - مجيد عبد الحميد ناجي – ط١–١٩٨٤م – بيروت : ١٩٢.

(736) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : ١٩٤.

(737) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٢٦ .

الناس ، حين شبههم بأستعمال أداة التشبيه (الكاف) بـ (ربيضة الغنم) وهي صورة من الواقع الذي يعيشونه ويلمسونه كل يوم ، فالصورة تمتلك حضوراً لدى المتلقي ، وليست ببعيدة عن واقعهِ ، ولقد عمد الى هذا التشبيه لغرض المبالغة في إزدحامهم ((فالتشبيه لا يعمد إليه إلا لضربٍ من المبالغة ، فإما أن يكون مدحاً أ ذماً ، أو إيضاحاً ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة))[٧٣٨] وهذه الصورة التشبيهية ، تبدو ملائمةٍ للخطابِ ومنسجمة معه ، لأنها حملت عنصراً مهماً ألا أنه صدقه في الوصفِ "وكلما كان التشبيه صادقاً في التعبير عن المشاعر الوجدانية ، ومتفاعلاً معها، كان متمكناً من التأثير في المتلقي ، وهذا ما يسعى إليه المثل في النص الأدبي ، لأنه بؤرة الضوء الساطعة ، التي قد تجمعت حولها روافد الفكرة وتشعباتها ، ليتحقق قصدهُ ومرادهُ من الإتيان بالصورة التشبيهية المنتقاة القادرة على إيصال الفكرة وتوضيحها بأسهل الطرق وأيسرها.

ونلمس الصورة التشبيهية مرة أخرى في مثل الإمام علي (□) حين يصف لنا ذيل الطاووس بقوله ((كأنهُ قلع داريٌّ عنجهُ نوتيه))[٧٣٩] إذ جاءت الصورة التشبيهية ، وهي صورة حسية بإستعمال أداة التشبيه (كأن) التي توحي ببقاء الحدود بين المشبه والمشبه به متلاصقة ، كما أنها تحملُ صفة التوكيد لأنها مكونة من (كاف) التشبيه و(إن) المؤكدةِ ، وإن استعمال هذا الأسلوب هو ((أقدر على تحقيق عمق أكبر للصورة من الصورة الموضوعة وضع غير مؤكد))[٧٤٠] ونلحظ في هذا التشبيه صورة قد جمعت صوراً عديدة فهي مركبة من مجموع صور : الشراع ، وحامل العطر ، وحركة ربان السفينة ، إجتمعت كلها لتؤدي لنا مشهداً صورياً ، فهو تشبيهٍ تمثيلي ، إستطاع أن ينقل لنا صورة ذيل الطاووس وهو ينشرهُ ، وهذه تعد لقطة ذكية لمصور بارع ، إستطاع أن يقرن صورة ذيل

---

(738) المثل السائر : ١ / ٣٨١ .

(739) شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٥٧ . والقلع : هو الشراع ، والداري : هو جالب العطر من داريـن وهي فرضة من البحرين فيها سـوق يحمل إليـها المـسك من الهند ، والنوتي : الملاح ، و عنجهُ : عطفهُ . ينظـر : النهايـة في غـريب الأثر : ٢ / ١٤٠ .

(740) ينظر الصورة الفنية في شعر أبي تمام ـ د. عبد القادر الرباعي ، أربد – الأردن ، ١٩٨٠م : ١٦٥ .

الطاووس بهذه الصورة المركبة التي رسمها ولونها ، حين جمع صوراً متفرقة في لوحة فنية واحدة ، تزدهي بالألوان فهي قريبة من ألوان ذيل الطاووس ، إستطاعت أن تجمع ((عن طريق حشد الصور التي بمجموعها تشكل صورة كلية ، ويتم هذا الحشد عن طريق التشبيه المركب))[٧٤١] ، وهذا ما وجدناه متحققاً في هذه الصورة التي تميزت بتعدد الصفات المشتركة بين طرفيها ، وإحتفظت بتمايزها عن بعضها ، لأن الصورة التشبيهية هي ((نتيجة لأشياءٍ ألفت وقرن بعضها الى بعض ، ونزل بعضها منزلة بعض))[٧٤٢] فهي تلتقي في أشياء وتفترق في أشياء أخرى ، وهذا هو حكم التشبيه ، إذ ان من شروطه ((أن يكون جامعاً بين الإتفاق التام والأختلاف التام وبالجمع بين هذين يتحقق معنى الحُسن والإبداع والسحر والخلابة))[٧٤٣] .

ولما كان التشبيه قد يأتي بأشكال متعددة منها التشبيه البليغ ((الذي هو أعلى أقسام التشبيه في القيمة البيانية ، لإشتمالهِ على دعوى الإتحاد بين الطرفين (مؤكد) وعلى دعوى عموم الإشتراك بينهما [مجمل]))[٧٤٤] وعلى هذا الشكل من التشبيه ورد قوله (□) واصفاً أهليته للحكم ولقيادة الأمة الإسلامية ، مصوراً حالهُ منها بحال قطب الرحى ، ولكي يتحقق هذا المعنى جاء بالتشبيه البليغ الذي تظهرُ قوة الصلة بين الطرفين ، فهو الضرب الصميم الخالص من التشبيه[٧٤٥]، وما كان كذلك إلا وفاءاً بحق المبالغة في الإتحاد بين المشبه والمشبه بهِ ، حتى عدت هذه الصلة القوية مدعاة لنعته بالإستعارة ، يقول حازم القرطاجني (ت ٨١٤هـ) ((والتشبيه بغير حرف شبه بالإستعارة في بعض المواضع ، والفرق بينهما أن الإستعارة وأن فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لا يسوغ فيها ، والتشبيه بغير

---

(741) ينظر : الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة : ٦٣ .
(742) أسرار البلاغة : ٩٠.
(743) فن التشبيه – علي الجندي – مكتبة الآنجلو المصرية – مطبعة الرسالة (د.ت) : ٣/ ٨ .
(744) التشبيه البليغ - هل يرقى إلى درجة المجاز - د. عبد العظيم أبراهيم المطعني – دار الأنصار– القاهرة ، ١٩٨٠م : ٧ .
(745) التشبيه البليغ : ٨٩ .

حرف على خلاف ذلك ، فتقدير حرف التشبيه واجب فيه))[٧٤٦] ، ففي الصورة التشبيهية التي حملها قوله ((أن محلي منها محل القطب من الرحى))[٧٤٧] تتحقق الصورة الحسية التي أعتمدت أحساس البصر فهي صورة بصرية ، يعرفها المتلقي ، ولا تحتاج الى عناء كثير في فهم مدلولها .

كما أن الصورة هذه ((إستطاعت أن تجمع في هذا التشبيه أنواع الشبه الموجودة في كلام العرب فهي :

١- تشبيه محله بمحل القطب من الرحى وهو تشبيه المعقول بالمعقول فأن محل القطب هو كونه نظام أحوال الرحى وذلك أمر معقول .

٢- تشبيه نفسهُ بالقطب وهو تشبيه محسوس بمحسوس .

٣- تشبيه الخلافة بالرحى وهو تشبيه المعقول بالمحسوس))[٧٤٨].

فمجموع هذه التشبيهات ولدت لنا صورة حسية ملتقطة من الواقع الإجتماعي وهي معروفة لدى المتلقي وقادرة على نقل المعنى وإيضاحهِ ، والذي نلحظه في هذه الصور التي أعتمدت أسلوب التشبيه ، أنها كانت صوراً حسية ، جعلها منشأها مناسبة لأدراك المتلقي ، فهي مستمدة من واقعهِ وبيئتهِ وغير بعيدة عن إدراكهِ وهذا ما أشترطهُ البلاغيون حين أوجبوا أن العلاقة بين المشبه والمشبه به علاقة تناسب الإدراك ، لأنه تقويم للتشبيه من الولوج في باب الإيغال والإبهام[٧٤٩] .

لذلك لا نرى صورأمثال الإمام علي (□) بعيدة عن أدراك المتلقي ، فهي منسجمة مع حال المخاطبين قريبة من فهمهم وتصورهم .

---

(746) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٣٨٦ .
(747) شرح نهج البلاغة : ١ / ٩٦ .
(748) شرح نهج البلاغة - كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) : ١ / ٣١٤ .
(749) ينظر : أصول البيان العربي - د. الصغير : ٦٧ .

ومن الصور التي جاءت على أسلوب التشبيه قوله (□) واصفاً مبعث النبي (□) إلى هذه الأمة ودورهُ في إنارة الطريق وإبانة الحق قائلاً ((لقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة))[٧٥٠] فالصورة التي تطالعنا صورة تشبيهية أعتمدت أسلوب التشبيه القائم على تشبيه المعقول بالمحسوس ((فقد شبه الأمر وهو معقول بمحسوس وهو المصدر المبين لنوعهِ [فلق الخرزة] وإن من محاسن التشبيه أن يجيء مصدرياً))[٧٥١] فالصورة التي جاء بها المثل صورة من واقع معاشٍ يعرفه العربي وهي قادرة الى توضيح الفكرة التي حملها لأن (فلق الخرزة) يعني كشف المستور من الأمر ، فعندما تفلق يعرف ما بداخلها ويتكشف الإبهام ، وهو ما قام به الإسلام حين أوضح الطريق وكشف الإبهام الذي كان يغلف عقول الناس وبصائرهم .

وليس خافياً أن هذه الصورة التشبيهية صورة حملها المثل ((وأساس المثل التشبيه أياً كانت الصورة التي جاء عليها ، سواءٌ جاء في صورة تشبيه أم في صورة إستعارة أم في صورة كناية، أم جاء في صورة الحقيقة ، ففي كل هذه الصور يتضمن المثل تشبيه مضربه بموردهِ))[٧٥٢] فالتشبيه الذي أستندت إليه الصورة كان موفقاً وملائماً لأدراك المتلقي ، كما أن وجه الشبه بين طرفي التشبيه ، كان صالحاً للربط بين طرفي الصورة التشبيهية، وهذا ما يزيد من دقة الصورة وقدرتها على إيصال المعنى المقصود .

كما نلمس في أمثال الإمام علي (□) الحكمية صوراً تشبيهية ، ومن ذلك قوله ((كن في الفتنة كأبن اللبون ، لا ظهر فيُركب ولا ضرع فيُحلب))[٧٥٣] ، نلحظ في هذا المثل صورة تشبيهية ، حسية، أخذت من صور الواقع البيئي ، فالمشبه به (أبن اللبون) وهو ولد الناقة التي يدر ضرعها باللبن ، وقد أراد انه لايركب لصغره ، إذ لا ضرع متوافر لديه

---

(750) شرح نهج البلاغة : ٧ / ١١٣ .
(751) المثل السائر : ١/ ٣٧٩ .
(752) الأمثال العربية - دراسة تأريخية تحليلية : ٢٦٣ .
(753) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ٨٢.

والتشبيه يأتي من هذا الطرف ، يقول ابن ابي الحديد ((ابن اللبون لايكون قد كمل وقوي ظهره على ان يركب وليس بأنثى ذات ضرع فهو مطرّح لاينتفع به))[٧٥٤] ولا يخفى أن المثل قد جاء مصاغاً بأسلوب أنشائي ، أستطاع أن ينقل لنا قوة الإحساس وشدة الأنفعال من خلال الأمرالصادر الذي وفره الفعل (كن) والذي يخفي وراءه شعوراً حاداً ، وإحساسا قوياً ، لأن الصياغة الإنشائية للمثل توفر له هذه الصفات فالصورة بما قدمته من معان التشابه والأشتراك في الصفات ،قد جعلت المتلقي يشعر بأن الوصف المشترك متحقق في المشبه مثل قوة تحققه في المشبه به ، وهذا ما يقرر المعنى في نفس المتلقي ويحقق المبالغة فيه[٧٥٥] .

ويظل أسلوب التشبيه الذي قدم لنا صوراً حسية بأنواعها نلمسهُ في أمثال أخرى للإمام علي(□) في نهج البلاغة[٧٥٦] .

ولم يقتصر ظهور الصورة على طريقة التشبيه ، وإنما للوصف دورٌ في إيجاد الصورة ، فالوصف هو : ((رسم الصورة بطريقة مباشرة مع الإحتفاظ بقدرٍ ما من الإيحاء يمنع الحرفية المحتملة فيه))[٧٥٧] فمن أمثال الإمام علي (□) التي جاءت بصيغة الوصف المباشر قوله ((العالم من عرف قدرهُ))[٧٥٨] في هذا المثل نجد أن العالم قد عُرف ووصف بأنه ((الذي عرف نفسه)) لأنه (□) وجد أن أفضل صفة للعالم يمكن لها أن تدل عليه دلالة لا لبس فيها فكأنها صورتهُ التي يُعرف بها ، وتعبر عنه خير تعبير هو كونه قد عرف نفسهُ ، لأن من عرف نفسه أستطاع أن يقوّم أعماله ويوازن أفعاله فهو عالم بما يحدث له ، لأنه أمتلك القدرة على معرفة حدودهِ ، وما يستطيع أن يقولهُ ويفعلهُ ، فهو متقيد بها ، وهي

---

(754) م . ن : ١٨ / ٨٢.
(755) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية :١٩٣.
(756) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١/ ٥٧ ، ١ / ١٠٢ ، ١ / ١٢٦ ، ١ / ١٥٣ ،١ / ١٦٥ ، ١ / ١٧١ ، ٢ / ١٦٦ ، ٣ / ٧١ ، ٣ / ١١٤ ، ٧ / ١٦٨ ، ٨ / ١٥٥ ، ٩ / ٩٣ ، ١٠ / ١٠٢ ، ١٦ / ٩٤ ، ١٦ / ٩٨ ، ١٦ / ١٠٣ ، ١٨ / ١٠١ ، ١٩ / ٦٨ ... وغيرها
(757) الصورة الفنية في شعر أبي تمام : ١٦ .
(758) شرح نهج البلاغة : ٧ / ٦٤ .

صفة له ، تلبسها وسار على وفق متطلباتها ، فكأنه قد أحاط نفسهِ بحدودٍ ، وسورها بإطار فهي صورتهُ التي أستندت على هذه المعرفة ، وأتسمت بالصفات التي وفرتها إمكاناتهُ وقدراتهُ ، فالصورة المبنية على الوصف ، صورة يتخيلها المتلقي لأنه أستطاع أن يجد حدودها وأن يعرف إطارها ، وتبيين ملامحها .

ومن أمثال الإمام (□) التي إعتمدت الوصف طريقة للصورة ، وأسلوباً في أنشائها قوله ((الشقي من أنخدع لهواهِ وغرورهِ))[٧٥٩] ، يقدم لنا هذا المثل صورة تصف حال الشقي ، تعرضها أفعالهُ التي تدل عليه ، دلالة واضحة لا لبس فيها فهو قد عرفه الناس فهو المتهور الذي لا يرعوي ، ولا يقيم وزناً أو إعتبار لأية قيمة إجتماعية ، هذه الصورة صورة عامة وهي وصف يصلح لأن يصف به الشقي ، لأنه أنخدع وأضاع نفسه وخسر دنياه ودينهِ ، وتلك صفة الشقي ، وهي ميزتهُ التي ميزته من غيرهِ .

وعلى وفق هذا الأسلوب في بناء الصورة نجد أمثالاً كثيرة في نهج البلاغة[٧٦٠] .

ثانياً : إسلوب تبادل المدركات :

يعتمد هذا الإسلوب على عملية تبادل صفات الماديات للمعنويات أو العكس ويتم ذلك على وفق أساليب هي :-

١- إسلوب التجسيد : في هذا الإسلوب يتم خلع الصفات المحسوسة على المعنويات أي إن ((الصورة تقدم فكرة أو خاطرة عن طريق أحساس مجسد))[٧٦١] وأن هذا الأسلوب بإستطاعتهِ إستثمار ما توفرهُ الأساليب البلاغية من قدرة على نقل المعاني وتصويرها ، قدرةٌ تستطيع أن تأتي بصورة مجسدة عن طريق الإستعارة أو الكناية أو المجاز ، ومن أمثلة ذلك ما وفرتهُ لنا الإستعارة من صورة مجسدة نلتمسها في قوله (□) واصفاً نبي الله

---

(759) شرح نهج البلاغة : ٦ / ٢١٥ .

(760) ينظر : م . ن : ١ / ١٦٦ ، ٢ / ٦٧ ، ١٠ /١٢٢ ، ١٨ / ٣٥ ، ١٨ / ٧٣ ، ١٨ / ٩٨ ، ١٨ / ١٠١ ... وغيرها .

(761) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة : ٤٤ .

آدم (□) بأنـه ((بـاع اليقين بـشكه والعزيمـة بوهنـهِ))[٧٦٢] ، ففـي هـذا المثـل نلحـظ صـورةٌ مجسدة حققتهـا لنـا الإستعارة ، عنـدما أستعار لفظـة (البيـع) لليقين ، دلـت علـى مبادلـة بـين اليقين والشك وكذلك فعل (بالعزيمة) فبادلها بـ (الوهن) فالصورة المجسدة هذه قد جعلت اليقين شيئاً مادياً يباع ويشترى ، عندما أضفى صفة ماديـة علـى مفهوم معنـوي ، فقد شبه اليقين بمادة تباع ، والبيع لازمة من لوازم المشبه به ولكي يخلق لنا صورة لجأ الـى حذف المشبه به وأبقـى لازمـة من لوازمـه وهـي البيـع ((وأن حـذف المشبه بـه وإبقـاء لازمـة من لوازمه أو إضافة هذا اللازم الى المشبه به في التعبير الأدبي عمليـة لغويـة وفنيـة ترسم لنـا صورة مجسمة))[٧٦٣] تجسد فيها اليقين المعنـوي محسوساً ماديـاً لـدينا فهـو صـورة مدركـة بالحواس ، وبذلك أستطاع ها الأسلوب أن يوفر للمعنى إيضاحاً وتقريباً وتأكيداً حين أشرك الحواس في إدراكهِ .

ومن أمثلة الصورة المجسدة التي جاءت بها أمثال الإمام علي (□) قوله ((لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت))[٧٦٤] واصفاً ومصوراً من تصدى للحكم وهو غير مؤهل لذلك، ولكي يعطينا صورة مجسدة فقد أستعار لفظة (اللبس) وهي للمادي المحسوس إلى المعنوي (الشبهات) فصورها وكأنها لباسٌ يلبس ، أي إنه خلع عليها صفة من صفات المادة ، فخلق بذلك صورة مجسدة للناظر ، ثم عضد هذه الصورة بتشبيه يدلُ على الوهن والضعف (أنه نسيج العنكبوت) فأجتمع بذلك المعنوي أي جسدهُ أمران : الأول : جعل (الشبهات) لباس يلبس ، فهو مادي ، والثاني : وصف لنا فيه نوع اللباس فهو واهن ضعيف إذ □ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ

---

(762) شرح نهج البلاغة : ١ / ٦٨ .
(763) الصورة الفنية في البيان العربي : ٣٣٩ .
(764) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧١ .

□[٧٦٥] ، ومجموع هذين الأمرين قد ولد لنا صورة مجسدة أستطاعت أن تصور حالة هذا المتصدي للحكم وليس لديه أهلية لذلك ، فالصورة أستطاعت أن تمنح النص دلالة أعمق وأن تقرب صورتهُ لصورة يعرفها المتلقي فهي صورة واقعية ، وهي صورة مخزونة في مورثهُ الثقافي ، تحمل دلالات قد تمكنت من نفس المتلقي ، لأنها دلالات قرآنية ، فاللفظة أوحت بالآية الكريمة ، وفي ذلك تأكيد للمعنى وإيضاح وكشفُ إبانتهُ وتبصيرٌ حققتهُ .

ونراهُ (□) في مثل آخر أوردهُ وهو يصف من تصدى للحكم وليس أهلاً له . يصور العلم وهو مفهوم معنوي مادةً يمكن أن يعض عليها بالضرس القاطع خوفاً عليها من الضياع لأهميتها، فيقول واصفاً ذلك العاجز بأنه ((لم يعض على العلم بضرس قاطع))[٧٦٦] ، فأستعار لفظة (يعض) والتي توحي بأهمية الشيء والحرص عليه إذ تدل على عمل محسوس يحدث تأثيراً في مادة ، ثم إنه أكد هذه الصورة بالكناية التي وفرتها لنا لفظة (الضرس القاطع) ((إذ كنى به عن خفة الوطأة في العلم وعدم القدرة على إكمال أصوله وفروعه وهي كناية لطيفة))[٧٦٧] فهذه الكناية والإستعارة التي حملها التركيب اللغوي للمثل قد أعطت صورة مجسدة ذات تأثير في المتلقي الذي أدرك من خلالها ما أهمية العلم ، وهذا ما أراد المثل إيصالهِ وإيضاح معناهُ الذي إستدعاهُ النص بما سبق له أن مثل لهذا المتصدي للحكم من وهن ومن عجز وضلالة .

وفي مثل آخر للإمام علي (□) نجد هذا التجسيد واضحاً فهو يصور لنا من كثر كلامهم وقل فعلهم ومخاطباً هؤلاء بأن ((كلامكم يوهي الصم الصلاب))[٧٦٨] فجعل للكلام قوة مادية بإستطاعتها أن توهي الصم الصلاب ، فالكلام الذي امتلك هذه القوة والقدرة ، فهو مادي قد تجسد بعد أن جاء في هذا التركيب اللغوي لتصور لنا صورة مجسدة ، فبهذه

---

(765) سورة العنكبوت الآية : ٤١ .
(766) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧١ .
(767) الطراز : ١٩٤ .
(768) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٦٧ .

الإستعارة الموفقة خلق لنا صورة جسدت الكلام ، وبذلك أستطاع أن يكون التجسد هنا أسلوباً من أساليب بناء الصورة .

وفي مثل آخر نجد أن الكلام وهو المفهوم المعنوي قد أصبح مادة تقاس وتكال وتوزن حيث يوجد لها وعاء يضمها ، يقول الإمام علي (□) واصفاً عجز من يخاطبهم وضعف قدرتهم على إستيعاب العلم الذي لديه ومبيناً قدرتهُ على منح العلم بالقول ((كيلاً بغير ثمن لو كان لو وعاء))[٧٦٩] أي أنه (□) قادر على أن يكيل العلم كيلاً ولا يطلب لهذا الكيل ثمناً غير طلبهُ لوعاءٍ يتسعُ لهذا العلم وأنى أن يجدُ هذا الوعاء.!

لقد وفر لنا هذا المثل صورة مجسدة حين صار العلم مادة تكال وتوزن ، وهذه الصورة نقلت المفهوم المعنوي (العلم) الى صورة مادية هي التي تجسدت بالوزن والمكيال .

كما أنه(□) عندما يصور لنا ((الفرق بين الحق والباطل ، وهما مفهومان معنويان يلجأ الى تجسيدهما حين يدل عليهما بأشياء مادية يمكن أن تدرك وتحس ، فهما [عين] تدل على الحق، [وأذن] تدل على الباطل وما بينهما شيء محسوس وهو المسافة المقدرة لـ [أربع أصابع]))[٧٧٠] ، فالصورة التي جاء بها المثل حملتها هذه الألفاظ وأوحت بمعانيها التي قصدها ، فالحق وهو المفهوم المجرد أصبح (عين) وكذلك الباطل ، قد صار في هذه الصورة (الأذن) فالصورة تمتد على مسافة أربع أصابع ، صورة محسوسة متحركة ، أستطاعت أن تؤدي المعنى الذي حملتهُ بأوضح دلالة وأسطع صورة ، لأن أسلوب التجسيد الذي وفرتهُ لنا الإستعارة والكناية يعدُ من أبرز صور البيان العربي ((لأنه قد يجمع المتخالفين ويوفق بين الأضداد ويكشف عن إيحائية جديدة في التعبير ، لا يحسُ بها السامع

---

(769) م . ن : ٦ / ٧٩ .
(770) شرح نهج البلاغة : ٩ / ٤٥ .

في الإستعمال الحقيقي))[٧٧١] في حين أستطاعت الإستعارة الموفقة أن توفر لنا صورة جميلة قادرة على حمل المعنى وأدائهِ بأفضل وسيلة ألا أنها تجسيد للمعنويات حين منحتها صفات مادية محسوسة هي أكثر تأثيراً في وعي المتلقي وإدراكه ، وهي القادرة على إيقاظ شعوره وإثارة إنفعالاتهِ ، وإشراكهِ في أنتاج المعنى والقصد الذي يسعى إليه النص الأدبي والذي يمتاز بإيجازهِ ودقة أصابتهِ للمعنى كونهِ نص مثلٍ فأنه بحاجة الى تفاعل المتلقي معهُ والإستجابة الى صورهِ التي يوفرها من خلال هذا الفعل اللغوي الذي يأتي به ، والذي يكسبهُ صفات ما كان يمتلكها لولا هذا الإستعمال الموفق للألفاظ والإختيار الدقيق للتراكيب التي تصور المعنى وتقربهُ .

ونظل نلمس ما للإستعارة من دور مهم في أنتاج الصورة المجسدة في أمثال الإمام علي (□) في نهج البلاغة[٧٧٢] .

وقد يستثمر أسلوب التجسيد في إنتاجهِ الصورة ، طريقة بلاغية أخرى ، ألا إنها طريقة الكناية عندما يلجأ الى إستغلال ما توفرهُ من قدرة عالية على أداء المعنى وبصورة إيحائية ، ربما كان التلويحُ بعضاً منها والإشارةُ دالةً عليها ، والرمزُ موغلاً في تفاصيلها ((فهي الوسيلة الوحيدة التي تيسر للمرء أن يقول كل شيء وأن يعبر بالرمز والإيحاء عن كل ما يجول في خاطرهِ))[٧٧٣] .

ومن أمثلة الصورة المجسدة التي جاءت في أمثال الإمام علي (□) قولهُ وهو يطلبُ من أصحابهِ الإستعداد للحرب ويحثهم عليها ((شدوا عقد المآزر))[٧٧٤] ، فالصورة هذه صورة مجسدة ، صور من أمتلك العزم والإرادة بذلك الذي شد أزرهُ وهي صورة بصرية ، قد ألفها العربي ، حتى غدت كناية عن العزم والتصميم وحزم الأمر لأن العرب كان من

---

(771) أصول البيان العربي : ٩٣ .
(772) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٩ ، ١ / ١٧١ ، ٩ / ٧٤ ، ٧ / ٦٨ ، ١١ / ٨٢ ... وغيرها .
(773) البيان العربي - عبد العزيز عتيق : ٢٢٤ .
(774) شرح نهج البلاغة : ١١ / ٨٢ .

عاداتهم أن يشدوا أزارهم إذا أرادوا الشروع بالعمل الجاد ، وهذه الصورة ليست ببعيدة عن مدركات المتلقي، وهي قادرة على أداء المعنى لا بل توكيدهُ ، لأن هذا المعنى الذي أشارت إليه لفظة (عقد المآزر) قد فهم من طريق الفعل لا من طريق اللفظ فقط لأن الكناية ((في حقيقتها ومحصول أمرها إنها أثبات لمعنى أنت تعرف ذلك المعنى عن طريق المعقول دون طريق اللفظ))[٧٧٥] وبهذه الطريقة يمكن الوقوف على الحقيقة المدعومة بالبرهان أو إبراز المعنى في صورة حسية[٧٧٦] عبرت عنها لفظة (عقد المآزر) وكما أن هذه الألفاظ والتعابير ليست بعيدة عن إدراك المتلقي فهي بذلك توفر حسنة من حسنات التصوير، لأن من حسنات التصوير أن يكون منسجماً مع إدراك المخاطبين فقد أكد الآمدي (ت ٣٧٠هـ) أن ((أفضل الصور وأقدرها على التأثير في المتلقي من حيث إثارة الإنفعال المناسب فيه ، هو قربها من إدراكهِ وسهولة تفسيرها وإستيعابها وأن تكون لائقة بما إستخدمت فيه))[٧٧٧] .

وتظل الصورة الآتية عن طريق الكناية صورة مجسدة ، أستطاعت أن تخلع على المعنويات ، صفات الماديات ، فهي مجسدة للعيان ، مثالةٌ محسوسة ، فعندما يصف لنا الإمام علي (□) حال من تغير من أرحامهِ ، بعد أن كان له عضداً وساعداً ، يقول ((قلبت لإبن عمك ظهر المجن))[٧٧٨] ((وأصل ذلك أن الجيش إذا لقوا العدو كانت ظهور مجانهم الى وجه العدو وبطون مجانهم الى وجه معسكرهم فإذا فارقهم رئيسهم وصاروا مع العدو كان وضع مجانهم بدلاً من الوضع الذي كان قبل))[٧٧٩] فالصورة التي وفرها لنا المثل صورة مجسدة ، أستطاعت الكناية التي جاءت بها لفظة (ظهر المجن) دلالة على التغير

---

(775) دلائل الأعجاز : ٢٨٠ .

(776) دراسات في البلاغة - عن ضياء الدين بن الأثير - د. عبد الواحد حسن الشيخ – مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر – مصر ، ١٩٨٦م : ١٧٤ .

(777) ينظر : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري - أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي ، تحقيق أحمد صقر ، ط٢ – القاهرة ١٩٧٢٠م : ٣٣ – ٤٥ .

(778) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٩٨ . وينظر : مجمع الأمثال : ٢ / ١٠١ .

(779) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٩٩ .

والتبدل الذي طرأ على المخاطب ، فالمفهوم المعنوي (التغير) قد إكتسبت صفة مادية فهو ظهر مجن يقلب ، فهو مادة تشاهد إذ أنه آلة حربية يعرفها المتلقي وهي دائمة الظهور في حياتهِ ، قريبة الدلالة الى المعنى الذي جاءت به ، فالصورة التي فيها ظهر المجن مقلوب صورة مجسدة لمفهوم التغير والتبدل الذي أنكرهُ الإمام علي (□) بهذا المخاطب ، فهي صورة مستوعبة من لدنهِ ، لا يحتاج لفهمها أي عناء وهي تكاد تلتزم أسلوب الصور الحسية الأخرى التي وردت في هذه الرسالة .

ونجد هذا التجسيد متحققاً في صورٍ أخرى جاءت بها أمثال الإمام علي (□) فهو عندما يصف حالهِ مصوراً عدم المطالبة بالحق بأنها توصل الى صورة من يركب أعجاز الإبل ويقول ((وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السرى))[٧٨٠] فالصورة توحي بالدلالة لأن الذليل يُحمل على عجز البعير .

يقول الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) : ((هذا القول من لطيف الكلام وفصيحهِ ومعناهُ إن لم نعطِ حقنا كنا أذلاء وذلك أن الرديف يركب عجز الإبل))[٧٨١] .

فالصورة التي تطالعنا من هذا المثل صورة مجسدة ، إستثمرت الكناية التي وفرتها لفظة (أعجاز الإبل) فهي تدلُ على الهوان وهو مفهوم مجرد ، أكتسب صفة ماديةِ من خلال عملية الركوب على أعجاز الإبل ، فقد عبرت هذه الصورة المحسوسة عن المعنى حين جسدتهُ بأستثمار الكناية لتدلُ على الهوان الذي قصدهُ المثل .

ونلحظ في هذه الصورة أنها صورة مجسدة مألوفة لدى المتلقي ، لأن الصور المؤثرة لابد من أن تكون صوراً مأخوذة من واقع الحياة ومن البيئة ، وكونها صوراً مألوفة لا ينقص ذلك من أهميتها ((لأن الكتاب الجيدين عادة ما يخلقون صوراً مثيرة من

---

(780) م . ن : ١٦ / ٦٦ .
(781) م .ن : ١٦/ ٦٦ .

أكثر الأشياء ألفة))[٧٨٢] وهذا ما نلمسهُ في صور الإمام علي (□) فهي صور قريبة من المخاطب ، وملتقطة من واقعهِ البيئي، فهو يعرفها ، وهي في الوقت نفسهُ قادرة على التفاعل مع الصور الأخرى في النص الذي وردت فيه ، فهي ذات فاعلية وتأثير في المتلقي ((وتكمن هذه الفاعلية أساساً في تمثيلها للإحساس))[٧٨٣] الذي تغير في نفس المتلقي فتحدث فيه إستجابة قصدها المنشيء ، وغاية سعى لتوضيحها المثل.

وعلى وفق هذا الإسلوب (إسلوب التجسيد) الذي إعتمد الكناية طريقة لإخراج الصورة المجسدة نجد أمثالاً عديدة في نهج البلاغة[٧٨٤] .

٢ – التشخيص :

التشخيص هو ((خلع الصفات الإنسانية (صفات الأشخاص) على كل من المحسوسات والماديات))[٧٨٥] أو هو ((الذي ترتفع فيه الأشياء الى مرتبة الإنسان مستعيرة صفاتهِ ومشاعرهِ))[٧٨٦] ، وهذا الأسلوب نجد له مصاديق في أمثال الإمام علي (□) فقد لجأ إلى هذا الأسلوب ليؤدي الغرض الذي جاء به المثل في النص ، عندما يكون ذلك واجباً فنياً للنهوض بالتشبيه الى مرحلة أعلى من مراحل التصوير ، حين يُصار عندها الى جعل المادة واعيةٌ تمتلك أحاسيس البشر ، وتؤدي إنفعالاتهِ وتتصرف كما يتصرف الإنسان .

وعلى وفق هذا الأسلوب في إكساب الماديات صفات الأشخاص وقدراتهم ، نجد قولهُ (□) واصفاً الدنيا وتوارد الأنبياء فيها ، مصوراً إياها إنسان يلد ويتكاثر وإنها ((على ذلك نسلت القرون))[٧٨٧] فأستعار لفظة (نسلت) والتي تعني (ولدت) وأسندها الى القرون ،

---

[782] الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة : ٣٢ .
[783] نظرية الأدب - أوستين دارين : ٢٤١ .
[784] ينظر : شرح نهج البلاغة : ٦ / ١٧١ ، ٧ / ٦٨ ، ١٨ / ١٨٢ ... وغيرها .
[785] شعر الشريف الرضي – الفن والإبداع : ١٥٢.
[786] الصورة الفنية في شعر أبي تمام : ١٦٩ .
[787] شرح نهج البلاغة : ١ / ٧٦ .

فالقرون تلد وتتناسل وتتجدد ، وبهذا أستطاع أن يكسب القرون صفة إنسانية ، ولدت لنا صورة تحملُ معانٍ تطلبها السياق الذي كان يتحدث فيه عن قدوم الأنبياء الى هذه الدنيا ، فالصورة صورة حسية متحركة ، أستمدت حركتها من حركة الولادة التي تعني التجدد والتكرار وهي فعل إنساني به تستمر الحياة ، فكأنما أراد بهذه الصورة أن يؤكد على سنة الحياة ولكي لا يكون هنالك ما يوجب السؤال أو يدعو الى الحيرة أو التغاضي عن أمر هذه الدنيا المتمثلة بالقرون التي تتوالد ويتوالد معها الرسل والأنبياء الى أن جاء الله تعالى بخاتم النبيين محمد (□) فهو خاتمة توالد الأنبياء وهو إمامهم وسيدهم .

وفي مثل آخر نجد الإمام علي (□) يصور لنا الحق ، وهو المفهوم المعنوي إنساناً قادراً على الفعل ويمتلك الإرادة والقدرة في إتخاذ القرار في السير أو التوقف في الأقدام والعودة، فيقول ((رجع الحق الى أهلهِ))[٧٨٨] فالحق في هذه الصورة ، شخصٌ له قدرة الفعل فهو قد (رجع) وكان رجوعهِ الى أصله وأهلهِ ، فهو بذلك قد عضد صفة الرجوع هذه بصفة إمتلاك الأهل ، وهذه صفة إنسانية ، أستعملها النص كناية عن نفسهِ الشريفة ، فهو (□) أهل هذا الحق وإليه عاد ، واصفاً عودة الخلافة إليه بالرجوع الى الأهل فالصورة التي جاء بها المثل قد إجتمعت على تحققها وصياغتها ، إستعارة وكناية ، تعاضدتا في نصٍ موجزٍ فولدتا لنا صورة تشخيصية ، أستطاعت أن تنقل المعنى وتؤكدهُ وتوضحهُ .

أما عندما يجد الإمام علي (□) بعض الوهن والخذلان من لدن أتباعهِ فأنهُ يلجأ الى صياغة مثل يصور حالتهم ويشخص فيه المفاهيم المعنوية ، حين يسندها الى أفعال إنسانية ، فنراهُ يمنح الزمان صفة إنسانية فيقول ((سيرعف بهم الزمان))[٧٨٩] قاصداً إن أتباعاً مخلصين له سوف (يوجدهم الزمان ويخرجهم كما يرعف الإنسان بالدمِ الذي يخرجهُ من

---

(788) شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٩ . مجمع الأمثال : ٢ / ٣٥ . ذكره بنص آخر ((عاد الأمر إلى نصابهِ)).
(789) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٥١ .

أنفهِ ، فأستعار لفظ الرعاف وهو الدم الخارج من أنف الإنسان لوجودهم وفيه تشبيه للزمان بالإنسان) أي أنه (□) قد خلع صفات إنسانية على مفهوم معنوي ، ومن هذا التشخيص نستطيع أن نستشف دلالات إيحائية ، منها إن الرعاف الذي هو خروج الدم من أنف الإنسان يتصف بكون هذا الخروج خروجاً هادئاً مستمراً ، وهذا الهدوء والإستمرار يوحي بأن خروج أصحاب مخلصين للإمام علي (□) سيكون خروجاً هادئاً مستمراً ، ثم أن خروجهم غير بعيد فهم قريبون من السطح ، كقرب دم الرعاف من سطح الجلد ، وهذا يدلُ على أنهم غير بعيدين ، وبهذه الصورة يكون المعنى الذي قصدهُ الإمام علي (□) قد أتضح وضوحاً جلياً بصورة تشخيصية ، قريبة من أدراك المتلقين ، وبالغة في أدائها للمعنى المقصود ، كما أن هذه الصورة قد حملت معنى آخر هو معنى مجازي يستشف منها وهو التوبيخ لهؤلاء المتخاذلين ، فكأنهُ يقول لهم إن أصحاباً مخلصين سيخرجون قريباً ، فهم أفضل ممن خاطب .

ونلمس من هذه الصورة أن التشخيص الذي جاءت به قد وفر لنا ((إنتقالاً بالصورة من حسية ساكنة الى حسية فاعلة متحركة ، لأنه أستطاع أن ينقل الاستعارة من المثلية وهي مرحلتها الأولى الى مرحلة أرقى وأكثر تطوراً ، إذ تمثلت في قيام حدي الصورة في الذهن ، ثم تنحي أحداهما وحلول آخر محلهُ ثم أرتفاع بشيئية الحد الثاني الى مرتبة الإنسان وهي أرقى مرحلة))[٧٩٠] لأنها إستطاعت أن تكسب المادي والمعنوي صفة إنسانية .

أما عندما ينقل لنا الإمام علي (□) صورة من تصدى لحكم الأمة وليس أهلاً لذلك ، نراهُ يقدم لنا المفاهيم المعنوية ، وقد أصبحت أنساناً يمتلك القدرة على التألم والصراخ والعجيج فيقول واصفاً ذلك بأنه ((تصرخُ من جورهِ الدماء وتعج منه المواريث))[٧٩١] ،

---

[790] ينظر : الصورة الفنية في شعر أبي تمام : ١٧١ .
[791] م . ن : ١ / ١٧١ .

فالمواريث أصبحت لها القدرة على (العجيج) أي أنها إمتلكت صوتاً ، وقدرة على الرفض ، وقابلية على الإفصاح عن تألمها ، وهذه الصفات صفات إنسانية خُلعت على مفهوم معنوي أي أن المفهوم قد شُخص ، وهذا التشخيص قد ترك أثراً قوياً في المتلقي ، لأنه أصبح كما يقول ريتشاردز ((بمثابة منبهات للإدراك))[٧٩٢] وهذا التشخيص قد صور لنا الحالة التي عليها هذا الحاكم بأرقى صورة ، أستطاعت أن تنطق الأصم ، وتجعل من المفهوم المعنوي شخصاً قادراً على رفضهِ ، وهذا يدلُ على مدى ظلم هذا المتصدي للحكم وجهلهِ .

ويظلُ التشخيص إسلوباً نلتمس له مصاديق في أمثال الإمام علي (□) في نهج البلاغة[٧٩٣] .

ثالثاً : إسلوب التقابل :

يعتمدُ هذا الإسلوب في بناء الصورة على مقابلة صورتين لموضوعين أو ذاتين والمقارنة بينهما وهذا في حقيقتهِ (طريقة إسلوبية) تدرس الصورة من الخارج دون الولوج في أعماقها ، كما هو الحال في بناء الصورة بطريقة تبادل المدركات كالتشخيص والتجسيد ، فهو عبارة عن مقارنة صورة جاهزة بأخرى مضادة))[٧٩٤] ، هذه المقارنة بين الصور المتقابلة ، تولد لنا صورة متخيلة ، تتكامل ملامحها وفق التفاعل الذي يحدثه هذا التقابل ، فهي صورة جديدة ، ليست شبيه بالصورة الأولى ، وحتماً هي غير الصورة الثانية فالصورة المتولدة ذات مواصفات خاصة وقدرة فاعلة في المتلقي ، تمتلك تأثيراً نفسياً في أدراك المتلقي ، ربما قادهُ هذا التأثير الى المشاركة في أنتاجها ، عندما يصبحُ المتلقي عنصراً ثالثاً في بناء الصورة وهذا ما يسعى إليه منشيء النص الأدبي ، لأنه يوفر لنصهِ ، قدرة في التأثير تجعل الفكرة التي قصدها قادرة على التغلغل في إدراك المتلقي ،

---

[792] ينظر : مباديء النقد الأدبي : ١٧٦ .
[793] ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٥ ، ٦ / ٢١٥ ، ٧ / ١١٣ ، ١١ / ٨٢ ، ١٥ / ١٠٥ ... وغيرها.
[794] شعر الشريف الرضي – الفن و الإبداع : ١٦٤.

فهي تنقله من منطقة المتلقي السلبية الى منطقة الإيجاب ، مهما إختلفت أنماطها وتنوعت الأساليب التي بنيت عليها ، فهي قد تكون صورةٌ بصريةٌ ، أو سمعيةٌ أو ذوقيةٌ أو شميةٌ ، وقد تكون الصورة المتولدة صورة عقلية ، فهي صورة لا نجد لإطارها إطاراً مشابهاً لها في الواقع ، إنما هي خلقٌ جديد ، قادر على التأثير ، ومتغير تغيراً يعتمد على هذا التضاد ، ومدى قدرتهِ الإيحائية ، وعلى القدرة الفنية في إحداث تقابل أوسع يثير في نفس المتلقي أحساساً ، وتنير لإدراكهِ سبل الإيضاح ومكامن المتعةِ ، عندما تتحقق له المشاركة الفاعلةِ في أنتاج الصورة في فهمها وتصورها مما يُحدث أثراً جمالياً أو نفسياً محبباً لديهِ .

وعلى وفق هذا الإسلوب في بناء الصورة ، جاءت أمثالٌ عديدة في نهج البلاغة أعتمدت على إدراج صورتين متناقضتين في مثلٍ واحدٍ ، لخلق صورة جديدة مبتكرة قادرة على أداء المعنى وإحداث التأثير الجمالي والمعنوي ، حين ترتفع بالدلالة الى مستوىً أعلى ، فهي موحيةٌ في جوانبها ثرةٌ في مدلولاتها ، قادرة على تأكيد المعنى وبيانه بأسلوب ترغب فيه النفس وتميل إليه ، عندما يحدث هذا الأسلوب تداعياً في المعاني ، وهذا التداعي ((قد يأتي عن طريق التشبيه بين الأشياء التي تقع عليها حواس الأديب ، أو يأتي عن طريق التضاد ، وهنالك من يرى ((إن الضد أكثر حضوراً على البال من التشبيه وأوضح في الدلالة على المعنى منهُ))[٧٩٥] وهذا التقابل نلمسهُ في قول الإمام علي (□) ((عالمها ملجم وجاهلها مكرم))[٧٩٦] واصفاً حال الدنيا قبل قدوم خاتم النبيين محمد (□) وبزوغ نور الإسلام إذ يلجأ إلى تصوير حالتين متناقضتين ، كان المجتمع الجاهلي يعيشها ، فهي صورة واقعية تصف حال العالم بأنه (ملجم) فجاء بإستعارة مكنية ، عندما شبه العالم بالفرس الذي يوضع له اللجام ليحد من حركتهِ وتوجيهه فيحذف المشبه به (الفرس) وذكر لازمة من لوازمهِ ، وبهذه الطريقة في خلق الصورة التي تُظهرُ قدرة في البيان ، قدم

---

[795] البديع - د. عبد العزيز عتيق : ٩٢ . وينظر : أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم : ٢٣٢ .
[796] شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٧ .

صورة واقعية قرنها بصورة أخرى ، لكنها مضادة لها صورت الجاهل بأنه (مكرم) والتي توحي بالحرية ، فهي مضادة للصورة الأولى ، إذ اللجام يدلُ على القيد ثم قرن بين الصورتين حين أشركهما بحرف العطف (الواو) الذي يدلُ على مطلق الإشتراك ولدلنا هذا الإقتران صورة أخرى دلت على سيادة التخلف ، يظهر في جوانبها جهل الناس ، فهي صورة أستطاعت أن تستثمر الصورتين المتقابلتين لتوحي لنا بالصورة الجديدة ، فهي صورة واقع جاهلٍ ، وهذا التقابل بين الصورتين ، كان أقدر على إثارة المتلقي وتنبيهه الى حالة القوم ، عندما أيقظ هذا الإقتران الحاد أدراك المتلقي .

وعلى وفق هذا الإسلوب في خلق الصورة جاء المثل ((ينحدرُ عني السيل ولا يرقى إليّ الطير))[٧٩٧] لتصور مكانة الإمام علي (□) حين أستثمر كنايتين متقابلتين وأشركها في وصف حالته حين عطف التركيبين بحرف العطف (الواو) ليولد لنا من مجموع هاتين الصورتين صورة أخرى أكثر وضوحاً في الدلالة ، وأقدرُ على وصف مكانة الإمام علي (□) حيث أدى هذا المزج بين الكنايتين الى إحداث صورة قربت المعنى ((إذ يعدُ التقابل في الصورة أحدى الأدوات التي يعمدُ إليها أرباب البيان العربي لغرض تقريب بعض المعاني الى الإفهام ومن خلال وسيلتي التجسيد والتشخيص))[٧٩٨] الذي إستندت إليه الصورتين وهما يدلان على المعنى والمفهوم بدلالة مادية مثلتها الألفاظ (ينحدرُ ، يرقى) معضداً إياها بحرفي الجر(عن) و (إلى) التي توحي بدلالة المكان الذي أشار إليه ، وبهذا الجمع بين الصور المتقابلة ولدت الصورة التي أستطاعت أن تصور مكانة الإمام علي (□) .

كما نجد هذا التقابل متحققاً في مثل آخر للإمام علي (□) وهو يصور فيه حالة إنسانٍ لا يمتلك من الإنسانية إلا الشكل فقط ، فيقول عنه بأنه ((إعتزل البدع وبينها

---

[797] شرح نهج البلاغة : ١ / ٩٦ .

[798] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي - د. جابر أحمد عصفور – دار التنوير للطباعة والنشر – بيروت ، ١٩٨٣م : ٢٦٨ .

أضطجع فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان))[٧٩٩] في هذا المثل : صورتان متقابلتان ، ولقد ميز أبن أبي الحديد بين نوع الحيوان الذي أرادهُ الإمام (□) في هذا الموضع عن الإنسان الذي هو حيوان من نوع آخر ، فقال ((فمرادهُ هاهنا الحيوان الأخرس كالحمار والثور ، وليس يريد العموم لأن الإنسان داخل في الحيوان))[٨٠٠] فهذا العرض لصورتين تمثلان نوعين مختلفين من الموجودات ((النوع الأول : هو الإنسان بشكلهِ وهيئته الخارجية ، والنوع الآخر : هو الحيوان ببهيميتهِ ورتبتهِ المتدنية. قد أوحى بصورة ذهنية وفنية))[٨٠١] أشرك المتلقي في إكتشافها والتفاعل معها تفاعلاً يهدف الى تحقيقه المنشيء من إيراد هذا المثل ، لأن النفس الإنسانية مجبولة على حب كل ما هو إنساني والإبتعاد عن أي صفة حيوانية يتمثل فيها الإنسان لأنها تحطُ من مكانتهِ وتنقلهُ الى مستوى أدنى وهذا ما سعى إليه المثل من غرض مجازي أراد به تقريع من أبتعد عن إنسانيتهِ وغلبتهُ بهيميتهُ ، فهذا الجمع بين الصورتين المتقابلتين قد أنتج صورة حملت المعنى ، فهي صورة أخرى غير الصورة الأولى وتبتعد عن الصورة الثانية مسافة كبيرة ، هذه الصورة صورة متخيلة تحققت في إدراك المتلقي وخياله، فهي صورة غير واقعية ، ولكنها دقيقة في إيراد المقصد وتحقيق الغاية . وقد يأتي المثل حاملاً موقفين متضادين صورا حالة التردد التي عانى منها الفاعل حين أقدم على فعلين متضادين ، ولعل خير من عبر عن هذه الحالة قولهُ (□) لمن بايعهُ في الحجاز وأنكرهُ في العراق ((فما عدا مما بدا))[٨٠٢] فالمثل جاء بصورتين لسلوكين متناقضين إذ وصف حالة التغير الذي طرأ على سلوك ذلك الرجل فالصورتان إمتزجتا لتولد صورة واحدة هي صورة دلت على التغيير والنكوص وعدم الثبات على المواقف ، فجاءت هذه الصورة حاملة معنى التوبيخ لهذا

---

(799) شرح نهج البلاغة : ٦ / ١٢٦ .
(800) م . ن : ٦ / ١٢٧ .
(801) خطب نهج البلاغة - بحث في الدلالة (رسالة ماجستير) : ٢٧٥ .
(802) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٩٦ .

الفعل الشائن ، لأن العربي لا يغير رأياً أو عهداً قطعهُ على نفسهِ لأحدٍ وتحت أي ظرفٍ كان ، ومن فعل عكس ذلك عد عيباً عليه ، وهذا ما أوضحهُ المثل بهذه الصورة التي أوجدها أسلوب التضاد ، حين جمع صورتين متناقضتين فأوجد صورة أخرى، أكثر دلالة وأنصعُ بياناً وأدق في الإيضاح والتوكيد .

ووفق هذا الإسلوب نرى الإمام علي (□) يجمعُ نمطين من أنماط الصورة ليخلق لنا صوراً جديدة ، فنراهُ يجمع صورة حسية (بصرية) الى صورة ذهنية ، ليصنع لنا صورة أخرى أكثر دلالة وقدرة على حمل المعنى وأدائهِ ، ومن ذلك قوله (□) ((الدهرُ يخلقُ الأبدان ويجدد الآمال))[٨٠٣] فالصورة الأولى جاء بها التركيب اللغوي (الدهرُ يخلقُ الأبدان) فهي صورة حسية ، نلمسها من خلال حاسة البصر ، قرنها الى صورة أخرى وأشركها معها بحرف العطف (الواو) وهي صورة ذهنية حين قال (يجددُ الآمال) فعملية تجديد الآمال هي صورة ذهنية ، وهذا الجمع بين هاتين الصورتين ، قد أوحى بصورة أخرى أكثر أتساعاً وأعظم تأثيراً من كلتا الصورتين لأنها أستطاعت أن تصور الدهر من خلال إظهار صفاتهِ القاهرة وإبانة خلالهِ المعروفة فأوجدت صورة أمتدت مساحتها في حقل من صورٍ تتشابك مع بعضها لتولد لنا صورة أكثر دقة، فالصورة ((عندما ترسم وتوطد بالكلمات التي تجعلها حسية وجلية للعين أو الأذن أو اللمس ، ثم توضع صورة أخرى قربها ، فينبلج معنى ليس هو معنى الصورة الأولى منهما ولا هو معنى الصورة الثانية ولا حتى مجموع المعنيين بل هو نتيجة لهما ، نتيجة للمعنيين في إتصالهما وفي علاقتهما الواحد بالآخر))[٨٠٤] فالصورة المنبثقة من هذا الجمع بين المتضادين ، تكون قد إستوعبت جميع الصور الدالة على قدرة الدهر التي تحمل صفاتهِ ونعوتهِ .

---

(803) م .ن : ١٨ / ١٠٤ .

(804) الشعر والتجربة - أرشيبالد مكليش - ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي – مراجعة توفيق صائغ – منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر – بيروت، ١٩٦٣م : ٧٧ .

ويظل هذا الأسلوب (أسلوب التقابل) يخلق لنا صوراً جميلة أكثر تأثيراً في المتلقي وأكثر دقة في إصابة المعنى ، ومن ذلك قوله (□) ((رأيُ الشيخ أحبُ إليّ من جَلَدِ الغلام))[٨٠٥] ، فالمثل جمع صورتين الأولى صورة الشيخ الحكيم صاحب الرأي السديد ، وهي صورة ذهنية لأن السداد والحكمة ، مفاهيم معنوية حملها لنا هذا التركيب (رأي الشيخ) والصورة الثانية صورة الغلام القوي صاحب العزيمة والقدرة على تحقيق أغراضهِ وأهدافهِ من خلالها ، فهي صورة حسية ، وهذا الجمع بين الصورتين ، أوحى لنا بصورة أخرى ليست صورة تفضيل الأولى على الثانية وإنما هي صورة ذهنية أستطاعت أن تستوعب الصورتين فهي صورة إستوعبت معنى أشمل منهما ، ألا أنه معنى الروية والحكمة والتعقل دون إغفال للصورة الثانية لأن التركيب اللغوي لم يغفل تأثير الصورة الثانية ، إنما أبقاها ظلاً يكشفُ من خلال الصورة الجديدة والصورة الذهنية الشاملة ، حين أعطى الحكمة قوة الهيمنة والتمكن ، ولم تغفل الفعل الذي تأتي به الصورة الثانية، إنما هي قادرة على هدايتها الى طريق الصواب .

وقد يجمع إسلوب التقابل صورتين جاءتا بإسلوب واحد أو طريقة واحدة للصياغة ومن ذلك ما نراه في قوله (□) رداً على من مدحهُ وهو متهم له ((أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك))[٨٠٦] فالصورتان جاء بهما إسلوب الكناية فقد كنى عن علو منزلتهِ بالصورة الأولى (أنا دون ما تقول) وفي الصورة الثانية كناية أخرى عن موقعهِ الحقيقي الثابت المستقر ، معرضاً بمنزلة المادح المتدنية فقال (وفوق ما في نفسك) فالصورتان متضادتان لكنهما أنتجتا صورة أخرى صورة المنزلة الثابتة والمقام المرموق البعيد عن الغلو في المدح أو الذم ، فهي الصورة التي ثبتها له الإيمان صورة لا تهتز في قلوب المسلمين ،

---

[805] شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١١٠ ، وقد ذكر الميداني في مجمع الأمثال هذا المثل بصيغة أخرى هي "رأي الشيخ خيرٌ من مشهدِ الغلام" ونسبهُ الى الإمام علي (8) . مجمع الأمثال : ١ / ٢٩٢ .

[806] شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١١٠ . فصل المقال : ١٣ . مجمع الأمثال : ١ / ٥٣ .

صورة مستقرة أبد الدهر ، صورة الرجل المعتدل في دينهِ وسلوكهِ ، وأية صورة أجمل من صورة الأعتدال ؟

كما أن الصور التي جاءت على إسلوب التقابل نجد لها مصاديق أخرى في أمثال الإمام علي(□)[٨٠٧].

[807] ينظر:شرح نهج البلاغة :١/ ٨٧ ، ١٦٥/١، ٥ / ٩٥ ، ٦ / ٣، ١٦ / ٦٧، ١٦ / ٢٧٢، ١٨ /٣٢... وغيرها .

المبحث الثاني : القيم الموسيقية في أمثال نهج البلاغة :

تعدُ الموسيقى قاسماً مشتركاً بين جميع الأنواع الأدبية ، فلكل نوع موسيقاهُ ، فللشعر موسيقاهُ وأنغامهِ وللنثر موسيقاه وإيقاعاتهِ ، ولا تأتي هذه إلا بعد أن توظف المادة الصوتية المتمثلة في الألفاظ والتراكيب توظيفاً خاصاً ((يظهرُ في ترديد وحدات صوتية في السياق على مسافات مقاسة بالتساوي أو التناسب لأحداث الأنسجام وعلى مسافات غير مقاسة أيضا لتجنب الرتابة))[٨٠٨] ولا يتم لهذا الفعل تأثيرهُ إلا بتوفر الميل الغريزي لدى الإنسان للموسيقى إذ ((أن هنالك ميلاً غريزياً في كل كتلة من عدة مقاطع تشبه الفقرات أو العبارات الصغيرة ، التي تلتقطها الأذن كتلاً من المقاطع تطولُ أو تقصر فإذا ترددت في أواخر هذه الكتل الصوتية مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديدها وأحسسنا بغبطةٍ وسرور حين سماعها ووّرث هذا فينا الرضا والإطمئنان إليها))[٨٠٩] ، لذلك لجأ العرب الى الإعتناء بالألفاظ لأنها توفر مادة صوتية قادرة على منح العربي موسيقى تطربُ لها مسامعه ، وقديماً قالوا ((إن العرب إنما تحلي ألفاظها وتدبجها وتشيها بزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصيلاً بها الى إدراك مطالبها))[٨١٠] ، وهذه العناية تبدو متأصلة في النفس العربية التي تعشق الفصيح من الألفاظ ، وتميلُ الى النغم الرشيق ، حتى أنهم عدّوا الفصيح من الألفاظ ((هو الظاهر البين ، وإنما كان ظاهراً بيناً ، لأنه مألوف الأستعمال وإنما كان مألوف الأستعمال لمكان حسنهِ ، وحسنهِ مدرك بالسمع والذي يدرك بالسمع هو اللفظ ، لأنه صوتٌ يأتلف من مخارج الحروف ، فما أستلذهُ السمع منه فهو الحسن وما كرههُ فهو القبيح ، والحسن هو الموصوف بالفصاحة ، والقبيح غير موصوف

---

(808) في مفهوم الإيقاع - د. محمد هادي الطرابلسي – بحث - مجلة حوليات الجامعة التونسية ، كلية الآداب ، العدد ٣٢، ١٩٩١م .

(809) موسيقى الشعر - إبراهيم أنيس ، ط٤ - مكتبة الآنجلو المصرية ، ١٩٧٢م : ١١ .

(810) الخصائص : ١ / ٢٢٠ .

بالفصاحة لأنه ضدها لمكان قبحهِ))[٨١١] وهذا الحسن عائدٌ الى ما ((للألفاظ من نغمةٍ لذيذةٍ كنغمة الأوتارِ))[٨١٢] ، هذه الأنغام تتكامل وتحلو عندما يدخلها التنظيم الذي يحدث إيقاعاً ما ، إذ الإيقاع نوع من التنظيم ، فأن كل شيء منظم التركيب منسجم الأجزاء ، يدرك المرء بسهولةٍ ويسر توالي أجزائه وتركيبها أدراك أفضل من إدراكهِ للمضطرب الأجزاء الخالي من النظام والإنسجام[٨١٣] لأن الإيقاع هو الذي يحقق الأنسجام كونه ((عبارة عن تكرار ضربه أو مجموعة من الضربات بشكل منظم على نحو تتوقعها معه الأذن ، كلما آن أوانها))[٨١٤] وهذا التكرار المنظم يحدث تأثيراً في نفس المتلقي ، حين ((يجعل الكلام ذا موقع تهش إليه النفوس ، ويؤثر في الوجدان ، ولتحقيق هذا لا بد من أستخدام ضروب مختلفة من الموسيقى اللفظية مجتمعة مع الموازنات الموسيقية البديعية))[٨١٥] كالإزدواج والسجع والجناس والموازنة أو قد يلجأ منشيء النص الأدبي الى أستعمال صيغ خاصة في التركيب اللغوي قادرة على توفير إيقاعاً خاصاً ((لأن الكلام ذا النغم الموسيقي يثير فينا أنتباهاً عجيباً ، وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع))[٨١٦] صوتية متميزة أختيرت بعناية روعيت فيها القيمة الصوتية للألفاظ والتراكيب إذ أن الألفاظ هي أصوات أو لكل صوت صفاتهُ وميزاتهُ ، فإذا ماصيغت هذه الأصوات صياغة قادرة على أستثمار هذه الصفات جاء الكلام ذو وقع جميل ومنح النص الأدبي مهما كان نوعه القدرة على إمالة أسماع المخاطبين، فيُحدث فيهم الرغبة الى الأستماع واللذة فيه لأن النفس مجبولة على حب الأنغام متذوقة لها .

---

(811) المثل السائر : ١ / ٨٢ .
(812) م. ن : ١ / ٥٩ .
(813) ينظر : موسيقى الشعر : ١٣ .
(814) التعبير الموسيقي - د. فؤاد زكريا - ط١ – مكتبة مصر - ١٩٨٠م : ٢١ .
(815) الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي - د. غانم جواد – جامعة بغداد – ١٩٧٦م : ٣١٦ .
(816) موسيقى الشعر : ١٣ .

ولما كانت الأمثال عبارة عن جمل قصيرة موجزة وجب أن تمتلك من النغم شيئاً يجعلها تأخذ بأسماع المتلقين وتعلق في ذاكرتهم لأنهم بحاجة إليها في كثير من ضروب كلامهم وسجالاتهم ، وعلى وفق هذا نلمسُ في أمثال الإمام علي (□) ضروباً مختلفة من القيم الموسيقية التي جاءت بها روافد عديدة منها :

١- الجناس :

الجناس لغة : ((هو مصدر جانس ، والتجنيس تفعيلٌ من الجنس والمجانسة مفاعلةٌ منه ، لأن أحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينها مفاعلة والتجانس مصدر يجانس الشيئين إذا دخلا تحت جنس واحد))[٨١٧] .

أما إصطلاحاً : فهو ((تشابه اللفظتين في الأصوات وأختلافهما في المعنى))[٨١٨] فالجانب الصوتي هو الركيزة التي يعتمد عليها الجناس ، لأنه إذا كان جناساً تاماً فهو مقطعان صوتيان متفقان في الإيقاع مختلفان في المدلول[٨١٩] فهو جناس مستوفي وقد يكون الجناس غير تاماً عندما ((تتفق اللفظتان في وجهٍ من الوجوه ويختلف معناهما))[٨٢٠] أي أن هنالك أختلافاً في ما بين اللفظتين قد يكون هذا الأختلاف في عدد الحروف أو نوعها أو هيئتها أو ترتيبها ولقد تطرق إليها البلاغيون وأسهبوا في توضيحها وتعدادها[٨٢١] ولقد عدّ أحد الباحثين الجناس ضربٌ من التكرار فقال ((أن جوهر الجناس أساساً يقوم على الأشتراك اللفظي ، فالتجنيس أذن ضربٌ من ضروب التكرار ونسلكهُ فيما يراد بالتكرار من تقوية نغمية لجرس الألفاظ))[٨٢٢] .

---

(817) أنوار الربيع في أنواع البديع : ١ / ٩٧ .
(818) م . ن : ١ / ٩٧ .
(819) البديع تأصيل وتجديد - د. منير سلطان – دار المعارف - الإسكندرية – مصر – ١٩٨٦م : ٧٦.
(820) الطراز : ٢ / ٣٥٦ .
(821) ينظر : أسرار البلاغة : ٢ . مفتاح العلوم : ٢٠٢ . حسن التوسل : ١٨٣ . الطراز : ٢ / ٣٥٧ . الإيضاح : ٣٨٦ .
(822) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - د. احمد مطلوب – مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨١م : ١ / ٨٣.

غير أن هنالك من نظر الى الجناس بوصفهِ وسيلة إلى تصوير المعنى وتمكنه من العقل تعبيراً وتأثيراً ، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ((أنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حميداً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً))[٨٢٣]، فهو يرى أن الجناس ليس غاية في ذاتهِ وإنما وسيلة صوتية الى تحقيق غاية ، ألا أنها غاية المعنى وهذه ((لا تتحقق إلا بالخداع عن الفائدة وقد أعطاها وبالإبهام في أنه لم يزد على المراد وقد زاد ومعنى هذا إن الجناس أمرٌ نفسيٌ ومسألة شعورية))[٨٢٤] ، حين عد علة الفضيلة فيه تتمثل في ((حسن الإفادة ، مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة))[٨٢٥] فهو لم يغفل الجانب المعنوي وأشار الى الجانب الصوتي حين عدهُ تكريراً وهو الذي يكادُ يجمع عليه كل من درس هذا الفن الذي يوفر لوناً من الموسيقى اللفظية التي ينشدها الأديب من أجل إيصال فكرة أو إحداث متعة تجذب المتلقي وتثير أنتباهه فيتفاعل معها سلباً أو إيجاباً وفقاً لقدرة الأديب في التوظيف الدقيق للألفاظ القادرة على نقل المعنى وإيصاله وأحداث الأستجابة النفسية التي يسعى إليها ، ولعل المثل أكثر حاجة من غيره الى هذه الأستجابة وهذه الأيقاعات التي توفر له قابلية التغلغل في النفس وتحدث الرغبة والمتعة ، فلم يغفل الإمام علي (□) هذا الفن فلقد أدرك ما له من أهمية في إيصال المعنى وفي قدرة البقاء والتواصل وفي أثارة المتلقي وأحداث أستجابة ما عندهُ .

فقد حوت أمثالهُ ، ضروباً عديدة من هذا الفن ، فمن ذلك ما نراه في قوله (□) لمن غيّر موقفهِ وبدّل حالهُ ، فخاطبهُ قاصداً توبيخه بقوله ((فما عدا مما بدا))[٨٢٦] وبهذه الألفاظ

---

(823) أسرار البلاغة : ١٦ .
(824) الصورة الفنية في البيان العربي : ١١٥ .
(825) أسرار البلاغة : ٢٣ .
(826) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٩٦ .

الألفاظ القصيرة المتجانسة التي جاءت أصوات حروفها متفقة إلا الصوت الأول من اللفظتين (عدا) و (بدا)

وهذا النوع من الجناس يسميه البلاغيون جناساً ناقصاً[٨٢٧] وقد يسمى ((بالجناس المضارع))[٨٢٨] ومهما اختلفت التسمية يظل هذا النوع من الجناس عبارة عن تكرير مقاطع صوتية متشابهة ، يأنس لها المتلقي ، وتثير في نفسهِ الرغبة في معرفة الفرق في المعنى بين اللفظتين ومحاولة أدراك دلالاتهما ، وهذا جلُ ما يسعى إليه منشيء النص من غاية تكون الألفاظ المتجانسة وسيلة فعالة في نقل المعنى كما تحدث في نفس المتلقي متعة ولذة تعشقها الأذن التي هزها هذه الترديد للأصوات فأحدث فيها نوعاً من الأستجابة والإثارة والمشاركة .

ونجد جناساً ناقصاً في قوله (□) ((أعذر بما أنذر))[٨٢٩] بين اللفظتين (أعذر) و (أنذر) حيث أتفقت حروف هاتين اللفظتين إلا الحرف الثاني فهو مختلف بينهما ، فهما متساويان في العدد والهيئة والترتيب ومختلفان في النوعية ، هذا الأتفاق ولد أتفاقاً إيقاعياً ، وأعطى نغمة موسيقية مكررة ، تكاد تكون لفظة معادة لولا هذا الأختلاف ، مما ساعد في أيجاد أستجابة لهذا المؤثر في نفسية المتلقي ، تجعلهُ يتفاعل مع دلالة اللفظتين ويحاول أيجاد وجهة الأتفاق بينهما ، وما قصدهُ المنشيء من هذا الإيقاع الجميل القصير ، للمقاطع الصوتية المتشابهة ، التي أستطاعت أن تثير أنتباه السامع وتحدث فيه الرغبة والمتعة وتلك أمور يسعى لها المثل ، ويحاول تأكيدها في نفس المتلقي وإدراكهِ .

وفي مثل آخر للإمام علي (□) يقول فيه ((المنيةُ ولا الدنية))[٨٣٠] ، نجد جناساً ناقصاً ، أحدث أثراً موسيقياً تستعذبه الأذن ، وتميل إليه النفس لأنه أستطاع أن يأتي

---

(827) ينظر : الإيضاح : ٥٣٨ . والبلاغة والتطبيق : ٤٥ .

(828) ينظر : التبيان في علوم المعاني والبديع والبيان - شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (ت٧٤٣هـ) ، تحقيق وتقديم هادي عطية مطر الهلالي – مكتبة النهضة العربية – لبنان – ط١ ، ١٩٨٧م : ٤٨٣ .

(829) شرح نهج البلاغة : ٦ / ١٦٤ ، فصل المقال : ٣٢٥ .

(830) م . ن : ١٩ / ٢٦٣ . مجمع الأمثال : ٢ / ٣٠٣ .

بالتكرار ((إذ أن الجناس نوع من أنواع التكرار المؤكد للإيقاع الناتج عن التشابه الكلي أو الجزئي في تركيب الألفاظ ، وهذا التماثل في الجرس ، يوقع الذهن الى ألتماس معنى تنصرف له اللفظتان))[٨٣١] اللتان جاء بهما المثل ، فهما يكادان أن يتفقا في جميع الصفات ، فعدد الحروف متفق بينهما وكذلك الهيئة والترتيب إلا النوع ، فلقد أختلف الحرف الأول في كليهما ، فجاء في اللفظة الأولى (المنية) حرف الميم ، وهو من الأصوات المجهورة المائعة))[٨٣٢] في حين عد حرف الدال من ((الأصوات المجهورة الإنفجارية والصوت الإنفجاري : هو الصوت الذي يحدث عند إلتقاء عضوي النطق إلتقاءاً يمنع الهواء من المرور ثم ينفصل العضوان بسرعة فينشأ عنهما صوت قوي له دوي وإنفجار))[٨٣٣] ففي هذا الجناس الناقص جاء صوت الميم في اللفظة الأولى (المنية) وجاء صوت الدال في اللفظة الثانية (الدنية) وهذا يشعرنا بأن المنشيء قد راعى صفات هذه الحروف (الأصوات) فبدأ بالحرف المائع في اللفظة الأولى وبالمجهور الإنفجاري باللفظة الثانية (الدنية) مما يشعرنا بالتأكيد الذي يوحي به هذا الأستعمال الموفق للألفاظ وأستثمار صفاتها في تحديد مواقعها من الألفاظ والتراكيب فالتدرج في قوة الأصوات ، مضاف إليه التشابه بينهما ، أدى الى أحداث أستجابة لدى المتلقي لأنه وفر جواً موسيقياً من خلال هذا الإيقاع الناتج عن تكرار وحدات صوتية متشابهة في نص المثل .

وفي أمثال الإمام علي (□) جناسٌ من ضربٍ آخر وهو جناسٌ قائم على الأختلاف في التخفيف والتشديد[٨٣٤] في الحروف المتشابهة المكونة للألفاظ ، ومن ذلك قوله ((لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرّطاً))[٨٣٥] فقد جانس بين اللفظتين (مفرط) و (مفرّط) حين

---

(831) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي - ماهر مهدي هلال – دار الرشيد – بغداد ، ١٩٨٠م : ٢٨٤.

(832) أصوات اللغة العربية - د. عبد الغفار حامد هلال – مكتبة وهبة – القاهرة – ط٣ ، ١٩٩٦م : ١٤٣ .

(833) أصوات اللغة العربية : ١٤٣ .

(834) نهاية الإيجاز : ٦٠ .

(835) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١٠٣ . وينظر : مفتاح العلوم : ٢٠٢ . والإيضاح : ٢ / ٣٨٥ . حسن التوسل : ١٧٨ ، وقد ذكرته هذه المصادر بصيغة أخرى (الجهول إما مفرط أو مفرّط).

شدد عين اللفظة (مفرط) ليحقق إيقاعاً موسيقياً ، أعتمد تكرار أصوات اللفظة الأولى ، مشفعاً ذلك بتكريرهِ صوت (الراء) وهو صوت من الأصوات المتوسطة وهي أصوات ((عالية الشبه في الوضوح السمعي أو تكاد تشبه أصوات اللين ، في هذه الصفة مما جعلهم يسمونها أشباه أصوات اللين))[٨٣٦] وهي من أوضح الأصوات الساكنة رغم أنه ((يسمع معها صوت أنفجار وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي يميز الأصوات الرخوة))[٨٣٧] وهذه الصفة عندما تتكرر فأنها تُحدث إيقاعاً عالياً في اللفظة ، يثير أنتباه السامع ، ويقوي النغمة المتولدة من هذا التكثيف لصوت (الراء) مما يُثير في نفس المتلقي الرغبة إلى معرفة الدلالة المتولدة الجديدة من هذا التكثيف الصوتي ، والإيقاع المنتظم ، وبذلك يكون المثل قد حقق القصد الذي جاء به في النص ، لأنه أصبح بورة ذات تأثير واضح تولد من خلال هذه الصياغة المتميزة .

وقد يأتي الجناس عن طريق إشتقاق الألفاظ الذي يصفهُ الرازي (ت٦٠٦هـ) بقوله ((أن الإشتقاق هو أن تجيء الألفاظ يجمعها أصلٌ واحد في اللغة))[٨٣٨] ، وقد عده أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)نوعاً من أنواع ((التجنيس))[٨٣٩] ، لأنه يعيد الألفاظ ولكن بعد إحداث تغيرات في بنيتها بزيادة أو نقصان ، ومما جاء على هذا الضرب من الجناس قوله (□) ((صال الدهر صيال السبع العقور))[٨٤٠] فلفظة (صال ،و صيال) بينهما إشتراك واضح في الحروف ، فهما متجانستان ، غير أن لفظة ((صيال المصدر من (صال) تميزت بحدوث تغير بسيط في بنيتها عن بنية الفعل (صال) وذلك بزيادة حرف الياء وهو صوت مد طويل ، مما أكسب النص صوتاً عالياً واضحاً تمام الوضوح لأنه من الصوائت ((التي ينطلق معها الهواء إنطلاقاً تاماً بحيث لا يعوقهُ عائق في منطقة من مناطق النطق

---

(836) الأصوات اللغوية - إبراهيم أنيس - مكتبة الآنجلو المصرية : ١٣٢ .
(837) م. ن : ٦٣ .
(838) نهاية الإيجاز : ٦٢ .
(839) الصناعتين : ٩٣ .
(840) شرح نهج البلاغة : ٧ / ١١٣ .

، ويمتاز هذا الصوت بالوضوح التام وصفة الجهر))[٨٤١] وهذا الصوت الجديد منح الجناس الناقص الكائن بين (صال) و (صيال) التي أضيف إليها لفظة آخرى (عرفتها وميزتها) فأحدثت تغييراً في المعنى وهذا التغير في المعنى عدّه بعض البلاغيين شرطاً من شروط الجناس[٨٤٢] ، منح الجناس القدرة على إيقاظ المتلقي وإثارة أنتباهه الى هذا التغيير في ترتيب الأصوات المكررة ، مما ولد لديه الرغبة في معرفة الدلالة الجديدة التي وفرتها النغمة المتحققة من إعادة الأصوات المتآلفة في اللفظة الأولى بعد أن زيد عليها صوتين ، منحها قدرة على الوضوح أكثر ، هذه الأصوات المتكررة أصبحت منبهات تثير أحساس المتلقي، وتقرب لمداركهِ فهم الفكرة أو الدلالة الجديدة التي حملتها الصياغة الجديدة بعد التغيرات التي طرأت على الصياغة .

وقد يأتي الجناس بين لفظين مختلفين أختلافاً في هيئة الحروف ، كأن يكون في الحركة والسكون، وعندها يسمى هذا النوع من الجناس ((بالجناس المطرف))[٨٤٣] مما جاء على هذا النوع من الجناس قوله (□) واصفاً من احد ولاتهِ الذي عمل خيراً ثم أفسد عمله ، فقال عنه ((فَعَل فعْل السادة وفرّ فرار العبيد))[٨٤٤] فجاء بلفظتين متجانستين هما (فَعَل) وهو فعل ماضٍ ومصدرهُ (فعْل) فالإختلاف بينهما في الحركة والسكون ، وهذا جناسٌ ناقص ومن النوع الذي يسمى (الجناس المطرف) إذ الإختلاف في عين الفعل والمصدر ، فقد جاءت متحركة في الفعل (فَعَل) وساكنة في المصدر (فعْل) وهذا الأختلاف في الحركة ولد لنا معنىً جديداً له ميزاتهُ يتعززُ هذا المعنى بالإضافة التي جاء به التركيب ، إذ أن (فعل السادة) نوعٌ للفعل منح النص دلالة القوة والشهامة وهي صفة أفعال السادة التي قابلها بفرار العبيد كي تتضح الصورة أكثر ، أما ما وفرهُ هذا النص من

---

(841) أصوات اللغة العربية : ٨٨ .
(842) ينظر : أنوار الربيع في أنواع البديع : ١ / ١٤٨ . الطراز : ٢ / ٣٥٦ .
(843) البلاغة والتطبيق : ٤٥٢ .
(844) شرح نهج البلاغة : ٣ / ٧١ .

قيمة فنية فإنها تتجلى بظاهرة التكرار الذي جاء نغمة موسيقية جذبت أنتباه المتلقي بفعل هذا الترديد للأصوات طرقت مسامعهُ في أول النص ثم أعادها عليه ولكن بتغير بسيط وبنغمة موسيقية كوّنها هذا الجناس بين اللفظتين.

ونجد هذا الجناس في مثلٍ آخر يصف فيه من أرتدى الإسلام لباساً وبطريقة خاطئة فقال عنه ((لبس الإسلام لِبْسَ الفرو مقلوباً))[٨٤٥] ، نلحظُ في هذا المثل حدوث الجناس بين اللفظتين (لَبَسَ)وهي فعلُ ماضٍ والمصدر (لِبْس) فقد تشابهت اللفظتين في جميع الأصوات إلا بالحركات حيث جاءت (عين) المصدرساكنة ، وهذا الإختلاف نتج عنه أختلافاً بسيطاً في الهيئة فهو أختلاف في أصوات المد القصيرة ، في حين ظلت الأصوات الصحيحة متفقة في اللفظتين مما أحدث إيقاعاً منتظماً ، أثار أنتباه المتلقي لأنه أعاد عليه أصواتاً سمعها ، وهذه الإعادة تستعذبها أذن المتلقي لما لها من وقعٌ جميلٌ عليه .

وهذا الجناس الذي جاء به المثل أستطاع أن يحقق وظيفتين ، وظيفة نفسية تمثلت بالأثر الموسيقي الذي تولد من هذا الجناس ، ووظيفة معنوية تتضح في إعادة الألفاظ التي تشعر المتلقي بأهمية الدلالات التي تولدها كاشفة أهتمام المنشيء بها دون غيرها من الألفاظ .

وقد يأتي الجناس بزيادة حرف واحد على اللفظة ليحقق غرضاً ما يقتضيه المعنى ويفرضه السياق ، ومن ذلك قول الإمام علي (□) لإبنهِ محمد بن الحنفية (□) حاثاً له على الثبات والصمود الذي يشبههُ بأن ((تزول الجبال ولا تزل))[٨٤٦] فما بين اللفظتين (تزول) و(تزل) جناسٌ ناقص لأنهما متكونان من الحروف ذاتها إلا أن لفظة (تزل) جاءت مفتقدة لحرف المد الطويل (الواو) والذي من صفاتهِ الوضوح في السمع ،و كأن هنالك توافقاً نلمسهُ بين وجود صوت المد (الواو) ودلالة اللفظة فزوال الجبال يحتاج إلى زمان

---

(845) شرح نهج البلاغة: ٧ / ١١٤ .
(846) م . ن : ١ / ١٤٨ .

أطول من زمان فعل الأمر (تزل) لذلك جاءت اللفظة الأولى (تزول) وهي تستوعب زمناً أطول لأن حرف المد يحتاج إلى زمن أطول من غيرهِ .

كما أن هذا الترتيب لهذه الأصوات قد وفر نغماً موسيقياً عذباً كون الألفاظ المتجانسة ذات النغم الموسيقي ((تثير فينا أنتباهاً عجيباً لما فيها من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع))[٨٤٧] صوتية ذات أثر محبب لدى السامع ، فإذا أعيدت كان ذلك بمثابة التأكيد ، وبالتأكيد يزداد الأنتباه ، وتتفاعل الأحاسيس ، ويتحقق إيصال الفكرة .

وفي نهج البلاغة أمثالٌ كثيرة جاءت فيها ألفاظ متجانسة جناساً ناقصاً[٨٤٨] .

٢- السجع :

لغة : ((سجع الرجل إذا نطق بكلامٍ له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن كما قيل لصها بطل وتمرها دقل ، يسجع سجعاً فهو ساجع وسجاع وسجاعة والحمامة تسجعُ إذا دعت))[٨٤٩] .

السجع إصطلاحاً : قال علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هـ) ((إن السجع هو تكلف التقفية من غير تأدية الوزن ،وأصلهُ من سجع الحمامة ، وذلك أنه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة ، كما ليس في سجع الحمامة ، إلا الأصوات المتشاكلة))[٨٥٠] ، فيما حدّهُ القزويني (ت٧٣٩هـ) : ((بأنه تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرفٍ واحد))[٨٥١] ، وأن الأصل في السجع هو الإعتدال في مقاطع الكلام[٨٥٢] وهو من المقاصد التي تميل إليها النفس البشرية وتتشوق إليه ، وقد عرفهُ العرب وأستعملوه في كلامهم فهو ((فنٌ عربيٌ أصيل لم ينقلهُ العرب عن أي قوم من الأقوام ، والنصوص الجاهلية خير شاهد على

---

(847) موسيقى الشعر : ١٣ .

(848) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ٥٧ ، ١ / ٩٦ ، ١ / ١٧١ ، ٢ / ١٦٦ ، ٣ / ٧١ ، ٦ / ٨٦ ، ٨ / ٦٣ ... وغيرها

(849) العين : ١/ ٢١٤ .

(850) ثلاث رسائل في أعجاز القرأن - رسالة النكت في إعجاز القرآن - للرماني : ٩٠ .

(851) الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٤٠ .

(852) المثل السائر : ١ / ٣١٢ . الطراز : ٣ / ٢١ .

ذلك ، فالعرب قد عرفت السجع فناً من فنون الأدب الرفيع وأستعملتهُ في خطبها كثيراً))[٨٥٣] لأسباب أوجبها ميل النفس الى النغم الذي يُحدثهُ ترديد المقاطع الصوتية ، والى الحاجة لحفظ النصوص النثرية من الإندثار والضياع ، فقد ذكر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) نصاً جاء فيه ((قيل لعبد الصمد بن المعذل بن عيسى الرقاشي ، لمَ تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن ، قال : إن كلامي لو كنتُ لا أملُ فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك ، ولكني أُريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ إليه أسرع ، والأذن لسماعهِ أنشط ، وهو أحق بالتقييد وقلت التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشرةٌ ، ولا ضاع من الموزون عشرةٌ))[٨٥٤] .

في هذا النص نلمسُ إنتباهاً مبكراً لأهمية السجع في الكلام المنثور ، كونه يؤدي غرضين الحفظ والمتعة التي تولدها المقاطع الصوتية المتشابهة الفواصل .

ولم يغفل البلاغيون أهمية هذا الفن ، فقد درسوه وأعتنوا به ، ذاكرين له عدة أقسام لا نريد تفصيلها ، غير أن تقسيم ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) ربما يعدُ الأنسب لما نريد بيانهِ ، فقد قسم السجع الى قسمين : قصير ((وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة ، فكلما قلت الألفاظ ، كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع))[٨٥٥] وقد عدّ هذا الضرب من السجع ((أوعر السجع مذهباً وأبعدهُ متناولاً ولا يكاد أستعمالهُ يقع إلا نادراً))[٨٥٦] .

والقسم الثاني : هو السجع الطويل الذي تكون فيه الفواصل المسجوعة متباعدة عن بعضها والذي لمسناه أن أمثال الإمام (□) كونها تراكيب لغوية قصيرة موجزة ، حملت

---

(853) الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى أبن المعتز - د. مجيد عبد الحميد ناجي – مطبعة الآداب – النجف الأشرف ، ١٩٧٦م : ١٤١ .
(854) البيان والتبيين : ١ / ٢٧٨ .
(855) المثل السائر : ١ / ٢٣٥ .
(856) م . ن : ١ / ٢٣٦ .

دلالات ومعاني مكثفة، إزدانت بالسجع القصير الذي هو أوعر أنواع السجع وأبعدها متناولاً لغيرهِ ، غير أن طبيعة الأمثال تقتضي هذا النوع من الفن ، يقول أبن جني (ت٣٩٢هـ) : ((لو لم يكن المثل مسجوعاً لم تؤنس النفس إليه ولا أنقتْ لمستمعهِ وإذا كان كذلك لم تحفظهُ ، وإذا لم تحفظهُ لم تطالب أنفسها بأستعمال ما وضع له وجيء به من أجله))[٨٥٧] ، فكان أبن جني يؤكد ما ذهب إليه الجاحظ من أهمية السجع في الكلام المنثور ، فالسجعُ عند العرب يُعد مقبولاً إذا كان معتدلاً ، لأن الكلام يزدان به ويجمل ((كما أن الشعر يحسن بتساوي قوافيه ، كذلك النثر يحسن بتماثل الحروف في فصوله ، والمذهب الصحيح إلى السجع المحمود ، إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة أو مشقة))[٨٥٨] ، وهذا ما نجدهُ متمثلاً في أمثال الإمام علي (□) والى هذا أشار القلقشندي (ت ٨٢١هـ) حين قال ((كان المتقدمون لا يحتفلون بالسجع جملةً ولا يقصدونهُ إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام أو أتفق من غير قصدٍ ولا أكتساب وإنما كانت كلماتهم متوازية ، وألفاظهم متساوية ومعانيهم ناصعة ، وعباراتهم رائعة ، وفصولهم متقابلة ، وجمل كلامهم متماثلة ، وتلك طريقةُ عليٍّ (□) ومن أقتفى أثرهُ من فرسان الكلام))[٨٥٩] .

وهذا ما لمسناهُ في أمثال نهج البلاغة التي تميزت بهذه الصفات والنعوت وهذا مانجده واضحاً في قوله (□) واصفاً آدم (□) وما جرى له حين أغواهُ الشيطان فتراغ عن الطريق القويم الذي أختطه له الخالق سبحانه وتعالى ، فوصفه الإمام علي (□) بأنهُ ((باع اليقين بشكهِ والعزيمة بوهنهِ))[٨٦٠] ففي هذا المثل حدث سجعٌ بين اللفظتين (شكهِ) و (وهنه) فكلتاهما متشابهتان في الحرف الأخير من الكلمة مضافاً الى ما وفرهُ التركيب المتوازن بين الفقرتين وهذا التوازن والإتفاق في ألفاظ المثل المسجوعة قد وفر ((إتفاقاً في

---

(857) الخصائص : ١ / ٢١٦ .
(858) سر الفصاحة : ١٦٤ .
(859) صبح الأعشا في صناعة الأنشا : ٢ / ٣٥٣ .
(860) شرح نهج البلاغة : ١ / ٦٨ .

الوزن الإيقاعي مع إتفاقهما في الحرف الأخير ، مما أتاح للكلام ركيزة نغمية محدثة توازناً موسيقياً))[٨٦١] قادراً على أثارة أنتباه المتلقي وإحداث الأستجابة التي يسعى إليها منشيء النص مضافاً إلى ذلك المتعة التي توفرها هذه الأنغام للمتلقي فهي تحدث فيه تأثيراً ترغبُ في النفس وتميل إليه .

كما نجد سجعاً واضحاً في كلامهِ (□) عن الخلافة حين أعترضه سائلُ وطلب منه الإفاضة من حيث أنتهى فقال (□) : ((هيهات هيهات يابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرّت))[٨٦٢] ففي هذا النص سجعٌ بين اللفظتن (هدرت) و (قرت) لأنهما متفقان في الحرف الأخير وهو حرف التاء ((أي صوت التاء وهو صوت شديد))[٨٦٣] أو هو إنفجاري كما يسميه المحدثون[٨٦٤] ولهذه الصفة أثر واضح في الدلالة ، لأن السياق التي جاءت به هذه الألفاظ ، التي جاءت فواصلها أصوات تمتاز بالشدة ، توحي وتؤكد ما سبقتها من تكرار للفظة (هيهات) التي تعني الأبتعاد عن الإعادة ، لأن الموضوع لا يتطلب في نظر الإمام علي (□) أطالة الحديث فيه ، فكرر الأصوات الشديدة ليحدث إيقاعاً نغمياً يقرع سمع المتلقي ويثير في نفسهِ الدلالة التي أرادها حين وظف هذه الأصوات توظيفاً حسناً في الدلالة على المعنى بما أكدهُ هذا السجع المتكون من إعادة حرف التاء نهاية كلا اللفظتين ، وما أحدثهُ من إذكاء لإحساس المخاطب وإثارة لإنتباههِ .

كما أن هذا السجع هو سجع قصير ((من أوعر السجع مذهباً وأبعدهُ متناولاً))[٨٦٥] وإليه أشار العلوي في الطراز فقال ((هو أكثر ما يكون في الكتب والمواعظ والخطب وهو

---

(861) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : ٦٩ .
(862) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٢٨ .
(863) ينظر : سر صناعة الأعراب - صنعهُ أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق لجنة من الأساتذة– ط١– مطبعة البابي الحلبي : ٦٩/١.
(864) ينظر : أصوات اللغة العربية : ١ / ١٤٣ .
(865) المثل السائر : ١ / ٣٣٥ .

أضيق مسالك السجع لكنه غير ضيق على الإمام علي (□) لما أوتي من كنوز البلاغة أن مغالقهِ ليصعب على أكثر الخلق فتحها))[٨٦٦] .

ومما جاء على هذا النوع من السجع القصير قوله (□) واصفاً من وهن عزمهُ وخارت قوتهُ في مواجهة أعداء الإسلام بأنهُ أصبح ((غرضٌ لنابل ، وأكلةٌ لآكل ، وفريسةٌ لصائل))[٨٦٧] فالسجعُ حادثٌ بين الألفاظ (نابل) و (آكل) و (صائل) كلها تنتهي بصوت واحد هو صوت اللام وهو صوت يمتاز بكونه صوتاً متوسطاً ((والمتوسط هو الذي بين الشدة والرخاوة كالراء واللام))[٨٦٨] ويسميه المحدثون ((صوتاً مائعاً))[٨٦٩] وهو صوت واضح في السمع ، وهذه الوضوح مطلب للمثل لأنه يريد أن يوصل هذا الوصف والتمثيل لحال هؤلاء لعله يوقظ فيهم أحساساً أو همة أو عزيمة ، فهذه الأصوات الواضحة كانت الفقرات التي حملتها فقرات قصيرة مما أدى إلى ترديدها إلى مسافة زمنية قصيرة ، أي أن النص جاء يحمل كثافة صوتية لصوت واحد ، يكون ذلك مدعاة لجذب الأنتباه وطريقة في صنع النغمة الموسيقية العذبة على مسامع المتلقي فقد أحدث إيقاعاً جميلاً تميل إليه الأسماع ((لأن الإيقاع هو سمةُ السجع الغالبة وجوهرهُ الفني الذي يجعل إليه النفوس أميل والآذان لسماعهِ أنشط))[٨٧٠] .

ويظل السجع القصير يواجهنا في كثير من أمثاله البليغة ، فمن ذلك قوله (□) : ((كل غدرةٍ فجرةٍ))[٨٧١] فاللفظتان متفقتان في الوزن وفي الحرف الأخير منهما لفظتان مسجوعتان وقد سمي هذا اللون من السجع ((بالسجع المرصع الذي فيه يتم مقابلة كل لفظةٍ بلفظة على وزنها ورويها))[٨٧٢] وهذا التساوي يوقع في النفس نغماً موسيقياً جميلاً لأنه

---

(866) الطراز : ٣ / ٣١ .
(867) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٣ .
(868) سر صناعة الأعراب : ١ / ٦٩ .
(869) الأصوات اللغوية : ٢٤ .
(870) جرس الألفاظ : ٢٢٦ .
(871) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٢٢ .
(872) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ١٥٢ .

يأتي على مسافات متساوية من الزمن ، كما أنه بإعادته للأصوات يولد إيقاعاً عذباً ، تهش له النفسُ وهي تشعر بهذا الوقف على اللفظة الأخيرة الذي تطلبهُ السجع ، لأن من شروط السجع الوقف ((فالسجع مبني على الوقف وكلمات الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفاً عليها ، لأن الغرض أن يجانس المنشيء بين القرائن ويزاوج ولا يتم ذلك إلا بالوقف ، إذ لو ظهر الأعراب لفات ذلك الغرض وضاق الحال على قصده ، فأن قافية السجعة إذا كانت في محل نصب وأختها في محل رفع ساوى بينهما السكون))[٨٧٣] ، وهذا ما نجدهُ واضحاً في قولهِ (□) : ((إن العطية على قدر النية))[٨٧٤] إذ تحقق السجع بين اللفظتين (العطية) و (النية) فهما متفقان في الحرف الأخير وفي الوزن ، ولكنهما مختلفان في الموقع الأعرابي ، الذي يوجب أختلاف حركات أواخرهما ، لكنه لأجل إحداث السجع وجب تسكين اللفظتين ، حتى يتم إحداث توافقاً صوتياً بين اللفظتين وحتى يتم وضوح الصوت وضوحاً تاماً ليجعل للإيقاع المتولد من هذا الأتفاق قيمة موسيقية تمنح النص جمالية وتكسبهُ أهتمام المتلقي .

يقول العلوي (ت ٧٤٩هـ) في الطراز إن ((السجع لايحسنُ كل الحسن ولا يصفو مشربهُ إلا باجتماع شرائط أربع ، الأولى : أن تكون الألفاظ المسجوعة صافية . والثانية : أن الألفاظ في تراكيبها تابعة لمعانيها . والثالثة : أن تكون المعاني الحاصلة من التراكيب مألوفة غير غريبة . والرابعة : أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى مغاير للمعنى الذي دلت عليه الأخرى))[٨٧٥] والذي لمسناهُ أن ألفاظ أمثال نهج البلاغة قد توفرت فيها هذه الشروط الأربعة فألفاظها صافية قد روعي فيها الأنسجام بين الأصوات صفات أو

---

(873) ثمرات الأوراق- أبن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ) مطبوع على هامش المستطرف- راجعه عبد العزيز سيد الأهل – مطبعة المشهد الحسيني – القاهرة:٤١٣. وحسن التوسل:٢٠٦. نهاية الأدب :٧ / ١٠٣.

(874) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٥١ .

(875) ينظر : الطراز : ٣ / ١٢ – ٢٣.

مخارج أما معاني هذه الأسجاع فهي معاني دقيقة بليغة ، حملتها تراكيب صيغت بدقة ، أستطاعت أن توصل المعنى وتوحي بالدلالة .

ومن هذه الأمثال البليغة قوله (□) ((لا تجتمع عزيمة ووليمة))[٨٧٦] فجاء بلفظتين مسجوعتين مختلفتي المعنى والدلالة لينفي عنهما الأجتماع فالتركيب ملائم لإحداث المعنى والأصوات المترددة في أعجاز اللفظتين موحدة وصافية واللفظتان متساويتان في الوزن ، أحدثتا بذلك ترديداً نغمياً جميلاً له القدرة على جلب أنتباه المتلقي وإشراكه في فهم النص الذي يحمل هذا الأختلاف قصداً سعى لتوضيحهِ مستغلاً القدرة النغمية لهذه الألفاظ في جذب الأنتباه وإحداث المتعة عن طريق تكرير الأصوات الموحدة على مسافة زمنية قصيرة ترددت فيها أصوات (الياء، والميم ، والهاء) في لفظتين لايفصل بينهما أي فاصل مما جعل هذا السجع قادر على توليد كثافة نغمية قرعت أسماع المخاطبين في زمن قصير ، فأحدثت فيهم إنتباهاً ، وربما إستعذبوا هذه الألفاظ والأصوات المتكررة.

ويظل السجع في أمثال نهج البلاغة ، سجعاً جميلاً ومن محاسنهِ النغم الرشيق والصوت العذب ، حتى قيل عنه إنه سجعٌ قد ((بلغ من الصدق حدّاً ترفع فيه عن الصنعة والتكلف ، فإذا هو على كثرة ما فيه من الجمل الموزونة المسجعة ، أبعد ما يكون عن الصنعة أقرب ما يكون الى الطبع الزاخر))[٨٧٧] للإيقاعات العذبة والأصوات الجميلة ، روعي في أدائه ، رعاية أخذت تأثيرات ما جاورهُ من ألفاظ ، وتراكيب من قدرة على الإبقاء بالنغم الجميل والإيقاع الرشيق ، فكان سجعاً خفيفاً على النفس ، قادراً على منح النص أنغام لذيذة ، يطرب إلى السامع وتثير فيه حب المعرفة ولذة الأكتشاف .

---

(876) شرح نهج البلاغة : ١١ / ٨٢ .
(877) روائع نهج البلاغة : ٢٨ .

وهذا اللون من الفن ، لون كثرت الأمثالُ التي حوتهُ ، وأزدانت به ، فهو متحقق في أمثال نهج البلاغة وبأشكال عديدة[٨٧٨] .

٣-الإزدواج :

يعد الإزدواج عنصراً من عناصر الإيقاع في النص الأدبي ، الذي تتوفر فيه ظاهرة الإتزان بين فقرات النص الأدبي أو ((أن الفواصل على زنة واحدة وإن لم تكن على حرف واحد))[٨٧٩] ، لأن الإيقاع يشمل ((كل المواضيع التي يتحقق فيها التعادل الصوتي من سجع وتوازن وأزدواج وغيرها))[٨٨٠].

وقد يسمى الإزدواج بـ((التعادل أو التكافؤ لأنه يمثل تعادل جملتين أو أكثر تعادلاً موسيقياً مع إختلاف الحرف الأخير))[٨٨١] .

فيما عرف باحث آخر الإزدواج بأنه ((توازن جملتين متتاليتين توازناً عروضياً أي أن إيقاع الجملة الأولى هو إيقاع الجملة الثانية أي الحركات والسكنات في الجملة الأولى حركات وسكنات حروف الجملة الثانية بغض النظر عن الوزن الصرفي ، لأن الإزدواج ينشد ترديد إيقاع منتظم على الأذن عن طريق النغمات المتساوية وهذا لا يتأتى بالحفاظ على الوزن الصرفي))[٨٨٢].

وهذا الفن عرفه النثر العربي وأزدانت به كثير من خطب الكتاب العرب ورسائلهم حتى قال أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ((لا يحسنُ منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون

---

(878) شرح نهج البلاغة : ١/ ٨٧ ، ١/ ٨٩ ، ١/ ١٤٦ ، ١٦ / ٥٧ ، ١٦ / ٦٧ ، ١٨ / ٧٦ ، ١٨ / ١٧٩ ، ١٦٤/١ ... وغيرها .

(879) الصناعتين : ٢٧٠ .

(880) الأسس الجمالية في النقد الأدبي - د.عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي – القاهرة ط٢ سنة ١٩٦٨م :٢٢١.

(881) ينظر : الأسس الجمالية في النقد الأدبي : ٢٢٣ .

(882) البديع تأصيل وتجديد : ٥٣ .

مزدوجاً ، ولا تكاد تجد كلاماً يخلو من الإزدواج ، ولو إستغنى كلامٌ عن الإزدواج لكان القرآن))[٨٨٣].

وعلى هذا يكون الإزدواج فناً ذا قيمة في النثر العربي إليه يسعى الكاتب وهو يخطُ رسائلهِ ويحتاجهُ كل خطيب وهو يحاجج أو يدافع أو يشرح فكرة أو يوضح معنى وإليه يسعى المثل وهو يقرب البعيد ، ويكشف الخفي ويقدم الدليل ، ويثير الإنتباه بهذا اللون الجميل من ألوان القول وفنونهِ ، وهذا ما لمسناهُ في أمثال نهج البلاغة ، فهي لم تغفل هذا الفن بل حملتهُ ، وتوشحت به فهي تستثمرهُ فناً يوفر نغماً جميلاً عذباً يستهوي النفوس فتستلذ بمسمعهِ ، وتطرب الى لذيذ إيقاعاتهِ المتزنة المتوازية ومن ذلك ما نجدهُ في قولهِ (□) واصفاً نفسه الشريفة وموقعهُ في الأمة مصوراً حاله قائلاً ((ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير))[٨٨٤] ففي هذا المثل نلحظُ التماثل بين الجملة الأولى والثانية في الوزن والمقاطع الصوتية المتشابهة التي تحدث إيقاعاً موسيقياً متشابهاً ، وأن أختلف الحرف الأخير في كلا الجملتين غير أن هذا الإختلاف لا يُعد إختلافاً كبيراً ، لأن كل من حرف اللام في لفظة (السيل) وحرف الراء في لفظة (الطير) صوتان من الأصوات المشبهة بصوت اللين[٨٨٥] التي تمتاز بكونها أكثر وضوحاً في السمع من الأصوات الصحيحة (الصوامت) وأقل من أصوات المد (الصوائت) في الوضوح ، غير أن ما يميز صوت (الراء) إنه ((أصعبُ من اللام وأكثر وضوحاً في السمع ، فهو يحتاج الى جهد عضلي أكثر من اللام))[٨٨٦] في النطق ، لذلك جاء به الإمام علي (□) في نهاية الجملة الثانية ، مراعياً صفة التدرج في الوضوح والحاجة الى الجهد العضلي في النطق ، فبدأ بالأسهل ثم أنتقل الى الأصعب والأوضح في السمع وهو صوت (الراء) في لفظة ا(الطير) وهذا

---

(883) الصناعتين : ٢٦٦ .
(884) شرح نهج البلاغة : ١ / ٩٦ .
(885) ينظر الأصوات اللغوية : ١٣٢ .
(886) موسيقى الشعر : ٢٣ .

التدرج قد لمسناهُ أيضاً في مثل آخر سبق أن تطرق إليه البحث وهو ((المنية ولا الدنية))[٨٨٧] وفيه أيضاً تظهر هذه المراعاة في صفات الأصوات وخصائصها ، فهو (□) يبدأ بالأسهل في النطق ، ثم ينتقل الى الأصعب نطقاً والأكثر وضوحاً ، وفي هاتين الحالتين دلالة واضحة على المقدرة العالية التي يمتلكها الإمام علي (□) في إكتشاف صفات الأصوات وفي القدرة على أستثمار هذه الصفات والميزات في النص الأدبي ، إستثماراً موفقاً ، ينتقل بالصوت الذي يوحي بالدلالة من الأدنى الى الأعلى ، وكأنه يريد أن يؤكد المعنى من خلال هذا الإيحاء الذي وفرتهُ صفات الأصوات ، وطريقة النظم الدقيقة المتفهمة لهذه الصفات والخصائص .

ونلحظ هذا الإزدواج واضحاً جلياً في قولهِ (□) واصفاً من قام بعمل صالح من ولاتهِ ثم أتبع عمله بإساءة ، وفعل منكر ، فقال عنه ((فَعَلَ فعْل السادة وفر فرار العبيد))[٨٨٨] ففي هذا المثل جملتان متشابهتان في الإيقاع مختلفتان في الحرف الأخير ، وهذا التماثل يُعد ((مظهراً من مظاهر الجمال الفني في نثر اللغة العربية))[٨٨٩] وفر وقعاً موسيقياً جميلاً من خلال الأستعمال الأمثل للأصوات ، إذ جاء صوت (الدال) في نهاية الفقرة الثانية كي يعطي دلالة تشعر بالقوة وبالتأكيد ، أوحت به صفات هذا الصوت كونه صوتاً مجهوراً شديداً ((إنفجارياً))[٨٩٠] ، أي أنه يحدث أهتزازاً قوياً وصدى واضحاً نتيجة للضغط الذي يتم في مخرج الصوت ، وهذه الشدة تحدث في أذن السامع أثراً يستدعي الإنتباه والإستجابة ، لأنه الحرف الأخير الذي يقرع مسمعه ، لينتهي هذا الإيقاع المتوازن بنغمة موسيقية تميل إليها النفسُ ((لأن النفس أميل الى ترجيح النغم الطويل ذي التساوي الزمني ، الذي هو نتاج تساوي ألفاظ التراكيب المكررة المتشابهة في صيغتها غالباً))[٨٩١]

---

(887) شرح نهج البلاغة : ١٩ / ١٦٣ . مجمع الأمثال : ٢ / ٣٠٣ .
(888) م . ن : ٣ / ٧١ .
(889) دلالة الألفاظ : ٢٠٤ .
(890) ينظر : أصوات اللغة العربية : ١٣٢ .
(891) النثر الصوفي ، دراسة فنية تحليلية - د. فائز طه عمر ، ط١ ، ٢٠٠٤م – بغداد : ٣٣٤ .

، يضاف الى ذلك أن هذه التراكيب تحوي ضروباً من الإيقاعات التي أنتجها تكرار الحروف في داخل الجملة واللفظة ، إذ نجد تكراراً وفرهُ جناس الأشتقاق بين الألفاظ (فَعَلَ) و (فعْل) و(فر) و (فرار) وهو في حقيقته تكرار ليس بذات اللفظ إنما بما يشتق منهُ[٨٩٢] وهو ضرب من ضروب التكرار يُراد به ((تقوية نغمية لجرس الألفاظ))[٨٩٣] ويعطي هذا التكرار كثافة أكثر للنغم داخل النص مما يزيد في شدة تأثر المتلقي ، كما أنه ((يمثل مهارة في نظم الكلمات وبراعة في ترتيبها وتنسيقها ، تحدث نغماً موسيقياً ، يسترعي الآذان بألفاظهِ كما يسترعي العقول والقلوب بمعانيهِ))[٨٩٤] هذا ما يسعى إليه المثل في أي نص أدبي جاء ، وبأي طريقة صيغ ، وتحت أي شكل من أشكال القول وفنونهِ ورد، لأنه يمثل البؤرة التي ربما كانت مفتاحاً لفهم النص ، وأدراك مقاصد المنشيء من إيراد المثل .

ولما كان التناسب الصوتي هو الذي يحقق للنص نغمة موسيقية ، لجأ الإمام علي (□) إلى إحداث تغيرات في بنية بعض تراكيب أمثالهِ ليحقق الأزدواج المطلوب في المثل ، فمن ذلك قولهُ (□) واصفاً الخلافة ومن يتصدى للنهوض بأعبائها بأنه ((كراكب الصعبةِ ، إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم))[٨٩٥] ، فقوله (أشنق لها) جاء ليماثل قوله (أسلس لها) وقد عد الشريف الرضي هذا التغير من قبيل إحداث الإزدواج فقال ((إذا قال الإمام علي (□) أشنق لها ولم يقل أشنقها ، لأنه جعل ذلك في مقابلة قوله (أسلس لها) ، وهذا حسنٌ إذا قصدوا الإزدواج في الخطابة فعلوا مثل هذا ((قالوا الغدايا والعشايا والأصل الغدوات جمع غدوة))[٨٩٦] وسبب ذلك أنه ((قد يفوت الساجع غرضهُ ، وإذا رأيناهم يخرجون الكلمة عن أوضاعها للإزدواج))[٨٩٧] وقد يسمى هذا التغيير إتباعاً[٨٩٨] إذ يعد

---

(892) جرس الألفاظ : ٢٥٥ .
(893) م . ن : ٢٥٦ .
(894) موسيقى الشعر : ٤٥ .
(895) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٠٢ .
(896) م . ن : ١ / ١٠٢ .
(897) حسن التوسل : ٢٠٧ . نهاية الأرب في فنون الأدب - شهاب الدين النويري – المؤسسة المصرية للطباعة والنشر : ٧ / ١٠٣ .

((ظاهرة صوتية دلالية يصطنعها المتكلم للتعبير عن حالة وجدانية خاصة من الإثارة والأنفعال ، فهي رمز واضح لهذه الحالة النفسية وعلامة بينة للإفصاح عنها))[٨٩٩] فالإزدواج قد احدث نغماً موسيقياً حين وازن بين الفقرتين فأحدث إيقاعاً متشابهاً ، حملهُ هذا التغير في بنية التركيب اللغوي .

وهذا النوع من الإيقاعات المتساوية نجدهُ في قوله (□) واصفاً من يصمد في وجه عاتيات الزمن وصروفهُ بأنه ((كالجبل لا تحركهُ العواصف ، ولا تزيلهُ القواصف))[٩٠٠] ، ففي هذا القول توازن واضح بين الفقرتين ، كما أن المعنى يكاد يكون واحداً ، فإعادة هذه الصياغة جاءت لتحقق نغماً موسيقياً يسترعي أنتباه المتلقي ، وفيه دلالة التأكيد المقصود على المعنى الذي يحملهُ النص.

وهذه الظاهرة (الإزدواج) نلحظها في أمثالٍ كثيرة في نهج البلاغة[٩٠١].

٤ـ التكرار :

التكرار في التعبير الأدبي هو ((تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير ، بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصدهُ الناظم في شعرهِ أو نثرهِ))[٩٠٢]

والتكرار إسلوب أدبي من أساليب فن القول عند العرب ، أستعملوهُ في شعرهم ونثرهم وليس أدل من القرآن الكريم على وجود هذا الإسلوب عندهم ((لأن القرآن نزل بلغتهم ، وخاطبهم بما يألفون من أساليب القول ، وبكلامٍ يدركون موقعهِ ومراميه))[٩٠٣] وفيه دلالة على قيمة أدائهِ في التعبير البياني ، إذ وفر للقول دلالات معنوية وأخرى موسيقية ، يحتاجها العربي في التعبير عن ما في نفسهِ من حاجةٍ أو رغبة أو لذة .

---

(898) دلالة الألفاظ : ٢٠٤ .
(899) الإتباع في اللغة ـ د. حاكم الزيادي – مجلة القادسية عدد١ سنة ١٩٩٥م : ١٠٩ .
(900) شرح نهج البلاغة : ٢ / ١٦٦ .
(901) شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٧ ، ١ / ٨٩ ، ٥ / ٩٥ ، ٦ / ٢٢٩ ، ٧ / ٤٨ ، ١١ / ٨٢ ، ١٦ / ٥٧ ، ١٨ / ١٣ ، ١٨ / ١٠٤ ، ١٩ / ١٥ ... وغيرها
(902) جرس الألفاظ : ٢٣٩ .
(903) م . ن : ٢٤٠ .

فالتكرار وقعٌ جميلٌ إذا ما أحسن إستعمالهِ على أذن المتلقي ، وهذا ما كان يعرفهُ العربي إذ ((أن من سنن العرب التكرار والإعادة أرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر))[٩٠٤] وهذه العناية كانت تخضع لرقابةٍ شديدةٍ من ذوق عربي متمرس ، في هذا الفن وغيرهِ ، إذ كان بأستطاعة العربي أن يميز بين الغث والسمين من التكرار فأستقبح التكرارالذي تأتي فيه الحروف متقاربة من حيث المخرج لأن فيها صعوبة في النطق وأستعذب التكرار الذي تأتي فيه الحروف متباعدة ولا معاظلة في نطقها[٩٠٥] والى ذلك أشار أبن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) حين رأى ولع الشعراء والكتاب في زمانهِ بتكرار الألفاظ ، فقال ((حتى لا يكادُ كلام الواحد منهم يغفل عن كلمةٍ واحدةٍ ، فلا يعيدها في نظمهِ أو نثرهِ ومتى اعتبرت كلامهم وجدتهُ على هذه الصفة))[٩٠٦] وهذا ما يؤكد أن التكرار لا يعدُ عيباً إذا كان المعنى المقصود لا يتم إلا به ((فربما كانت الألفاظ المختارة يسهلُ الأمر في أعادتها وتكريرها إذا لم تقع إلا موقعها))[907] ، وهذا شرط يراهُ ضرورياً كي يضمن للمعنى سلامتهِ .

والتكرار لا يوفر للنص قيمةٍ معنوية فقط ، بل أنه يوفر قيمة موسيقية يحتاجها منشيء النص لجذب مسامع المتلقي والتأثير فيه ((لأن تكرار اللفظ يفيد قرع الأسماع وإثارة الأذهان))[٩٠٨] ، كما أنه يمثل قيمة نغمية يحدثها هذا الترجيح للألفاظ وضمن وحدات زمنية قد تطول أو تقصر ، والى هذا أشار السكاكي (ت٦٢٦هـ) إذ عدّ قيمة التكرار تكمن في ترجيع النغم وجعلهِ فناً من فنون الكلام[٩٠٩] إذ بإستطاعتهِ أن يوفر مظهراً موسيقياً للنص الأدبي عندما ((يردد الكلمة أو المقطع على شكل اللازمة الموسيقية أو النغم الأساس

---

(904) الصاحبي : ٧٧ .
(905) ينظر : سر الفصاحة : ٨٨ . والعمدة : ٢ / ٢٦١ .
(906) م . ن : ٩٥ .
(907) م . ن : ٩٦ .
(908) المثل السائر : ٣ / ١٥ .
(909) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٢٨.

الذي يعاد ليخلق جواً نغمياً ممتعاً))[٩١٠] ، يأخذ بأهتمام المتلقي ويثير في نفسهِ أحساسات المتعة والأستجابة والتكرار الذي يوفر هذه الدلالات لا يأتي إلا بإخضاع القول الى قوانين تتحكم في إحداث هذا الإيقاع أو النغم الموسيقي ، لأن الإيقاع يعتمدُ على قوانين ، وجب توفرها ومن هذه القوانين ((النظام والتساوي والتوازي والتوازن والتلازم والتكرار وهو أهم هذه القوانين))[٩١١] وهذا القانون الذي وفر نغماً موسيقياً للنص نجدهُ متحققاً في أمثال نهج البلاغة وعلى أشكال هي :

أ- تكرار الحروف :

إن من مظاهر التكرار في أمثال نهج البلاغة ، هي ظاهرة تكرار الحرف الواحد في نص المثل ولعدة مرات ، وبصورةٍ لافتةٍ للناظر ومسترعية للسامعِ ، وهذا التكرار لا يتم إلا لمسوغات أوجبتهُ كحاجة النص الى النغم الجميل أو حاجة المعنى الى التأكيد وهذا التكرار جاء بأنغام سلسلة لا أثقال فيها لأذن سامع ، ولا أجهاد فيها للناطق ومن ذلك قولهُ (□) ((إختلف النجر وتشتت الأمر))[٩١٢] ففي هذا المثل نلحظ تكراراً لحرف (التاء) فقد ورد في هذا النص (أربع مرات) وهو صوت شديد ، والشديد عند ابن جني (ت ٣٩٢هـ) هو ((الحرف الذي يمنع الصوت [الهواء] من أن يجري فيه))[٩١٣] فتكرار صوت شديد وبهذا العدد في مثل واحد يوحي بدلالة معنوية هي شدة الأختلاف ، وتمكنهِ بين الناس في ذلك الزمان كما يورث في مسامع المتلقي قرعاً قوياً ومكثفاً ، يولدُ أنغاماً موسيقية ذات طابع شديد الوقع على مسمع المتلقي ، وهذه الإيقاعات المتكررة بما تحملُ من صفات أصواتها التي ولدتها ، توقظ من تغافل عن فهم الأمر والنظر الى الحالة التي أشار إليها النص ، إذ الناس متفرقين لا يجمعهم جامع ولا يوحدهم قائد ، فجاء المثل ليصور حالتهم

---

(910) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة : ٣٣٨ .
(911) الأسس الجمالية في النقد الأدبي : ٢٢١ .
(912) شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٧ .
(913) سر صناعة الأعراب : ١ / ٦١ .

مستخدماً معطيات الصوت وصفاتهِ في الإيحاء بالدلالة في أثارة أنتباه من أنكر فضل الإسلام على الأمة أو حاول ذلك .

كما إننا نجدهُ (□) يكرر حرفاً آخر في مثل واحد كما في قوله ((ولتسلطن سوط القدر))[٩١٤] فقد ذكر حرف (السين) مرتين على مسافة زمنية قصيرة ، وهذا الحرف من الأصوات المهموسة المتوسطة[٩١٥] في الوضوح السمعي ، وهذه الصفة ربما أوحت بشيء أو بظل من ظلال المعنى كما أنها أحدثت نغماً موسيقياً أنبثق من خلال هذا التكرار لهذا الصوت وعلى مسافة زمنية قصيرة في نصٍ موجزٍ ،فأحدث في ذلك وقعاً في مسامع المتلقي ، أثار أنتباهاً لديه والى هذا يسعى النص وبه يحقق مقصدهِ .

وفي مثل آخر للإمام علي (□) يتكرر حرف الميم (أربع مرات) حيث يقول ((ما أنقضَ النوم لعزائم اليوم))[٩١٦] ، وصوت الميم هو صوت مجهور متوسط الشدة فهو واضحٌ في السمع ما أعطى للمثل إيقاعاً جميلاً حين أقترن صوت الميم بما جاورهُ من أصوات المد (صوت الألف) في لفظة (ما) التي أبتدأ بها قوله كما أنهُ (□) قد ختم قولهُ بصوت الميم أيضاً ليحدث ترجيعاً جميلاً يولد بما تكاثف معهُ من أصوات الميم المكررة داخل النص إيقاعاً موسيقياً جميلاً .

وهذا التميز النغمي والإيقاع الجميل المتولد من أعادة الأحرف ، نلحظهُ في نصوص أمثال نهج البلاغة ، إذ نجد أن كل مثل قد تميز بصوت معين أحدثهُ التكرار لأكثر من مرة ، ومن ذلك ما نجدهُ في تكرارهِ لحرف (القاف) في قولهِ (□) واصفاً معاوية ورادأ على تزيدهِ وإدعاءاتهِ بأنه قد وصل إلى مرحلة من الغي ((تقصر دونها الأنوق ويحاذي بها العيوق))[٩١٧] ، ففي هذا المثل تكرر صوت (القاف) وهو صوت عدهُ أبن

---

(914) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٥ .
(915) الأصوات اللغوية : ١٦٣ .
(916) شرح نهج البلاغة : ١١ / ٨٢.
(917) م . ن : ١٨ / ١٢ .

جني (ت ٣٩٢هـ) من الأصوات التي قال عنها بأنها ((مشربة تخفز في الوقف وتضغط عن مواضعها وهي [حروف القلقلة]لأنك لا تستطيع أن تقف عليها إلا بصوت ، وذلك لشدة الحفزّ والضغط))[٩١٨] ، وهذه الصفة تدلُ على ((المبالغة في الصوت لئلا يعتريه بعض الهمس))[٩١٩] ولعل هذه الصفة قد عمقت الدلالة التي قصدها المثل من جهة ، وأحدثت إيقاعاً قوياً كان متلائماً مع السياق الذي ورد فيه هذا النص ، لأنه قد سبق بألفاظ تكرر فيها صوت القاف ، إذ سبق هذا المثل قوله (□) : ((وترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام)) فصوت القاف كان صوتاً غالباً في النص ، واضحاً فيه ، وهذا ما سوّغ تكرار صوت (القاف) في نص المثل ، كما أن لصفة الجهر ، وهذه القلقلة التي تميز هذا الصوت أثرٌ في الأختيار ، إذ أن الموقف يتطلب الجهر والشدة ، لأنه ردٌ على باطل ، وأدحاض لأدعاء ، فلا بد من صوت عالٍ يجلجل ، كي يزلزل أسماع المدعين والسادرين بغيهم ، كما نجد تكرار الحروف في قولهِ (□) لمن مدحهُ وهو متهم له ، فقال موبخاً له ((أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك))[٩٢٠] ، ففي هذا القول تكرار حرف (الواو) أربع مرات ، وهو حرف صائت ، أي أنه حرف مد طويل ، والذي من صفاتهِ الوضوح التام في السمع ، لأنه ينطلق مع الهواء دون عائق أي أنه ((صوتاً هوائياً))[٩٢١] كما سماهُ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) .

وهذه الصفة التي يمتلكها هذا الصوت أستثمرها النصُ إستثماراً رائعاً لأنه كرر صوت (الواو) فأعطى نغماً واضحاً أنتجهُ الإيقاع المتولد من أعادة الصوت على مسمع المتلقي ، كما أنه قد كرر صوتاً آخر في هذا المثل وهو صوت (الفاء) الذي يمتاز بكونهِ ((صوتاً مجهوراً إحتكاكياً))[٩٢٢] ، إذ ورد هذا الصوت (ثلاث مرات) في نص المثل

---

(918) سر صناعة الأعراب : ١ / ٦٣ .
(919) الأصوات اللغوية : ٢٧٨ .
(920) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ١١٠ .
(921) ينظر : العين : ١ / ٦٤ .
(922) أصوات اللغة العربية : ١٤٣ .

وعلى مسافات زمنية متقاربة وهذا التكرار لصوت الفاء الذي يحدث حفيفاً عند النطق به قد أمتزج مع صوت (الواو) فأحدث نغماً موسيقياً جلياً مضافاً الى النغم الذي يولدهُ حفيف صوت الفاء ، وهذا يكسب النص كثافة موسيقية ، تعزز الإيقاع ، وتوفر لنص المثل مساحة نغمية أوسع ، تترك تأثيراً على المتلقي لأنها تقرع سمعهِ بأصوات مكررة ، وعلى مسافات متقاربة ، تساعدُ في إثراء الجو الموسيقي للألفاظ وتعملُ على جذب أنتباه السامع وتحريك إدراكهِ ، وهذا مقصد من مقاصد المثل ، وهدف يسعى إليه منشيء النص ، إذ أن من أولى مهام المثل هو تقريب الفهم ، وإيصال الفكرة بأسهل الطرق ، وإحداث الرغبة في سماع القول لإمتلاكهِ أنغاماً تستحوذ على نفس السامع فتشدهُ الى القول ، فتحدث صلةٌ ودية بينه وبين النص ، وتفاعلاً يؤدي الى أدراك المعنى وفهم القصد .

إن تكرار الأصوات نلمسهُ بوضوحٍ في كثير من أمثال نهج البلاغة ، مما ميز أمثالاً بأصوات خاصة بها ، وتلك إيقاعات تورث في المتلقي حب الأستماع .

وفي نهج البلاغة كثيرٌ من هذه الأمثال[٩٢٣]

ب – تكرار المقاطع :

في أمثال نهج البلاغة نجد تكراراً لمقاطع صوتية ، وهذا التكرار قادر على إحداث أنغام موسيقية جميلة ، قصد منشؤها منها جذب إنتباه السامع ، لكي يحقق لنصهِ ما يريد من تأثير قد يتخذ شكل أستجابة لفكرةٍ أو تنبيهاً لأمرٍ ، أو توبيخاً لجاهل معاند أو تقويماً لمخطيء ، فتكرار المقطع الصوتي في داخل اللفظة أو النص أكثر تأثيراً في السمع من تكرار الحروف ، لأنه يعيد على أذن السامع مقطع تشكل ، واستوعبتهُ مسامعه ، وأدركت إيقاعاتهِ فإذا به يُعاد مرة أخرى وبدون فاصلة أو تغيير في مواقع الأصوات ، وهذا يُحدث تأكيداً للنغم وقرعاً للسمع متناسق متساوٍ في زمنهِ وفي صفات أصواتهِ فمن ذلك ما ورد

---

(923) ينظر : شرح نهج البلاغة : ١ / ٨٧ ، ١ / ١٤٨ ، ١ / ١٧١ ، ٣ / ١٧١ ، ٦ / ٨٦ ، ٧ / ٤٧ ، ١١ / ٨٢ ، ١٦ / ٦٧ ، ١٨ / ٢٨ ، ١٨ / ١٠١ ، ١٨ / ١٦٢ ... وغيرها .

في قوله (□) واصفاً حديثاً له بأنه ((شقشقةٌ هدرت ثم قرت))[٩٢٤] وهذا المثل قد تطرق له البحث في الفصول السابقة وحللهُ وأبان معانيه ودلالاته إلا إننا في هذه الفقرة من البحث نركز على الإيقاع الذي تولد من تكرار المقطع الصوتي (شق) في لفظة (شقشقة) فهذا المقطع هو مقطع صوتي تكون من صوت الشين وهو صوت صامت (صحيح) والفتحة هي حرف مد قصير وحرف القاف وهو صوت من أصوات القلقلة ، صوت مجهور شديد[٩٢٥] وهذا المقطع الصوتي المتكون من هذه الأصوات الثلاثة ، هو مقطع صوتي مغلق[٩٢٦] ، أعيد مرة أخرى بدون أي فاصل ، مما أحدث إيقاعاً بارزاً في النص ولّدهُ هذا التكثيف للأصوات في الوحدة الزمنية القصيرة وهذا التناسب الدقيق والنظام الذي جاء به ، فتحقق للإيقاع قانونين من قوانينه هما النظام والتكرار[٩٢٧] ، مما أكسبه عمقاً أكثر وتمكناً واضحاً في أذن المتلقي ، أكسب النص القدرة على أثارة أنتباه السامع وشد أحاسيسه الى هذا القول الجميل .

كما نجد هذا التكرار في قوله (□) واصفاً مسجد البصرة ، مبلغاً عن حالة تحصل له في الزمن القادم على زمن إنشاء النص فهو ((كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة))[٩٢٨] ، فقد تكرر المقطع الصوتي (جؤ) مرة أخرى في نفس الكلمة ومن دون أي فاصل ، وهو مقطع صوتي مغلق ، جاء مكرراً في الكلمة مما أكسبها إيقاعاً واضحاً يستعذب أسماع المتلقين ، ويعطي للنص صفة مميزة وهي متولدة من هذه الأصوات المكررة وبإنتظام في وحدة زمنية قصيرة ، فكأنما يردد نغماً جلياً، إذ يعد ذلك بمثابة اللازمة الموسيقية في النص ، تترك أثراً نفسياً لدى المتلقي ، وتشدُ سمعه وإنتباهه أليها .

---

(924) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٢٨ .
(925) ينظر : أصوات اللغة العربية : ١٤٣ / ١٤٥ .
(926) دراسة الصوت اللغوي - د. أحمد مختار عمر- مطابع سجل العرب - ط١ ، ١٩٧٦م : ٢٤٨ .
(927) ينظر : الأسس الجمالية للنقد الأدبي : ٢٢١ – ٢٢٢ .
(928) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٥٣ .

وقد تتظافر في النص روافد عديدة للإيقاع كالجناس الذي يعد أشهر أنواع التكرار على إختلاف أنواعهِ وتعددها ، فالتكرار في الكلمة أو تكرار المقطع في كلمة داخل النص ، مما يزيد في كثافة الإيقاع ويقوي جرس الألفاظ ويساعدُ على أثارة المتلقي ، ومن هذا التلازم بين روافد الإيقاع وتشابكها وإنتظامها ما نجدهُ في قوله (□) واصفاً حال قومه محذراً إياهم من فتن الزمان وصروفه ((لتبلبلنَّ بلبلةً ولتغربلنَّ غربلة))[٩٢٩] ففي نص هذا المثل تكاثفت الأصوات وأمتزجت ، وفرها الجناس وزادها جمالاً هذا التكرار للمقطع المغلق (بل) في لفظة (بلبلة) فأحدث كل هذا التعاضد ما بين الأصوات وتواردها في صورة منتظمة متسقة إيقاعاً مميزاً ، يمتلك القدرة على جذب أنتباه المتلقي ، لما أمتلكهُ من إيقاعات متوالية منتظمة ، فهي تتشكل في وحدة زمنية فتؤلف من مجموع هذه الروافد التي صقلها النظام الذي جاءت به والذي مزج بين أصواتها المتجانسة نغمةً موسيقية وإيقاعاً متميزاً عضدهُ قصر الفقرات المسجوعة مما يدلُ على ((قوة التمكن وأحكام الصنعة))[٩٣٠] التي ميزت هذه الصيغة الدقيقة التي أستطاعت أن تستثمر مجموع هذه الأصوات لتحدث نغماً موسيقياً متكرراً أسهم في الإيحاءِ بالمعنى ، لأن البلبلة هي تحرك وارتجاع وعدم إستقرار وهذا ربما ولدهُ هذا المزج بين الأصوات وهذا الترتيب الذي جاءت به وهي تتكرر تباعاً إذ تكرر حرف الباء (ست مرات) وتكرر حرف اللام (ثمان مرات) وتكرر حرف الهاء (مرتين)، كل هذا التكرار أنتج إيقاعاً صاخباً ، فهو متميز وقادر على جذب أنتباه المتلقي ، وربما إسعادهُ بتحريك مكامن الإحساس للنغم الجميل والإيقاع الرشيق ، وتلك فطرة الناس في حبهم للأنغام والموسيقى ، وهذا الإيقاع الجميل نجدهُ في قولهُ (□) الذي يصف فيه الخائفين المتخاذلين بأنهم ينفرون من الحرب ((نفور المعزى من وعوعة

---

(929) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٦٥ .
(930) حسن التوسل : ٢١٣ .

الأسد))[٩٣١] ففي هذا النص نلحظ ورود لفظة (وعوعة) وهي متكونة من تكرار المقطع الصوتي المغلق (وع) الذي يتكون من حرف المد الطويل (الواو) والفتحة وهي حرف مد قصير وحرف العين وهو من الحروف الصحيحة (الصامتة) وهو عند سيبويه (ت١٨٠هـ) مترجرج الصفة إذ يقول ((وأما العين فبين الرخوة والشديدة))[٩٣٢] وهو عند المحدثين من الأصوات المتوسطة"[٩٣٣] وقد يكون لهذه الصفة أثرٌ في الدلالة على معناهُ .

وهذا التكرار لهذا المقطع الصوتي قد ولّد إيقاعاً خاصاً تميزت به اللفظة وأكسبت النص نغماً موسيقياً ، أحدثهُ هذا التنظيم للأصوات في الزمن وهذا التكرار لها أكسبها إيقاعاً واضحاً . كما نجد هذا التكرار للمقطع الصوتي متحققاً في قوله (□) واصفاً المتعلق بالدنيا قائلاً عنه ((المتعلق بها كالوغل المدفع والمنوط المذبذب))[٩٣٤] فجاء بلفظة (المذبذب) وهي تشعرنا بتكرار مقطع صوتي متكون من حرف الذال والفتحة وهي حرف قصير والباء وهي حرف مجهور شديد[٩٣٥] وهذا ما كوّن مقطعاً صوتياً مغلقاً أعيد وبدون أي فاصل مما ولد إيقاعاً واضحاً في المثل وأكسب النص نغماً موسيقياً متميزاً ، وأستطاع هذا الإيقاع أن يحدث أنتباهاً لدى المتلقي الى نص المثل وبذلك يحقق غرضاً سعى له منشيء النص ، وهو إيضاح الفكرة وإحداث الإستجابة ، ولاتتم هذه إلا بالإستعمال الدقيق للألفاظ وأستثمار صفات أصواتها وصياغتها صياغة دقيقة تجلب أنتباه السامع وتحقق إيصال الفكرة إليه .

جـ - تكرار الكلمات :

في أمثال نهج البلاغة ، قد ترد الكلمة مكررة ، ولا يتم ذلك إلا لقصد معنوي يقتضيه سياق الموقف كتأكيد لدلالةٍ ، أو إيضاح لإبهام ، أو لقصد لا يتم إدراكهِ إلا من خلال هذا

---

(931) شرح نهج البلاغة : ٨ / ١٥٥ .
(932) الكتاب : ٤ / ٤٣٥ .
(933) الأصوات اللغوية : ١٨١ .
(934) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٠٣ .
(935) أصوات اللغة العربية : ١٤٣ .

التكرار ، كما أنه يوفر دلالة موسيقية هي حاجة ماسة وضرورة لنص المثل الذي يسعى دائماً الى الإنتشار والذيوع ، لابد له من مظهر لفظي جميل ، لا يأتي إلا بتوفر أجواء نغمية قادرة على أثارة أنتباه المتلقي ، وتوفير المتعة الى نفسهِ ، وهذا النغم قد يأتي من تكرار لفظة أو كلمةٍ ، إذ أن أعادة كلمة في نص المثل ، يعني إعادة للأصوات بالترتيب الذي أدركهُ سمع المتلقي ، وهذا يمثلُ تكثيفاً للأصوات وتركيزاً عليها ، يولد جمالية في الأداء إذ نلحظ إن الإمام علي (□)قد لجأ إلى ((تكرار النغمة ذاتها بلا فاصل حسبما يريد المعنى من إصابة المقدار المطلوب من التأثير في إذن المخاطب ونفسه وعقله))[٩٣٦] لما لها من وقع جميل ، إمتلكتهُ من صفات الأصوات وجرسها الذي له تأثير يتفاوت بين القوي والضعيف ، والجميل والمستكره ، والعذب والثقيل على السمع ، ومثل هذا النوع من التكرار نجدهُ في قولهِ (□) ((كيت وكيت)) [٩٣٧] الذي يصفُ فيه من يُكثر الكلام ولا يأتي بعملٍ صالح ، فهذا المثل جاء في سياق ذمٍ لهؤلاء ، وهذا التكرار الذي جاء به المثل أفاد تأكيد المعنى ، كما أفاد إحداث وقع موسيقي تحقق من تكرار الكلمة (كيت) مرة ثانية في النص بعد أن فصلها عن سابقتها بحرف يمتاز بالوضوح الصوتي وهو المد القصير[٩٣٨] (الواو) الذي مكن النص من إظهار إيقاعٍ مكررٍ دون أن تكون هنالك فاصلة زمنية طويلة ، وقد تثقل النص وتبادل ما بين الأصوات ، فهذا التكرار السريع أحدث وقعاً متقارباً ومتجانساً في مسمع المتلقي ، فأثار إنتباههُ.

كما نجد هذا النوع من التكرار في قوله (□) واصفاً من تغيرت طباعه الإنسانية ، ولم يبقَ له من الإنسانية إلا الشكل فقط ، فإذا ((الصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان))[٩٣٩] فقد كرر كلمتي (الصورة) و (القلب) في النص ليحدث غايتين ، غاية معنوية

---

(936) البديع – تأصيل وتجديد : ٨٣ .
(937) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٦٧ .
(938) ينظر أصوات اللغة العربية : ١٤٣ .
(939) شرح نهج البلاغة : ٦ / ٢٢٦ .

معنوية ، تؤكد المعنى ، وتزيدهُ إيضاحاً ، وغاية موسيقية تحدثُ في النص إيقاعاً موسيقياً يجتذب إليه أسماع المتلقين ، ويوفرُ للنص جمالية في الشكل للأداء ، إذ أن تكرير الكلمة ومن دون فاصلة ، هو طرق متوالٍ على مسمعٍ أثارهُ هذا الصوت ، وشدهُ إليه هذا التكثيف للأصوات في الوحدة الزمنية القصيرة دون أن يخالطها صوت آخر ، يولد نغمة مخالفة ، تخفف التركيز ، فذهب بالمتعةِ ، والإثارة بعيداً .

فهذا التكرار للكلمة جاء من دون فاصلة ، وقد يأتي تكرار الكلمة في نص المثل على مسافة أبعد، إذ قد يفصل بين الكلمة ومكررها ، بحرفٍ أو كلمةٍ أو جملةٍ ، فمن ما جاء على هذه الحالة قولهُ(□) ((كل متوقعٍ آتٍ وكل آتٍ قريب دان))[٩٤٠] ففي هذا المثل تكررت كلمتان هما (كل) و (آت) ، كلمة (كل) جاءت في بداية الجملة الأولى وكُررت في بداية الجملة الثانية بعد أن عُطِفت بحرف العطف (الواو) وهذا التكرار يوفرُ للجملتين إيقاعاً موسيقياً متشابهاً ، يقرع سمع المتلقي ، فيترك فيه إحساساً لهذه النغمة الموسيقية المتولدة من أصواتٍ مكررة ، كما أن هذا النص قد كرر كلمة (آت) ، فجاء بها في آخر الفقرة الأولى ، ثم أعادها بعد مقطع صوتي طويل تمثل في كلمة (وكل) فهذا التناوب بين الأصوات والعادة يولد إيقاعاً موسيقياً ، يمنح النص تميزاً ويكسبهُ جمالية في الأداءِ .

وقد يأتي تكرار الكلمة تكراراً متوازناً لأنهُ أستعمل الكلمة في بداية كل من جملتين متوازنتين وهذا ما نجدهُ في قولهِ (□) ((مثلُ من خبر الدنيا كمثل قومٍ سفر))[٩٤١] فقد كرر كلمة (مثل) في بداية الجملة الثانية بعد أن فصل بين الكلمة ومكررها بجملة ، وأن هذا التكرار يأتي كي يوفر للنص نغمة موسيقية ويؤكد الدلالة ، فقد أستطاع هذا التكرار أن يمنح النص إيقاعاً قرع أسماع المتلقين في بداية النص وأعادهُ في وسطهِ ، ومن دون أن يخل هذا التكرار بجمالية التركيب ، إذ أن التكرار يجب أن يأتي في العبارة في موضع لا

---

(940) م . ن : ٧ / ٦٢ .
(941) م . ن : ١٦ ٤٩ .

يثقلها ، ولا يميل بوزنها الى جهة ما[٩٤٢] وهذا التوازن متحقق في هذه العبارة وفي أمثال نهج البلاغة التي سبق أن أشرنا إليها ، لأن التوازن هو أحد قوانين الإيقاع، كما التكرار قانوناً مهماً من قوانين الإيقاع [٩٤٣] .

وقد يأتي تكرار الكلمة في النص بعد فاصلة تكون شبه جملة كما في قوله (□) واصفاً ((الدهر بأنه يومان : يوم لك ويوم عليك))[٩٤٤] فجاء بكلمة (يوم) مكررة في النص بعد أن فصلها بشبه الجملة (لك) وهذا الفصل القصير بين الكلمة ومكررها ، يُحدث إيقاعاً أقل شدة من الإيقاع الذي يوفره التكرار المباشر ومن دون فواصل بين الكلمة ومكررها ، وقد يكون لكل من هذه الأنواع من التكرار مسوغات أوجبتها وسياق قد فرض شكلاً يلائم ما ورد من تراكيب لغوية سبقتهُ وآثر أن يوافقها ، وأن ينسجم معها ، حتى يكون للنص الأدبي خطبة كان أو رسالة أو وصية ، إيقاعاً موسيقياً متوازناً ، يستعذبهُ السامع ولا يثقلُ عليهِ ، لأن التناسب والتوازن والنظام في الإيقاعات أمور لابد من توفرها بالنص حتى يخرج النص نصاً إبداعياً ، يحمل دلالات جمالية وفنية مميزة، تساعدُ في أدراك المعنى وفي إحداث الأستجابة لأن الأستجابة لا تحدث إلا بإثارة أحاسيس المتلقي، ومنشيء النص دائماً يراعي ذلك ، من خلال إثارة حاسة البصر وهو يقدم الصورة ، وإثارة حاسة السمع وهو يقدم الإيقاع الرشيق ، والنغمة الموسيقية الجميلة كل هذه تتضافر فتولد حسنة للنص من جمالية في الأداء ودقة في المعنى .

وهذه الإثارات الحسية السمعية نلمسها في أمثال أخرى في نهج البلاغة[٩٤٥] .

---

(942) قضايا الشعر المعاصر - د. نازك الملائكة ، ط١ ، بيروت ١٩٧٩م : ٢٦٦ .

(943) ينظر الأسس الجمالية للنقد الأدبي : ٢٢١ .

(944) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ٣٥ .

(945) ينظر : م . ن : ٦ / ٢١٥ ، ٧ / ٤٧ ، ١٨ / ٢٢ ، ١٨ / ٧٣ ، ١٨ / ١٣٠... وغيرها .

الخاتمة

ويسلمنا البحث إلى خاتمتهِ ، بعد طوافٍ ممتع لا يخلو من تعب ، في سفرٍ خالدٍ ضم روائع البلاغة، ومحاسن كلام العرب ، فهو البلاغة الصافية ، التي تجلت في خطب الإمام علي (□) ورسائلهِ ووصاياه التي ضمت في جنباتها أمثالاً ، صارت هدف البحث وغايتهِ ، فأنتج مايلي :

* أن المثل في نهج البلاغة ورد على أنواع مختلفة ، فهو مثل قرآني ، أستعملهُ الإمام علي (□) في نص كلامهِ ، إيضاحاً لمعنى ، وإيغالاً في الدلالة ، وجمالية في النص كما أستعمل الحديث النبوي الشريف بنصهِ مثلاً لما له من قدرةٍ فائقة في التأثير في المخاطبين .

* ان المثل في نهج البلاغة جاء شعراً ايضاً وذلك لما يمتلكه الشعر من قوة تأثير لدى المتلقي العربي لما له من قدرة على التشبيه والمقابلة فقد استمد الإمام علي (□) شيئاً من شعر العرب لفظاً أو معنى.

* أنّ الإمام علي (□) إستمدَ كثيراً من المعاني القرآنية التي شكلت منهجهِ وكونت أفكارهِ ، فصاغ منها أمثالاً بجمل موجزة بليغة ثرة بالمعاني ، كما أستمد من الحديث النبوي الشريف معاني فانتج منها أمثالاً ، أتخذت أسلوباً ملائماً لسياق النص الذي وردت فيه ، فهي تدور في فلك المعنى ، وفي الأسلوب تختلف .

* أنّ الإمام علي (□) وهو صاحب الرأي السديد والحكمة البالغة ، كان قادراً على صياغة أمثالٍ ظلت تحمل سمات قولهِ وتوحي بدلالة فعلهِ وتشير الى زمان ومكان حدوثها ، أمتازت بصفات تطرق البحث إليها وأبرز أهم جوانبها .

* أساليب المثل الذي يصوغه الإمام علي (□) هي أساليب القول العربي التي أحسن إستعمالها، فهي أساليب خبرية ، تنوعت بين جملٍ أسمية حملت دلالة الثبوت ، عندما دل

على صفة لازمت حالة أو تقمصتها فهي أمثال تنطقُ بالثبوت وتدلُ على معنى ظاهر وتوحي بمعانٍ أدق واجمل .

أو جملٍ فعلية دلت على الحالة المتحركة للحدث والظرف الذي ولدت فيه ، أو صورت صفة عارضة او متجددة لحدث يمتلك الاستمرارية في التجدد والحدوث .

وهي أيضاً أمثالٌ صيغت صياغة اعتمدت الجملة الشرطية أساساً في نقل الدلالة حين أراد بها العموم ومتجاوزاً الحاضر إلى المستقبل والخاص الى العام .

* إذا كانت الأساليب الإنشائية قادرة على أداء المعنى ونقل الإنفعال ، فأن الإمام علي (□) لم يغفل ذلك ، فصاغ لنا أمثالاً جاءت وفق أسلوب الأمر أو النهي أو الدعاء أو التمني ، فهي تصور الحالة النفسية التي كان عليها الإمام (□) وتنقل دفء الحدث وتكشف عن أحاسيس الإمام علي (□) التي امتدت بين الحزن والفرح وبين الضجر والرضا ، فنقلت لنا وبدقة ما كان يدور في حياة الإمام علي (□) وحياة الأمة .

* أنّ دقة الأمثال تجلت في إصابتها للمعنى حين أستثمرت تغيرات تراكيب الجمل أساساً لنقل المعنى ، فالتقديم والتأخير ، أو الإيجاز أو الوصل والفصل أو التعريف والتنكير كل هذه الأحوال أوجدتها الحالة التي انتجت المثل ، فجاء منسجماً ، دقيقاً ، واضحاً ، متمكناً ، في أداء المعنى الذي توفره خصائص التراكيب هذه وطبقها فأحسن وأبدع .

* أنّ الأمثال التي صاغها الإمام علي (□) إمتازت بقيم تصويرية ، فجاءت أغلب هذه الأمثال وهي تصور الحدث الذي ولدت فيه بطرق مختلفة ، فهي تتسق مع الواقع وتبتعد عن التقليد ، فهي صور حسية من واقع العرب البيئي والحياتي ، قريبة إلى فهمهم ، فهي صور صيغت وفق أساليب مختلفة ، فهي أما صور إعتمدت أسلوب التشبيه بأنواعهِ المختلفة وبالقدر الذي بإستطاعة كل أسلوب أن يوفرهُ من دلالة ويحقق من إيضاح وتاكيد يعتمد على مطابقة الصورة للحالة والمقام .

أو جاءت صور الأمثال في أحيانٍ أخرى صورٌ مجسدة أعتمدت الأساليب البلاغية من إستعارةٍ وكنايةٍ ومجاز وأحياناً أخرى جاءت صور الأمثال صوراً أنتجها أسلوب التشخيص الذي يوغل في أداء المعنى فيكسبه صفاتٍ أكثر وضوحاً ودقة .

* أنّ الأمثال في نهج البلاغة لم تغفل ما للإيقاع والموسيقى من أهمية في إيصال المعنى وفي إثارة إنتباه المتلقي ، فهي تصدحُ بالألفاظ المتناسقة والأصوات الجميلة ، حتى نكاد نميز كل مثل بصوت بارز فيه ، ظل يتردد محدثاً نغماً جميلاً ، ويظل يحمل أو يوحي بدلالة ومعنى أعمق ، عندما أستثمر خصائص الأصوات في النص إستثماراً موفقاً ، كي تكون رافداً آخر يضاف الى الصورة في دقة الإبلاغ ، وفي الإتيان بالجمال الذي كان قادراً على صياغتهِ ، وأنه الإمام علي (□) القادر على الإبداع ، المتمكن من لغتهِ وأدائهِ ، فهو سيد بلغاء هذه الأمة وإمامها .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- الآداب – جعفر بن محمد بن شمس الخلافة (ت ٦٢٢هـ) – مطبعة السعادة – مصر – ١٩٣١م .

- أبو تمام حياتهُ وحياة شعرهُ – محمد نجيب البهبيتي - دار الفكر – دمشق – ١٩٧٠م .

- الإتقان في علوم القرآن - أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)- تحقيق - محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة الحلبي – القاهرة – ١٩٥١م .

- الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى أبن المعتز - مجيد عبد الحميد ناجي– مطبعة الآداب – النجف الأشرف – ١٩٧٦م .

- أثر القرآن في الأدب العربي - د. أبتسام مرهون الصفار – مطبعة اليرموك – ط١– بغداد– ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

- أدب السياسة في العصر الأموي - د. أحمد محمد الحوفي – مطبعة العالم العربي – القاهرة– ١٩٥٩م .

- أدب الكاتب - أبن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) – تحقيق - محمد محيي الدين عبد الحميد - ط٣ – القاهرة – ١٩٥٨م .

- أساس البلاغة - أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تحقيق - محمد باسل عيون السود – ط١ – دار الكتب العلمية – بيروت.

- الأساليب الإنشائية في النحو العربي - عبد السلام هارون – ط٢ – مكتبة الخانجي – مصر– ١٣٩٩هـ .

- أساليب البيان في القرآن الكريم - سيد جعفر الحسيني – مؤسسة الطباعة والنشر – ط١ – طهران– ١٤١٣هـ .

- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين – د. قيس اسماعيل الأوسي – جامعة بغداد – ١٩٨٨م .
- أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) – تحقيق - د. عبد الحميد هنداوي – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – ط١ – بيروت– ٢٠٠١م .
- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم - شلتاغ عبود – دار المحجة البيضاء – ط١ – بيروت – ١٤٢٤هـ .
- الأسس الجمالية في النقد الأدبي - د. عز الدين إسماعيل – دار الفكر العربي – ط٢ – القاهرة– ١٩٦٨م .
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية - د.مجيد عبد الحميد ناجي – ط١- بيروت – ١٩٨٤م .
- الإسلام والأدب - د. محمود البستاني – المكتبة المختصة – مطبعة ستارة – ط١– قم – ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- الإسلوب - أحمد الشايب – مكتبة النهضة العربية – ط٧ – القاهرة – ١٩٧٦م .
- الإسلوب – دراسة لغوية احصائية – د. سعد مصلوح – عالم الكتب – ط٣ – القاهرة – ١٩٩٢ .
- الإسلوب والإسلوبية - كراهام هاف – ترجمة - سعد الدين – دار آفاق عربية – بغداد – ١٩٨٥م .
- الإسلوبيه والإسلوب (نحو بدل السني في نقد الأدب) - عبد السلام المسدي- الدار العربية للكتاب – تونس - ١٩٧٧م.
- الأشباه والنظائر في النحو - جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) – تحقيق طه عبد الرؤوف سعد – القاهرة – ١٩٧٥م .

- إشكاليات القراءة وآليات التأويل - نصر حامد أبو زيد – المركز الثقافي العربي – ط٦– ٢٠٠١م .
- أصوات اللغة العربية - د. عبد الغفار حامد هلال – مكتبة وهبة – ط٣– القاهرة – ١٩٩٦م.
- الأصوات اللغوية - د. إبراهيم أنيس – مكتبة الآنجلو المصرية – القاهرة (د.ت) .
- أصول البيان العربي – رؤية بلاغية معاصرة – د. محمد حسين الصغير – دار الشؤون الثقافية – بغداد – ١٩٨٦م .
- إعجاز القرآن - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) – تحقيق - أحمد صقر – دار المعارف – مصر – ١٩٦٣م .
- الاقتباس من القرآن الكريم – أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) – تحقيق - أبتسام مرهون الصفار – دار الحرية – بغداد – ١٩٧٥م .
- الألسنية محاضرات في علم الدلالة - د.نسيم عون – دار الفارابي – بيروت .
- الإمام علي (ع) سيرتهُ وقيادتهُ في ضوء المنهج التحليلي – د. محمد حسين الصغير – مؤسسة العارف – ط١ – لبنان– ٢٠٠٢م .
- الإمتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ) – صححه وشرح غريبه - أحمد أمين وأحمد الزين – لجنة التأليف والترجمة والنشر – مصر – ١٩٣٩م .
- الأمثال العامية في نجد - محمد العبودي – دار إحياء الكتب العربية – مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة – ١٩٥٩م .
- الأمثال العربية القديمة – رودولف زلهايم – ترجمة - رمضان عبد التواب – دار الأمانة– ط١– بيروت .
- الأمثال العربية والعصر الجاهلي - دراسة تحليلية - د. محمد توفيق أبو علي – دار النقاش – ط١ – ١٩٨٨م .

- الأمثال في القرآن الكريم - د. محمد جابر فياض – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – الرياض – ١٩٩٥م .
- الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى – د. عبد المجيد عابدين – مكتبة مصر – ط١ – القاهرة– ١٩٥٩م .
- - الأمثال الكامنة في القرآن الكريم – الحسين بن الفضل (ت٢٨٢هـ) – تحقيق د. علي حسين النواب – مكتبة التوبة – الرياض – ١٩٩٢م .
- الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة - محمد الغروي – مؤسسة النشر الإسلامي – ط٣ – قم– ٢٠٠٢م .
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن - محب الدين أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) – دار الكتب العلمية – ط١ – بيروت– ١٣٩٩م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي (ت٦٨٥هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٢٤هـ .
- أنوار الربيع في أنواع البديع – السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) – حققهُ - شاكر هادي شاكر – مطبعة النعمان – النجف الأشرف ١٩٦٨م .
- الإيجاز والإعجاز - أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ) دار الرائد – بيروت – لبنان – ١٩٨٣م .
- الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) – تحقيق - محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتاب اللبناني – ط٥ – بيروت– ١٩٨٠م .
- البحث الدلالي عند إبن سينا - د. مشكور كاظم العوادي – دار سلوني – بيروت – ٢٠٠٣م.

- بحوث بلاغية - د. أحمد مطلوب – مطبوعات المجمع العلمي العراقي – بغداد – ١٩٩٩م.
- البديع – تأصيل وتجديد – د. منير سلطان – دار المعارف – الإسكندرية – مصر – ١٩٨٦م .
- بديع القرآن – أبو الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) – تحقيق - د. حفني محمد شرف – دار نهضة مصر – القاهرة (د.ت) .
- البرهان في علوم القرآ ن - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) – تحقيق -محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – مصر – ١٩٧٠م .
- بلاغة الخطاب وعلم النص - د. صلاح فضل – عالم المعرفة – الكويت – ١٩٩٢م .
- البلاغة العربية فنونها وأفنانها - د. فاضل حسن عباس – دار الفرقان – ط٣ – عمان– ١٩٩٢م .
- البلاغة العربية قراءة اخرى - د. محمد عبد المطلب – الشركة المصرية - العالمية للنشر– لونجمان – ط١– القاهرة - ١٩٩٧م .
- البلاغة والإسلوبية - د. محمد عبد المطلب – مكتبة لبنان – ناشرون : الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – ط١ – القاهرة– ١٩٩٤م .
- البلاغة والتطبيق - د. أحمد مطلوب ، د. كامل حسن البصير – ط٢ – بغداد – ١٩٩٠م.
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي : د. كامل حسن البصير – مطبعة المجمع العلمي العراقي – ١٩٨٧م .
- البنى الإسلوبية في النص الشعري – دراسة تطبيقية - د. راشد حمد بن هاشل الحسيني – دار الحكمة – ط١ – لندن– ٢٠٠٤م .

- البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) – تحقيق وشرح - عبد السلام هارون– دار الفكر – ط٤ – ١٩٤٨م .
- تاج العروس من جواهر القاموس – الإمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي – دراسة وتحقيق – علي شيري – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – ط١ – بيروت – ١٩٩٤م .
- تأريخ الأدب العربي - برو كلمان – أشرف على الترجمة - د. محمد فهمي حجازي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٣م .
- تاريخ التراث العربي – د. فؤاد سزكين – ترجمة - محمد حجازي – مطبوعات جامعة الإمام– الرياض – ١٤٠٣هـ .
- تأريخ النقد الأدبي عند العرب - د. عبد العزيز عتيق – دار النهضة العربية – ط٢ – بيروت– ١٣٩٣هـ .
- التبيان في تفسير القرآن – ابو جعفر محمد الطوسي (ت٤٦٠هـ) – تحقيق - احمد حبيب القصير – المطبعة العلمية – النجف الأشرف – ١٩٥٧م .
- التبيان في علوم المعاني والبديع في علوم البيان - للعلامه شرف الدين حسين محمد الطيبي ت٧٤٣هـ - تحقيق وتقديم - د. هادي عطيه مطر الهلالي - عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية – ط١ - بيروت - ١٩٨٧م .
- تحليل الخطاب الشعري (أستراتيجية التناص) - محمد مفتاح – دار التنوير – ط١– بيروت– ١٩٨٥م .
- التراكيب أللغويه في العربية - دارسه وصفية تطبيقيه- هادي نهر- بغداد - ١٩٨٧م.
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني - عبد الفتاح لاشين – دار المريخ – الرياض – المملكة العربية السعودية .

- التشبيه البليغ – هل يرقى إلى درجة المجاز - د. عبد العظيم إبراهيم المطعني – دار الأنصار – القاهرة – ١٩٨٠م .
- التعبير القرآني - د. فاضل صالح السامرائي – جامعة بغداد – بيت الحكمة – ١٩٨٧م.
- التعبير الموسيقي - د. فؤاد زكريا – مكتبة مصر – ط١ – ١٩٨٠م .
- التعريفات - أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت٨١٦هـ) – طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية – العامة – بغداد .
- تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار - محمد رضا رشيد – منشأ المنار – دار الفكر للطباعة والنشر .
- التفكير البلاغي عند العرب - د. حمادي حمود – منشورات الجامعة التونسية – ١٩٨١م.
- التمثيل والمحاضرة – ابو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) – تحقيق – عبد الفتاح محمد الحلو– مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة – ١٩٦١م .
- التناص نظرياً وتطبيقياً - أحمد الزغبي – مؤسسة عمون للنشر والتوزيع – ط٢– الأردن– ٢٠٠٠م .
- التناص والتلقي - د. محمد الجعافرة – دارالكندي – ط١ – بيروت – ٢٠٠٣م .
- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني- حققها - محمد خلف الله و محمد زغلول سلام - دار المعارف - مصر.
- ثمرات الأوراق في المحاضرات - ابن حجه الحموي (ت ٨٣٧م) مطبوع على هامش المستطرف راجعه -عبد العزيز سيد الاهل – مطبعة المشهد الحسيني _ مصر.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) – قدم له - خليل الميس وخرج أحاديثه صدقي الصفار – دار الفكر – بيروت – ١٤١٥هـ .

- الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) – تحقيق - سالم مصطفى البدري – دار الكتب العلمية – ط٢ – بيروت– ٢٠٠٤م .
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي : ماهر مهدي هلال – دار الرشيد– بغداد – ١٩٨٠م .
- الجُمّان في تشبيهات القرآن – عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا البغدادي (ت٤٨٥هـ)– تحقيق د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي – بغداد – ١٩٦٨م .
- جمهرة أشعار العرب - أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي – دار صادر – بيروت– ١٩٦٣م .
- جمهرة الأمثال - أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) – تحقيق - محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش – المؤسسة العربية الجديدة – القاهرة .
- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة - د. صالح أبو أصبع – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط١ – بيروت– ١٩٧٩م .
- حروف المعاني - أبي الحسن بن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هـ) – تحقيق - عبد الفتاح شلبي – مكتبة الطالب الجامعي – ط٢– مكة المكرمة - ١٩٨٦م .
- حسن التوسل إلى صناعة الترسل : شهاب الدين الحلبي (ت٧٢٥هـ) – تحقيق ودراسة - أكرم عثمان يوسف – دار الرشيد – بغداد – ١٩٨٠م .
- الحيوان – ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)تحقيق – عبد السلام محمد هارون-مطبعة عيسى البابي الحلبي- ط١ - مصر -١٩٤٥م .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) – تحقيق – عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي – ط٤ – القاهرة – ٢٠٠٠م .
- الخصائص - أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) – تحقيق - محمد علي النجار – المكتبة المصرية – القاهرة – ١٩٥٥م .

- الخطيئة والتكفير – عبد الله الغذامي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ـــ ط٦ المغرب– ٢٠٠٦م .
- دراسات في البلاغة عن ضياء الدين بن الأثير - د. عبد الواحد حسن الشيخ – مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر – مصر – ١٩٧٦م .
- دراسات في فقه اللغة - د. صبحي الصالح – دار العلم للملايين – ط٧– بيروت – ١٩٧٨م.
- دراسة الصوت اللغوي - د. أحمد مختار عمر- مطابع سجل العرب– ط١ – القاهرة– ١٩٧٦م .
- دلائل الأعجاز - الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) – قرأهُ وعلق عليه - أبو فهد محمود محمد شاكر – الناشر - مطبعة المدني– ط٣ – القاهرة– ١٩٩٢م .
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية - د.علي جابر العصفوري – مطبعة الجامعة – بغداد– ١٩٧٤م.
- دلالة السياق - د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي – معهد البحوث العلمية – جامعة أم القرى – السعودية – ١٤٢٤هـ .
- دور الكلمة في اللغة - ستيفن أولمان – ترجمة - د. كمال بشر– ط١ – مكتبة الشباب– ١٩٨٦م .
- ديوان الأدب - اسحق بن إبراهيم الفارابي (ت٣٥٠هـ) – تحقيق - د. أحمد مختار عمر– القاهرة – ١٩٧٤م .
- ديوان الأعشى الكبير - تحقيق محمد محمد حسين – المطبعة النموذجية – القاهرة – ١٩٥٠م .
- ديوان دريد بن الصمة الجشمي : قدم له د. شاكر الفحام – جمع وتحقيق – محمد خير البقاعي – دار قتيبة – ١٩٨١م .

- ديوان شعر النمر بن تولب : صنعه د.نوري حمودي القيسي – مطبعة المعارف – بغداد .
- ديوان هدبة بن الخشرم العذري : جمعه وحققه د. يحيى الجبوري – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق – ١٩٧٦م .
- ديوان امريء القيس : حققهُ وشرحهُ وضبطهُ - حنا فاخوري – دار الجيل – ط١ – ١٩٨٩م .
- الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي – غانم جواد – جامعة بغداد – ١٩٧٦م .
- زهر الكم في الأمثال والحكم – الحسن بن مسعود نور الدين اليوسي (ت١١٠٢هـ) – تحقيق – محمد محي ومحمد الأخضر – الدار البيضاء – المغرب – ١٩٨١م .
- سبل السلام – الإمام محمد بن اسماعيل الكحلاني المعروف بالأمير (ت١١٨٢هـ) – شرح بلوغ المرام من جمع ادلة الأحكام للحافظ شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني القاهري (ت٨٥٢هـ) – ضبط وتعليق وتخريج – الشيخ خالد عبد الرحمن العك – دار صادر– ط١ – بيروت– ١٩٩٨م .
- سر الفصاحة - أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ)– تحقيق - عبد المتعال الصعيدي – مكتبة محمد علي صبيح وأولاده – مصر– ١٩٦٩م .
- سر صناعة الأعراب - أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) – تحقيق لجنة من الأساتذة – مطبعة البابي الحلبي – ط١ – مصر .
- سنن ابن ماجه – الإمام المحدث ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) – تحقيق- محمود محمد نصار – دار الكتب العلمية– ط١ – بيروت– ١٩٩٨م .

- سنن ابي داود – الإمام الحافظ ابي داود سليمان بن الأشعث بن اسحق السدي السجستاني – مطبعة الباب الحلبي – ط١ – مصر – ١٩٥٢م
- سنن الترمذي – الإمام ابي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) – تحقيق – عبد الرحمن محمد عثمان – ط٢ – دار الفكر– ١٩٧٤م .
- سنن الدارمي – الإمام أبي محمد عبد الله بن بهرامر الدارمي (ت٢٥٥هـ) – دار الفكر– ط٢ – بيروت – ٢٠٠٣م .
- شرح إبن عقيل على ألفية أبن مالك - سهاد الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ) – تحقيق- محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – ٢٠٠٢م .
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى – صنفه- أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب– شرح وتحقيق كرم البستاني – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٦٤م .
- شرح قطر الندى وبل الصدى - أبن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) – تحقيق - محمد محي الدين عبد الحميد – دار الفكر للطباعة والنشر .
- شرح الرضي على الكافية - رضي الدين الأستربادي (ت٦٨٦هـ) – تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر – جامعة قاريونس – ليبيا – ١٩٧٨م .
- شرح المفصل – موفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ) – مطبعة عالم الكتب– بيروت (د.ت) .
- شرح نهج البلاغة – لأبي حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني المتوفي سنة ٦٥٥هـ - ضبطه وصححه - محمد عبد الكريم النمري – دار الكتب العلمية – بيروت– ط٣ – لبنان– ٢٠٠٣م .

- شرح نهج البلاغة - إبن ميثم جمال الدين البحراني (ت٦٧٩هـ) منشورات الثقلين – بيروت– ١٩٩٩هـ .
- شروح التلخيص في علوم البلاغة - الخطيب القزويني – شرحهُ وخرج شواهدهُ - محمد هادي دويدري – دار الجيل – بيروت – ١٩٨٢م .
- شعر الشريف الرضي – الفن والإبداع – د. حافظ المنصوري – ط١ – النجف الأشرف – مكتب الثريا للحاسبة – ٢٠٠٧م .
- الشعر المعاصر - محمد بنيس – دار تربتال– ط١ – المغرب– ١٩٩٠م .
- الشعر والتجربة - أرشيبالد مكليش – ترجمة د. سلمى الخضراء الجيوسي – مراجعة- توفيق صايغ – منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر – بيروت – ١٩٦٣م.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) – تحقيق- مصطفى الشويمي – مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٦٣م .
- صحيح البخاري – الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ)– شرح وتحقيق – الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي – دار القلم – بيروت – ١٩٨٧م .
- صحيح مسلم – ابو الحسن مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ) – وقف على طبعه – محمد فؤاد عبد الباقي – مطبعة عيسى البابي الحلبي – ط١ – مصر – ١٩٥٥م .
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي - د. جابر أحمد عصفور – دارا التنوير للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٨٣م .
- الصورة الفنية في المثل القرآني – د. محمد حسين الصغير – دار الرشيد – بغداد – ١٩٨١م .

- الصورة الفنية في شعر أبي تمام - د. عبد القاهر الرباعي – أربد – الأردن – ١٩٨٠م.
- ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربي - أ. د. رشيد بلحبيب – مطبعة النجاح الجديدة – ط١ – الدار البيضاء – المغرب .
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز - السيد الإمام يحيى حمزة العلوي (ت٧٤٩هـ) – مراجعة وضبط وتدقيق - محمد عبد السلام شاهين – دار الكتب العلمية –ط١- بيروت– ١٩٩٥م .
- عصر القرآن - د. محمد مهدي البصير – دار الشؤون الثقافية – ط٣ – بغداد– ١٩٩٧م.
- العقد الفريد - أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٧هـ) – تحقيق - محمد سعيد العريان – مطبعة الأستقامة – ط٢ – القاهرة– ١٩٥٣م .
- العلامة الأعرابية في الجملة بين القديم والحديث - د. محمد حماسة عبد اللطيف – دار الفكر – بيروت .
- علم الدلالة - د. أحمد مختار عمر – عالم الكتب– ط٤ – القاهرة– ١٩٩٣م .
- علم الدلالة العربي - د. فايز الداية – دار الفكر – ط١ – دمشق– ١٩٨٥م .
- علم اللغة العام – مقدمة للقارئ العربي : د. محمود السعران – مطبعة مرك – الأسكندرية – مصر – ١٩٦٢م .
- علوم نهج البلاغة - د. محسن الموسوي – دار العلوم – ط١ – بيروت– ٢٠٠٣م .
- العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) – تحقيق - د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي – منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – ط١ – بيروت– ١٩٨٨م.

- غرر الحكم ودرر الكلم - المفهرس من كلام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب(عليه السلام) – تأليف- القاضي ناصح الدين ابي الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الامدي المتوفى سنه ٥٥٠هـ - ترتيب وتدقيق - عبد الحسن دهيني - دار الهادي ط١– بيروت - لبنان - ١٩٩٢م

- غريب الحديث – أبو عبيد بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ) – تحقيق – محمد عبد المعيد خان– دار الكتاب العربي – ط١ – بيروت– ١٣٩٦هـ .

- الفتنة الكبرى - طه حسين – در المعارف – القاهرة – ١٩٦٨م .

- الفروق في اللغة - أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) – تحقيق - عادل نويهض – دار الآفاق الجديدة– ط٣ – بيروت– ١٩٧٩م .

- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - أبو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ) – حققه - عبد المجيد عابدين ، وأحسان عباس – دار الأمانه – بيروت – ١٩٧١م .

- فصول في اللغة والنقد - د. نعمة رحيم العزاوي – المكتبة المصرية – ط١ – بغداد – ٢٠٠٤م .

- فن التشبيه – علي الجندي – مكتبة الآنجلو المصرية – مطبعة الرسالة (د.ت) .

- الفن ومذاهبه في النثر العربي – د. شوقي ضيف – دار المعارف – مصر (د.ت) .

- في البلاغة العربية – علم المعاني - حسن البغدادي – مصر – ١٩٩٠م .

- في النحو العربي – نقد وتوجيه – د. مهدي المخزومي – منشورات المكتبة المصرية– لبنان .

- القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) – مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده – مصر – ١٩٥٢م .

- القسم في القرآن الكريم - د.حسين نصار – مكتبة الثقافة ألدينيه – ط ١ – ١٤٢١هـ .

- قضايا الشعر العربي – د. نازك الملائكة – ط١ – بيروت– ١٩٧٩م .

- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم - د. سناء حميد البياتي – دار وائل للنشر– الأردن – عمان - ٢٠٠٣م .
- الكامل في اللغة والأدب - الإمام أبي العباس المبرد (ت٢٨٥هـ) – تحقيق- أحمد محمود شاكر – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط١ – مصر – ١٩٣٧م .
- كتاب الأمثال - أبو فيد السدوسي (ت١٩٥هـ) – تحقيق - د. رمضان عبد التواب – المطبعة الثقافية – مصر – ١٩٧١م .
- الكتاب - سيبويه (ت١٨٠هـ) – تحقيق - عبد السلام محمد هارون – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٣ – ١٩٧٧م .
- كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ) – تحقيق - محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي– ط٢ .
- كشاف اصطلاحات الفنون – الشيخ محمد بن علي التهانوي (ت١١٥٨هـ) – وضعهُ - أحمد حسن سيح– دار الكتب العلمية – ط١ – بيروت– ١٩٩٨م .
- الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - جار الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ) – رتبه وضبطه- محمد عبد السلام شاهين – دار الكتب العلمية— ط٣ - بيروت– ٢٠٠٠ .
- لسان العرب – للإمام العلامة جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المتوفي سنة ٧١١هـ - حققهُ وعلق عليه وضبط حواشيه -عامر أحمد حيدر- راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم – منشورات علي بيضون – دار الكتب العلمية – ط١ - بيروت- ٢٠٠٥م .
- لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب – محمد الخطابي – المركز الثقافي العربي – ط١ – بيروت – ١٩٩١م .

- اللغة العربية معناها ومبناها - د. تمام حسان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٢ – القاهرة – ١٩٧٩م .
- اللغة والمعنى والسياق - جون لاينز – ترجمة - عباس صادق الوهاب – مراجعة د. تويل عزيز – دار الشؤون الثقافية – بغداد – ١٩٨٧م .
- المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء – ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ) – تحقيق – عبد الستار احمد فراج – دار إحياء الكتب العلمية – القاهرة – ١٩٦١م .
- مباديء النقد - أ. ريتشادز – ترجمة د. مصطفى بدوي – مراجعة - د. لويس عوض – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – (د.ت) .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ) – تحقيق - محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة – ١٩٣٩م .
- مجمع الأمثال – أحمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني (ت٥١٨هـ)– تحقيق - محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة التجارية – القاهرة – ١٩٥٩م .
- مجمع البحرين – فخرالدين الطريحي المتوفي سنة ١٠٨٥هـ - تحقيق - السيد أحمد الحسيني– دار الكتب العلمية – ط١ – النجف الأشرف– ١٣٨٦هـ
- مختارات شعراء العرب - ابن الشجري – تحقيق - علي محمد البجاوي – القاهرة – ١٩٧٤م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها - جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) – شرحهُ وضبطهُ وصححهُ وعنون موضوعاتهِ وعلق حواشيهِ - علي محمد البجاوي ، ومحمد أحمد جاد المولى و محمد أبو الفضل إبراهيم – دار أحياء الكتب العربية – مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه– مصر .

- المستصفى في علم الأصول - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(ت ٥٠٥هـ)طبعه وصححه- محمد عبد السلام عبد الشافي - دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠م.
- المستقصى في أمثال العرب – جار الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .
- مسند أحمد بن حنبل- رقّم أحاديثه - محمد عبد السلام الشافي – دار الكتب العلمية- ط١ – لبنان— ١٩٩٣م .
- مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية - د. زكريا إبراهيم – دار مصر للطباعة – القاهرة .
- مشكلة المعنى في النقد الحديث - د. مصطفى ناصيف – القاهرة – ١٩٦٥م .
- مشكلة السرقات في النقد العربي - د. محمد مصطفى هدّارة – المكتب الإسلامي – ط٣.
- معاني القرآن – يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) – تحقيق -احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار – مطبعة دار الكتب المصرية – ط١ – ١٩٥٥م .
- المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم – عبد الفتاح لاشين – دار المعارف- ط٣ – بيروت – لبنان– ١٩٧٨م .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - د. أحمد مطلوب – مكتبة المجمع العلمي العراقي– ١٩٨١م .
- معجم آيات الإقتباس – صنع وترتيب - حكمت فرج البدري – دار الرشيد – بغداد – ١٩٨٠م.
- معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) – تحقيق - محمد عبد السلام هارون – الدار الأسلامية – بيروت – ١٩٩٠م .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) تحقيق - محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة المدني – القاهرة– ١٩٨٤م .
- مفتاح العلوم - يوسف بن أبي بكر الخوارزمي السكاكي (ت٦٢٦هـ) – ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه- نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – ط١ – بيروت– ١٩٨٣م .
- المفضليات - المفضل الضبي (ت١٦٤هـ) – تحقيق وشرح - أحمد شاكر وعبد السلام هارون– دار المعارف – ط٤ – مصر .
- المقتصد في شرح الإيضاح - عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) – تحقيق - كاظم بحر المرجان – منشورات وزارة الثقافة العراقية – بغداد – ١٩٨٢م .
- المقتضب – أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت٢٨٥هـ) – تحقيق – محمد عبد الخالق عظيمة – بيروت – ١٣٩٩هـ .
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي – صنعها - الفاضل المحقق حسن زاده الأملي – مؤسسة التراث العربي- ط١ – بيروت – ٢٠٠٣م .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء - أبو الحسن القرطاجني (ت٦٨٤هـ) – تحقيق - محمد الحبيب خوجه – المطبعة الرسمية – تونس – ١٩٦٦م .
- الموازنة بين الطائيين - أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت٣٧٠هـ) – تحقيق - أحمد صقر– دار المعارف – مصر – ١٩٦١م .
- موسيقى الشعر - د. إبراهيم أنيس – ط٤ – مكتبة الآنجلو المصرية – ١٩٧٢م .
- النثر الصوفي – دراسة فنية تحليلية - د. فائز طه عمر– ط١ – بغداد– ٢٠٠٤م.
- النثر الفني وأثر الجاحظ فيه - د. عبد الحكيم بلبع – لجنة البيان العربي – ط١ - القاهرة– ١٩٦٥م .

- نحو المعاني - د. أحمد عبد الستار الجواري – مطبعة المجمع العلمي العراقي – ١٩٨٧م .
- نظرية الأدب - اوستين دارين ورينيه ويليك – ترجمة - محي الدين صبحي – دمشق – ١٩٧٢م .
- النقد الأدبي الحديث - د. محمد غنيمي هلال – مصر – ١٩٧٣م .
- نهاية الأرب في فنون الأدب - شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز- فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ) تحقيق - د. إبراهيم السامرائي ، ود. محمد بركات حمدي أبو علي – دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان– ١٩٨٥م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير المبارك بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٠٦هـ)– تحقيق - محمد الطنامي وطاهر أحمد الزاوي – ط١ – دار أحياء الكتب العربية– القاهرة – ١٩٦٣م .
- نهج البلاغة – تعليق وفهرسة الدكتور صبحي الصالح – تحقيق - الشيخ فارس تبريزيان– مؤسسة دار الهجرة – ط١ – ١٤٢٥هـ .
- نهج البلاغة – خطب ، رسائل ، حكم : بقلم - محمد كاظم الحائري – مطبعة النجف – ١٩٥٩هـ .
- نهج البلاغة : ضبط نصهُ وأبتكر فهارسهُ العلمية - د. صبحي الصالح – ط١ – بيروت– ١٩٦٧م .
- الهوامل والشوامل - أبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ) ، ومسكويه (ت٤٢١هـ) – نشره - أحمد أمين ، وأحمد صقر – لجنة التأليف والنشر – القاهرة – ١٩٥١م .

الرسائل والأطاريح الجامعية

١) أساليب التأكيد في نهج البلاغة - رسالة ماجستير- أصيل محمد كاظم الموسوي – كلية التربية – جامعة القادسية – بأشراف د. جواد كاظم عناد – ٢٠٠٢م .

٢) أساليب الطلب في نهج البلاغة - رسالة ماجستير- عدوية عبد الجبار الشرع – كلية التربية – جامعة بابل – بأشراف د. ناصر غالب ٢٠٠٠م .

٣) البنية الإسلوبية في التراكيب النحوية - أطروحة تقدم بها- محمد مصطفى العاني – كلية الآداب – جامعة بغداد – بأشراف د. هدى صالح الحديثي – ٢٠٠٣م .

٤) التصوير الفني في خطب الإمام علي (ع) - رسالة ماجستير عباس علي الفحام – كلية التربية للبنات – الكوفة – ١٩٩٩م – بأشراف د. سعيد المحنة .

٥) التضمين بين حروف الجر في القرآن الكريم - رسالة ماجستير- أسماعيل الهاني – جامعة بغداد – كلية الآداب – بأشراف أ.د. كمال ابراهيم – ١٩٦٨م .

٦) الجملة الخبرية في نهج البلاغة – دراسة نحوية - رسالة ماجستير - علي عبد الفتاح الشمري – كلية التربية – جامعة بابل – بأشراف د. علي ناصر غالب ٢٠٠١م .

٧) الدرس البلاغي في كتاب فتح الباري العسقلاني (ت٨٥٢هـ) – رسالة ماجستير- رنا زهير خيري محمد – كلية التربية – جامعة الموصل – بأشراف أ.م .د. هناء محمود شهاب أحمد – ٢٠٠٣م .

٨) الظواهر اللغوية في الأمثال العربية القديمة - رسالة ماجستير- أسيل سامي العبيدي – كلية الآداب – جامعة القادسية – بأشراف د. حاكم مالك الزيادي ١٩٩٩م .

٩) خطب نهج البلاغة – بحث في الدلالة - رسالة ماجستير- للطالب أحمد هادي زيدان – كلية التربية – جامعة بابل – بأشراف د. صباح عباس السالم ٢٠٠٦م .
١٠) رسائل الإمام علي (□) - رسالة ماجستير- كامل حسن البصير – جامعة بغداد – بأشراف د. صفاء خلوصي – شباط – ١٩٦٥م .

البحوث المنشورة في المجلات والدوريات

١) الأمثال العربية القديمة - عفيف عبد الرحمن – المجلة العربية للعلوم الأنسانية – الكويت – العدد ١٠ – ١٩٨٣م .
٢) الإتباع في اللغة - د.حاكم الزيادي – مجلة القادسية – عدد١ – ١٩٩٥م .
٣) الإسلوب من خلال الألسنية - عزة آغا ملك – مجلة الفكر العربي المعاصر – مركز الأنماء القومي – عدد٣٨ – ١٩٨٦م .
٤) التناص سبيلاً الى دراسة النص الشعري - شربل دانمر – مجلة فصول – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مجلد ١٦ – عدد١ – القاهرة ١٩٩٧م .
٥) الصورة الشعرية - كمال أبو ديب – مجلة مواقف – بيروت – العدد ٢٧ – ١٨٧٤م .
٦) ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة - د. أحمد نصيف الجنابي – مجلة المجمع العلمي العراقي – مجلد ٣٥ – تشرين الأول ١٩٨٤م .
٧) في مفهوم الإيقاع - د.محمد هادي الطرابلسي – مجلة حوليات الجامعة التونسية – كلية الآداب – العدد ٣٢ – ١٩٩١م .
٨) وجوه بلاغية ودلالية في سورة الكوثر - د. عمر حمدان الكبيسي – مجلة عجمان للعلوم والتكنولوجيا – مجلد ٢ – عدد٢ – ٢٠٠٢م .

بحوث من شبكة المعلومات العالمية

١) أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى - أ.د. رشيد بالحبيب – بحث منشور في مجلة اللسان العربي – عدد ٤٩ – سنة ١٩٩٩م . وعلى الموقع www.alarabiyah. ws. .

٢) التناص بين الاقتباس والتضمين والوعي واللاشعور - مفيد نجم – جريدة الخليج – علق بيان الثقافة ع٥٥ يناير – ٢٠٠١م . منشور على الموقع الألكتروني www.moaser.net

٣) جمالية الخبر - د. حسين جمعة – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ٢٠٠٥م .www.awu.Dam.

٤) ضوابط الاقتباس من القرآن الكريم في الأعمال الأدبية -أ.د. احمد سعد الخطيب – جامعة الأزهر www. Eltwned.com .

Summary

The Proverb in "Nahj Al – Balagha": An Artistical and Analytical Study

"Nahj Al-Balagha" is a book that contain Imam Ali's sermons, letters, and precepts, which are characterized by their unique eloquence. This study attempts to examine the proverb, its aesthetic properties and its role in the speech of Imam Ali (Peace of God be upon him.). The research deals with a large number of proverbs. It follows aspecific method in tackling the subject matter. The introduction handles the proverb as a literary and social phenomenon. The core of the research is divided into three chapters.

The first chapter studies the approaches and sources of the proverb in "Nahj Al-Balagha". These approaches are : excerption, intertextial, and invention. Their sources are the Holy Qur'an , Hadith , and Arabs poetic and prosaic talk.

The second chapter examines the styles of the prover in " Nahj Al-Balagha" : declarative styles which adopt the nominal clause, the verbal clause, or the conditional clause as a base in sentence and style construction, structural styles which use negation, prohibition, interrogation and optative mood, and other structural styles as interjection and oath-style. This chapter also considers sentence moods as advancement and backwardness, elision and brevity, indentification and dis-indentification, and junction and disjunction.

Chapter three covers the scenic and musical values. In this respect, the study finds out that the image plays a great role in the conveyance of meaning. It involves styles as simile, style of concepts exchange which comprises embodiment and personification, and the style of antithesis which include the production of an image out of two contradicated ones in the proverb.

Eventually, the study ends in the results reached at by the researcher, and the related source and references.

Abdul – Hadi Abdul – Rahman Ali Al – Shawi.

Thi Al- Hija, 1428 A.H December, 2007A.D